

عمادة الدراسات العليا

جامعة القدس

الإشارات التربوية في قصة سيدنا إبراهيم U

فايزة أحمد يوسف سليم

رسالة ماجستير

القدس - فلسطين

1429هـ / 2008م

الإشارات التربوية في قصة سيدنا إبراهيم U

إعداد :

فايزة أحمد يوسف سليم

بكالوريوس دعوة وأصول دين - جامعة القدس فلسطين

المشرف : د. حاتم جلال التميمي

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في الدراسات الإسلامية المعاصرة من

دائرة الدراسات العليا ، كلية الآداب - جامعة القدس

1429هـ / 2008م



جامعة القدس
عمادة الدراسات العليا
دراسات إسلامية معاصرة

إجازة الرسالة

الإشارات التربوية في قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام

اسم الطالبة : فائزة أحمد يوسف سليم
الرقم الجامعي : 20410750

المشرف : د. حاتم جلال التميمي

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ : 2008/4/5 م من لجنة المناقشة المدرجة أسماءهم
وتوافقهم :

التوقيع :
التوقيع :
التوقيع :

1. رئيس لجنة المناقشة : د. حاتم جلال التميمي
2. ممتحناً داخلياً : د. محمد سليم
3. ممتحناً خارجياً : د. محمد عمران

القدس - فلسطين

1429هـ / 2008م

الإهداء

إلى كل من شارك في تربيّتي وله حقّ عليّ

إلى كل من عمل في مجال تربية الأجيال وعلى كل المستويات

إلى كل من يهّمه أمر التربية كبيراً كان أو صغيراً

أقدم هذا الجهد المتواضع الذي لا يفي بالحق كاملاً

فايزة أحمد يوسف سليم

البابُ الأولُ

إبراهيمُ ۝ خَلْقُهُ وَخُلُقُهُ

وفيه فصلان :

الفصل الأول : التعريف بإبراهيم ۝ وبيان صفته الخلقية

الفصل الثاني : ثناء الله ۝ على إبراهيم ۝ في القرآن الكريم

الفصلُ الأولُ

التعريفُ بإبراهيمَ ٥ وبيانُ صفتهِ الخَلقيةِ

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : نسبُ إبراهيمَ ٥ ومَوْلده

المبحث الثاني : بيانُ صفاتهِ الخَلقيةِ

الفصل الأول

التعريفُ بإبراهيمَ ٥ وبيانُ صفاته الخلقية

إبراهيم ٥ نبي مرسل ، بعثه الله تعالى إلى قوم كانوا يعبدون الأصنام ، فدعاهم إلى عبادة الله وحده وتترك ما هم فيه ، فأعرضوا وأصرروا على شركهم وضلالهم ، دعاهم إلى الله تعالى بأساليب شتى : سار معهم بالترغيب والترهيب ، بالوعد والوعيد ، حاورهم وجادلهم وناظرهم - وعلى جميع المستويات - الخاصة منها والعامّة ، غلبهم بالحجة وقوة البيان ، واستعمل معهم أسلوب تغيير المنكر باليد بعد اللسان ، فقام بتحطيم الأصنام ، قرروا في النهاية أن يتخلصوا منه ومن دعوته بعد محاكمة جائزة على رؤوس الأشهاد ، فحمّاه الله تعالى من نيرانهم وجعلها برداً وسلاماً عليه ، فكان لا بدّ من الهجرة وإعلان البراءة منهم ومن شركهم ، وكانت الهجرة إلى أرض فلسطين ، الأرض المباركة ، وفيها حدثت أحداث كثيرة ، حيث وُلد له الولد بعد طول انتظار ، وكان لمروره وزياراته لكل من مصر والحجاز وما جرى فيهما من أحداث أثر عظيم في حياته .

اتصف إبراهيم ٥ بالأدب الجم والخلق الرفيع ، فشخصيته تمثل الثبات والصدق والتضحية والوفاء ، امتاز بالهدوء العجيب ، واليقين الكبير ، والتسامح العظيم ، قلب سليم ، وعقل حكيم ، إنه الكريم بنص حديث سيد المرسلين :p (الْكُرَيْمُ ابْنُ الْكُرَيْمِ ابْنُ الْكُرَيْمِ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)⁽¹⁾.

كان إبراهيم ٥ إماماً - بل لقد كان أمة وحده ، أمة في كل شيء في عقيدته وعبادته ودعوته ، حتى استحق أن يتخذه الله تعالى خليلاً ، وأن يجعله أبا للصفوة من الأنبياء والمرسلين - عليهم وعلى نبينا جميعاً أفضل الصلاة وأتم التسليم .

ويأتي الكلام في هذا الفصل ضمن بحثين :

المبحث الأول : نسب إبراهيم ٥ ومولده

المبحث الثاني : بيان صفات إبراهيم ٥ الخلقية

(1) أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، ح (3382).

المبحث الأول

نسب إبراهيم U و مؤلده

لم يصل إلينا النسب الكامل لإبراهيم U بخبر صحيح - لا بالقرآن الكريم ولا بالسنة الصحيحة - إلا أن بعض المفسرين ونقلوا عن المؤرخين ومن روايات بني إسرائيل ينقلون نسبه ، والذي ورد من نسبه في القرآن الكريم والسنة النبوية هو أن أباه (آزر) ، قال الله Y : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أُرَاكَ وَمَثَلَكِ فِي خَلَائِ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام: 74] ، وقال رسول الله p : (يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَعَلَى وَجْهِ آزَرَ قَتْرَةٌ وَغَبْرَةٌ ، فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ : أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لَا تَعْصِنِي ؟ فَيَقُولُ أَبُوهُ : فَالْيَوْمَ لَا أَعْصِيكَ ، فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ : يَا رَبِّ إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ، فَأَيُّ خَزْيٍ أَخْزَى مِنْ أَبِي الْأَبْعَدِ ؟ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : إِنِّي حَرَمْتُ الْجِنَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ...)⁽¹⁾. ففي الآية الكريمة والحديث الشريف تصريح بأن اسم الأب آزر .

إلا أنه اختلف هل آزر هو اسم للأب أم أنه صفة له ، أم غير ذلك ؟ والذي عليه أكثر المفسرين وأهل التاريخ أن أبا إبراهيم هو تازح ، وقيل : تارخ⁽²⁾ ، وهو (أي تارح) ابن ناخور بن ساروع بن أرغو بن فالغ بن عابر بن شالغ بن أرفخشذ أو أرفخشذ (بالذال المعجمة) بن سام بن نوح U⁽³⁾ .

وقد ذكر ابن الجوزي⁽⁴⁾ أن للعلماء في كلمة (آزر) أربعة أقوال :

1. أنه اسم أبيه .
2. أنه اسم صنم ، فأما اسم أبي إبراهيم فتارح ، ويكون المعنى : أتخذ آزر أصناما ، فكأنه جعل أصناماً بدلاً من آزر ، والاستفهام معناه الإنكار .
3. أنه ليس باسم إنما هو سب بللعيب ، وفي معناه قولان ، أحدهما : أنه المعوج كأنه عابه بزيغه وتعويجه عن الحق ، والثاني: أنه المخطئ فكأنه قال يا مخطئ أتخذ أصناما .
4. أنه لقب لأبيه وليس باسمه⁽⁵⁾ .

(1) أخرجه البخاري ، كتاب الأنبياء ، ح(3350).
(2) انظر: الطبري ، أبجعفر محمد بن جرير(ت 310هـ)، تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن، (5 / 239-240)، منشورات محمد علي بيضون - دار الكتب العلمية ط(3)، 1999م . والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن ، (22/7)، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم ، (150/2).
(3) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن، (22/7-23)، وانظر: العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، (6/389) .
(4) ابن الجوزي : عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج، ولد سنة (508هـ)، وتوفي سنة (597هـ)، صاحب التصانيف المشهورة في أنواع العلوم من التفسير، والحديث، والفقه، والوعظ، والزهد، والتاريخ، وغير ذلك. كثرت تصانيفه حتى زادت عن ثلاثمائة مصنفا ، منها: فنون الأفتان في عيون علوم القرآن، ومنها تلبيس إبليس. انظر: (ابن خلكان، وفيات الأعيان، (140/3) و(الذهبي، سير أعلام النبلاء ، (15/483) و(الداودي، طبقات المفسرين، (1/275) و(الزركلي، الأعلام، (316/3).
(5) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي(ت597هـ)، زاد المسير في علم التفسير، (2/46)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار =

والأرجح - والله تعالى أعلم - أن يكون آزر اسماً للأب أو هو لقب له - على أقل تقدير ، فقد يُعرف كثير من الناس بألقابهم وتُنسى أَسْمَاؤُهُمْ ، ويؤيد هذا الترجيح النص على هذا الاسم في الكتاب العزيز والسنة المطهرة ، وما نُقِلَ عن المؤرخين أن اسمه تارح فيه نظر ؛ لأنهم إنما نقلوه من أهل الكتاب ، ثم إن نص الحديث الشريف يدل دلالة واضحة صريحة على أنه اسم للأب ، فلا يمكن أن يكون اسماً للصنم ، أما أن يكون تعبيراً للأب فهذا لا يمكن أن يصدر من إبراهيم U ، فقد عُرف عنه البر بوالديه واللطف بهما والشفقة عليهما ، ومن كانت هذه حاله فلا يمكن أن يصف أباه بوصف فيه تعيب(1).

أما مولده U فقد ذكر المؤرخون عدة أقوال تدور حول الموضع الذي ولد فيه إبراهيم U ، فقيل: كان مولده بالسُّوس (2) من أرض الأهواز (3) ، وقيل: كان ببابل (4) من أرض السواد (5) ، وقيل: كان بالسواد بناحية كوثي (6) ، وقيل : كان مولده بحرَّان (7) ، ولكن أباه نقله إلى أرض بابل (8) . وقد رجح ابن كثير (9) أن مولده كان ببابل ، فقال : " وهذا هو الصحيح المشهور عند أهل السير والتواريخ والأخبار "(10).

-
- الكتاب العربي ، بيروت ، ط(1) ، 2001م.
- (1) على أن الكلمة في اللغة لا يمكن أن تحتل ذلك المعنى(الهب بالعيب)، فإنه يقال: أزره وأزره أعانه وأسعده من الأزر: القوة والشدة، ومنه حديث أبي بكر r أنه قال للأَنْصار يوم السَّقِيفَةِ: "لقد نصرتم وأزرتُم وأسَيْتُم". انظر: ابن منظور، لسان العرب، (131/1)، مادة: (أَزْر).
- (2) السُّوس: يضم أوله وسكون ثانيه وسين مهملة أخرى، بلدة بخوزستان. انظر: (الحموي، معجم البلدان، 92/5).
- (3) الأهواز: اسم عربي سُمي به في الإسلام، وكان اسمها في أيام الفُرس خوزستان وفي خوزستان مواضع يقال لكل واحد منها خوز، منها خوز بني أسد وغيرها، فالأهواز اسم للكورة بأسرها، وأما البلد الذي يغلب عليه هذا الاسم عند العامة اليوم فإنما هو سوق الأهواز. انظر: (الحموي، معجم البلدان، 226/1).
- (4) بابل: بكسر الباء. اسم ناحية، منها الكوفة والحلة. انظر: (الحموي، معجم البلدان، 247/2).
- (5) السواد: يُراد به رستاق العراق وضياعها التي افتتحها المسلمون على عهد عمر بن الخطاب r، سمي بذلك لسواده بالزرور والنخيل والأشجار ؛ لأنه حين تآخم جزيرة العرب التي لا زرع فيها ولا شجر كانوا إذا خرجوا من أرضهم ظهرت لهم خضرة الزرع والأشجار فيسمونه سواداً، كما إذا رأيت شيئاً من بُعد قلت ما ذلك السواد ؟ وهم يسمون الأخضر سواداً والسواد أخضر. انظر: (الحموي، معجم البلدان، 85/5).
- (6) كوثي: موضع بسواد العراق في أرض بابل. انظر: (الحموي، معجم البلدان، 158/7).
- (7) حرَّان: مدينة عظيمة مشهورة من جزيرة أفرس، وهي قصبه ديار مُصر، بينها وبين الرها يوم وبين الرقة يومان، وهي على طريق الموصل والشام والروم. قيل: سميت بهارَّان أخي إبراهيم U ؛ لأنه أول من بناها فعربت فقيل حران. انظر: (الحموي، معجم البلدان، 130/3).
- (8) نقل هذه الأقوال : الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري(ت 310هـ)، تاريخ الطبري - تاريخ الأمم والملوك، (233/1) ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت، ط(2) ، 1967 م، وابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي(ت597هـ) ، المنتظم في تواريخ الملوك والأمم ، (148/1-149) ، حققه وقدم له: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت ط(1) 1995م، وابن الأثير ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني (ت630هـ)، الكامل في التاريخ ، (86/1) ، حققه واعتنى به: عمر بن عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط(3) 2001م.
- (9) ابن كثير: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، أبو الفداء، عماد الدين حافظ ومؤرخ ومفسر وفقه، كان قدوة العلماء والحفاظ وعمدة أهل المعاني والألفاظ، له تصانيف منها: البداية والنهاية، وتفسير القرآن الكريم، والباعث الحديث إلى معرفة علوم الحديث، ولد سنة(701هـ) وتوفي سنة(774هـ). انظر: (الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، (242/1) و(الزركلي، الأعلام، 302/1).
- (10) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير(ت774هـ)، البداية والنهاية، (324/1-325)، تحقيق عبد الله التركي، دار هجر، مصر، ط(1)، 1997 م .

المبحث الثاني

بيان صفات إبراهيم   الخفية

حَفَظَ الإسلام تاريخ القدماء السابقين - خاصة الأنبياء والمرسلين - عليهم السلام ، ففي القرآن الكريم قصصهم وما جرى في حياتهم ، وفي السنة الشريفة بعض مآثرهم وصفاتهم حتى كأنك تراهم ، وقد وصف لنا رسول الله   بعض الأنبياء كموسى وعيسى وإبراهيم وصفاً دقيقاً يتخيل القارئ أنه يراهم رأي العين ، مع ما تجسده الآيات الكريمة من مشاهد ، فقصص القرآن تتفلك مباشرة إلى موقع الحدث ، فتتظر فتجد المشاهد أمامك تتري ، حوار ونقاش وأحداث ، وصور حقيقية لأصحاب القصص بعيداً عن التخيلات والأوهام ، فموسى   رجل آدم⁽¹⁾ طوال جعد⁽²⁾، وعيسى   مريع⁽³⁾ الخلق إلى الحمرة والبياض سبط⁽⁴⁾ الرأس ...⁽⁵⁾.

وأما إبراهيم   فقد وصفه رسول الله   بوصف جامع في عدة أحاديث ، منها :

- * ما في البخاري⁽⁶⁾ ومسلم⁽⁷⁾: (أَمَّا إِبْرَاهِيمُ فَأَنْظَرُوا إِلَى صَاحِبِكُمْ ...)⁽⁸⁾.
- * وفي مسلم أيضا: (وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ فَإِذَا أَقْرَبُ مِنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا صَاحِبِكُمْ يَعْنِي نَفْسَهُ ...)⁽⁹⁾.
- * وفي رؤيا رآها رسول الله   ، رأى فيها إبراهيم   على هيئة رجل طويل قال : (أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ فَابْتَعَتَانِي ، فَأَتَيْتَانِي عَلَى رَجُلٍ طَوِيلٍ لَا أَكَادُ أَرَى رَأْسَهُ طَوِيلًا وَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ  )⁽¹⁰⁾.

-
- (1) آدم: الأدمة في الناس السُّمْرَةُ الشَّدِيدَةُ. انظر: ابن الأثير، مجد الدين أبه السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت 606هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، (36/1)، خرج أحاديثه وعلق عليه: أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(1)، 1997 م .
 - (2) جعد: الجعد في صفات الرجال يكون مَدْحًا وَدَمًا: فالمدح معناه أن يكون جَعَدَ الشَّعْرُ، ضَدَّ السَّبْطُ، لأنَّ السَّبْطَةَ أَكْثَرُهَا فِي شُعُورِ الْعَجَمِ. انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر(266/1).
 - (3) مريع: فسرت بحديث أنس بن مالك الذي وصف فيه النبي  : كان ربعة من القوم، ليس بالطويل ولا بالقصير. انظر الحديث في الصفحة التالية .
 - (4) سبط: السَّبْطُ بسكون الباء وكسرها: المُمْتَدُّ الذي ليس فيه تَعَدُّ ولا نُتُو، انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر(301/2).
 - (5) انظر: صحيح البخاري: كتاب الأنبياء ح(3394). وصحيح مسلم، كتاب الإيمان ، ح(165) .
 - (6) البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، أبو عبد الله، حافظ حديث رسول الله  ، ولد في بخارى ونشأ بتيما، سمع من نحو ألف شيخ، وجمع نحو ستمائة ألف حديثاً، وكتابه الجامع المسند الصحيح- المعروف بصحيح البخاري- هو أوثق وأصح كتاب بعد كتاب الله عز وجل، ولد سنة (194 هـ) وتوفي سنة (256 هـ)، له مصنفات كثيرة منها: الضعفاء، الأدب المفرد. انظر: (ابن خلكان، وفيات الأعيان، (4 / 188) و(الذهبي، سير أعلام النبلاء ، (277/10) و(الداودي، طبقات المفسرين، (104 / 2) و(الشعراني، الطبقات الكبرى، (ص92) و(الزركلي، الأعلام، (34/6) .
 - (7) مسلم: هو ابن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، أبو الحسين، صاحب الصحيح، أحد الأئمة الحفاظ وأعلام المحدثين، وكان من الثقات المأمونين، ويعد كتابه الصحيح ثاني كتاب بعد صحيح البخاري، فهو أحد الصحيحين المعول عليهما عند أهل السنة، جمع فيه اثني عشر ألف حديث، ومن كتبه: المسند الكبير، والكنى والأسماء، وأوهام المحدثين، والعلل. انظر : (ابن خلكان، وفيات الأعيان، (194/5) و(الزركلي ، الأعلام 7/221) .
 - (8) أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء ح(3355)، ومسلم، كتاب الإيمان، ح(166).
 - (9) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، ح(166).
 - (10) أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء ح(3354).

* وفي مسند أحمد⁽¹⁾ قول الرسول p: (وَنظَرْتُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ فَلَا أَنْظُرُ إِلَى إِزْبِ (الأرب بالكسر: العضو) مِنْ آرَائِهِ إِلَّا نَظَرْتُ إِلَيْهِ مَنِّي كَأَنَّهُ صَاحِبُكُمْ ، فَقَالَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : سَلَّمَ عَلَى أَبِيكَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ)⁽²⁾.

هذه الأحاديث وأمثالها يعطينا تصوراً شاملاً وكاملاً لشخص إبراهيم u ، فرسولنا p يشبه إبراهيم u في خلقته ، ليس شبيهاً بعيداً وإنما في كل عضو من أعضائه ، فإذا عرفنا صفة رسولنا p عرفنا صفة إبراهيم - عليه من الله الصلاة والتسليم .

وما أكثر الصحابة الذين وصفوا لنا الرسول p :

* فهذا أنس بن مالك⁽³⁾ يصف النبي p فيقول : " كَانَ زُبْعَةً مِنْ الْقَوْمِ ، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ وَلَا بِالْقَصِيرِ ، أَزْهَرَ اللَّوْنِ ، لَيْسَ بِأَبْيَضَ أَمْهَقَ وَلَا أَدَمَ ، لَيْسَ بِجَعْدٍ قَطَطٍ ، وَلَا سَبْطٍ رَجُلٍ "⁽⁴⁾، فهذه صفة بشرته p أنه : (أزهر اللون) يعني أبيض مشربل بحمرة ، لا أمهق : خالص البياض ، ولا آدم : شديد السمرة ، وفي صفات الشعر: فهو ليس بالجعد : أي منكسر الشعر ، ولا القَطَطُ : شديد الجعودة ، وإنما هو سبط : مسترسل الشعر رجلاً⁽⁵⁾.

* وهذا البراء بن عازب⁽⁶⁾ يقول: " كَانَ رَسُولُ اللَّهِ p أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا ، وَأَحْسَنَهُ خَلْقًا ، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ ، وَلَا بِالْقَصِيرِ "⁽⁷⁾.

* وعنه أيضاً قال : (كَانَ النَّبِيُّ p مَرْبُوعًا ، بَعِيدًا مَا بَيْنَ الْمُنْكَبَيْنِ ، عَظِيمَ الْجُمَّةِ⁽⁸⁾ إِلَى شَحْمَةِ أُذُنَيْهِ)⁽⁹⁾.

(1) أحمد : هو الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، أبو عبد الله، شيباني، إمام المذهب، وأحد الأئمة الأربعة، ولد ببغداد سنة (164 هـ)، نشأ على طلب العلم وسافر في سبيله كثيراً، أخذ الفقه عن جماعة أجلمهم الشافعي، فقد صحبه مدة مقامه في بغداد في الرحلة الثانية وسلك مسلكه ونهج منهجه. أخذ عنه الحديث جماعة من الأمثال: منهم البخاري، ومسلم، ولم يكن في آخر عصره مثله في العلم والورع. صنف المسند الذي يحتوي على ثلاثين ألف حديثاً، وله مصنفات عديدة منها التاريخ والزهد، توفي سنة (241 هـ). انظر: (ابن الجوزي، صفة الصفة ، (336/2) و(ابن خلكان، وفيات الأعيان، (63/1-64) و(الداودي، طبقات المفسرين، (71/1) و(الشعراني، الطبقات الكبرى، (ص 80).

(2) أخرجه الإمام أحمد، ح(3544). وقال الألباني: "حسن". انظر: الألباني، محمد ناصر الدين، الإسراء والمعراج وذكر أحاديثهما وتخريجها وبيان صحيحها من سقيمها، (76/1)، المكتبة الإسلامية، عمان ، ط(2)، 2000 م .

(3) أنس بن مالك: خزرجي أنصاري، أبو حمزة أو أبو ثمامة، صحابي جليل أسلم صغيراً، خدم رسول الله p عشر سنوات، روى عنه(2286) حديثاً، مات في البصرة، وهو آخر من مات بها سنة(93 هـ). انظر: (الأصبهاني، معرفة الصحابة، (225 /1) و(ابن عبد البر، الاستيعاب، (108/1) و(صرفة الصفة 710/1) و(ابن حجر العسقلاني، الإصابة، (1/ 275) و(الزركلي، الأعلام 24/2).

(4) أخرجه البخاري، كتاب المناقب ح(3547) انظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، (6/ 569-570).

(5) البراء بن عازب : خزرجي أنصاري، أسلم صغيراً، وغزا مع رسول الله p خمس عشرة غزوة وأولها الخندق، روى له البخاري ومسلم 305 حديثاً ، وشهد مع علي كرم الله وجهه الجمل في صفين والنهران، ثم نزل الكوفة، ومات فيه أيام مصعب ابن الزبير رحمه الله تعالى. مات سنة(71 هـ). انظر: (الأصبهاني، معرفة الصحابة، (1/ 342) و(ابن عبد البر، الاستيعاب، (1 /155) و(ابن حجر العسقلاني، الإصابة، (1/ 411) و(الزركلي، الأعلام، (2/ 46).

(7) أخرجه البخاري كتاب المناقب ح(3549) ومسلم، كتاب الفضائل، ح(2337) .

(8) الْجُمَّةُ: مُجْتَمَعُ شَعْرِ الرَّأْسِ وَهِيَ أَكْثَرُ مِنَ الْوَفْرَةِ، أَوْ هِيَ مَا سَقَطَ عَلَى الْمَرْكَبِيِّ. (ابن منظور، لسان العرب، (2/ 337)، مادة(جمم).

(9) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، ح(2337).

* ووصفه كعب بن مالك⁽¹⁾ في حديث التوبة قال : (وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةٌ قَمَرٍ)⁽²⁾.

* وعن محمد بن علي τ ⁽³⁾ عن أبيه τ ⁽⁴⁾ قال : (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَخْمَ الرَّأْسِ ، عَظِيمَ الْعَيْنَيْنِ هَدَبَ الْأَشْفَارِ ، ... مُشْرَبَ الْعَيْنَيْنِ بِحُمْرَةٍ ، كَثَّ اللَّحْيَةِ ، أَزْهَرَ اللَّوْنِ ، شَنَّ الْكُفَّيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ ، إِذَا مَسَى كَأَنَّمَا يَمْشِي فِي صُعْدٍ ، قَالَ حَسَنٌ : نَكْفَأُ ، وَإِذَا نَقَتَ النَّقَتَ جَمِيعًا)⁽⁵⁾ ، فقد كان من صفته ρ أنه هذب الأشفار ، وهذا يعني : طويل شعر الأَجْفَانِ⁽⁶⁾ ، وكث اللحية ، ويعني : كثرة أصولها وشعرها ، وأنها ليست بدقيقة ولا طويلة وفيها كثافة⁽⁷⁾ ، وشنن الكفين والقدمين : أي أنهما تميلان إلى الغلظ والقصر ، وقيل : هو الذي في أنامله غلظ بلا قصر ويحمد ذلك في الرجال لأنه أشد لقبضهم⁽⁸⁾.

مجموعة كبيرة من الأحاديث عن الصحابة وصفت لنا رسول الله ρ ⁽⁹⁾ ، حتى إن الكثير من العلماء قد ألفوا كتباً خاصة في شمائل المصطفى ρ ⁽¹⁰⁾.

وبمعرفة صفاته ρ الخلقية نتعرف على صفات إبراهيم ν ، نعرفها عضواً عضواً ، وكأننا نراه بأعيننا .

-
- (1) كعب بن مالك: صحابي أنصاري خزرجي، من أهل المدينة. ومن أكابر الشعراء في الجاهلية، وكان في الإسلام من شعراء الرسول ρ وشهد أكثر الوقائع. ثم كان من أصحاب عثمان، وحرّض الأنصار على نصرته. عاش سبعة وسبعين عاماً، وتوفي سنة (50هـ). انظر: (ابن عبد البر، الاستيعاب، (1323/3) و(ابن الأثير، أسد الغابة، (177/4) و(الذهبي، سير أعلام النبلاء ، (136/4) و(الزركلي، الأعلام، (228/5) .
 - (2) أخرجه البخاري، كتاب المناقب ، ح (3556)
 - (3) محمد بن علي بن أبي طالب: هاشمي قرشي، يعرف بابن الحنفية، أمه خولة بنت جعفر الحنفية ينسب إليها، كان يقول الحسن والحسين أفضل مني، وأنا أعلم منهما، فهو من العلماء الأبطال الأتداء، مولده ووفاته في المدينة، ولد سنة (21هـ) وتوفي سنة (81هـ). انظر: (ابن الجوزي، صفة الصفوة، (77/2) و(الذهبي، سير أعلام النبلاء، (137/5) و(الزركلي، الأعلام، (270/6).
 - (4) أبوه : علي بن أبي طالب τ : ابن عبد المطلب الهاشمي القرشي، أبو الحسن: أمير المؤمنين، ورابع الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وابن عم النبي ρ وصهره، وأحد الشجعان الأبطال، وكان اللواء بيده في أكثر المشاهد، كان من أكابر الخطباء والعلماء والقضاة، توفي سنة (40هـ). انظر: (ابن عبد البر، الاستيعاب، (1089/3) و(ابن الجوزي، صفة الصفوة، (308/1) و(ابن الأثير، أسد الغابة، (587/3) و(الذهبي، سير أعلام النبلاء، (615/2).
 - (5) مسند أحمد ، ح(684)، (89/1) . وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط : إسناده حسن .
 - (6) ابن منظور، لسان العرب، (46/15)، مادة: (هدب).
 - (7) نفسه ، (35/12)، مادة: (كثث) .
 - (8) نفسه ، (30/7) ، مادة: (شنن) .
 - (9) انظر في هذا الموضوع: كتاب المناقب من صحيح البخاري، باب صفة النبي ρ ، ح(3542-3568)، وكتاب الفضائل من صحيح مسلم، باب في صفة النبي ρ وأنه كان أحسن الناس وجهاً، وما بعده، ح(2337-2347) .
 - (10) من الكتب التي ألفت في شمائل الرسول ρ : كتاب الشمائل المحمدية والخصائص المصطفوية، للترمذي، أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة، وكتاب الوفا بأحوال المصطفى، لابن الجوزي - أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ، وكتاب الرصف لما روي عن النبي ρ من الفعل والوصف، لابن العاقولي، أبي المكارم غياث الدين محمد بن محمد بن عبد الله الواسطي البغدادي، وغيرها كثير.

الفصل الثاني

ثناء الله Y على إبراهيم U في القرآن الكريم

وفيه ثمانية مباحث :

المبحث الأول : واتخذ الله إبراهيم خليلا

المبحث الثاني : إن إبراهيم كان أمة

المبحث الثالث : إني جاعلك للناس إماما

المبحث الرابع : ملة أبيكم إبراهيم

المبحث الخامس : وإبراهيم الذي وفى

المبحث السادس : إن إبراهيم لحليم أواه منيب

المبحث السابع : ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا

المبحث الثامن : أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا

الفصلُ الثاني

ثناءُ الله Y على إبراهيم U في القرآن الكريم

مما امتن الله تعالى به على عباده أن يذكرهم إذا ذكروه ، ولكن ذكر الله تعالى لهم ليس كذكرهم إياه ، بل هو أكبر وأعظم ، فهو الجواد الكريم I ، قال الله تعالى : ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: 45] ، ويفسر كلمة (أكبر) ما ورد في الحديث القدسي : (فَإِنْ ذَكَرْتَنِي فِي نَفْسِي ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ، وَإِنْ ذَكَرْتَنِي فِي مَلَأِ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأِ خَيْرٍ مِنْهُمْ)⁽¹⁾.

وإبراهيم U من الذين عبدوا الله I حقاً ، عبدوه بأفعالهم وأقوالهم ، وجرّدوا قلوبهم من كل ما يشغلها عن الله العظيم ، فمنّ الله تعالى عليه بمننٍ عظيمة ، ونعم جليّة ، وأثنى عليه ومدحه ، وما وصل أحد من البشر إلى منزلته عند الله غير نبينا محمد .p ، نجد المدح والثناء على إبراهيم U خلال تلاوتنا لآيات الذكر الحكيم ، وعند الاطلاع على أقوال سيد المرسلين p ، فأيات كثيرة وأحاديث عديدة بينت لنا مكانة إبراهيم عند رب العالمين : فلقد اتخذ الله تعالى إبراهيم خليلاً ، وجعله إماماً ، واعتبر دينه هو الدين ؛ لأنه على الحنفية السمحة ، وأمرنا باتباع ملته ، وصّفه بالحليم الأواه المنيب ، وأثنى عليه بالوفاء ، وفوق كل هذه مدحه بوصف جامع للخير من جميع جهاته فقال : ﴿إِنَّ

إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل: 120] .

وسيتّم الكلام في هذا الفصل عن بعض ما أثنى الله تعالى على إبراهيم U ، ضمن مباحث ثمانية ، جُعِل عنوان كل مبحث منها نصاً من القرآن الكريم ، ومنها نستطيع أن ندرك شيئاً من أسرار هذه الشخصية العظيمة الجليّة الكبيرة.

(1) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، ح (7405).

المبحث الأول

وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا

هذا الكلام نص آية قرآنية من كتاب الله تعالى الكريم⁽¹⁾ ، مدح الله بها إبراهيم U ، فقد أكرمه بهذه الكرامة ، وشرفه بهذه المكانة ، ورفع فيه درجات ، فاق فيها جميع المخلوقات ، ما خلا سيدنا محمدا - عليهما أفضل الصلوات .

ويأتي تفصيل الكلام في هذا المبحث عبر ثلاثة مطالب ، الأول : بعض ما ورد من الأحاديث النبوية الشريفة التي تثبت وتوضح صفة الخلّة ، والثاني : المعنى المراد من كلمة خليل لغة ، والمطلب الثالث : معنى كلمة الخليل عند علماء التفسير .

المطلب الأول : بعض ما ورد من الأحاديث النبوية الشريفة لإثبات صفة الخلّة :

ثبتت صفة الخلّة في عدد من الأحاديث النبوية الشريفة ، في كثير من كتب السنة المطهرة ، منها :

* في البخاري أنه قيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ : مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ ؟ قَالَ : (أَنْفَاهُمْ) ، فَقَالُوا : لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ ، قَالَ : (فَيُؤَسِّفُ نَبِيُّ اللَّهِ ابْنَ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنَ خَلِيلِ اللَّهِ)⁽²⁾.

* وفي مسلم عن أنس بن مالك r قال: حدثنا محمد p قال: (إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَاجَ النَّاسِ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ، فَيَأْتُونَ آدَمَ ، فَيَقُولُونَ لَهُ : اشْفَعْ لِدُرِّيْنِكَ ، فَيَقُولُ : لَسْتُ لَهَا ، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ U فَإِنَّهُ خَلِيلُ اللَّهِ ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ ، فَيَقُولُ : لَسْتُ لَهَا...) ، وفي رواية أخرى يقول آدم U : (أَذْهَبُوا إِلَى ابْنِي إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ ، قَالَ : فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ : لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ ، إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلًا مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ ، اْعْمِدُوا إِلَى مُوسَى p الَّذِي كَلَّمَهُ اللَّهُ تَكْلِيمًا...)⁽³⁾.

* وفي مسلم أيضا من حديث جندب⁽⁴⁾ قال : " سَمِعْتُ النَّبِيَّ p قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ وَهُوَ يَقُولُ : (إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا)⁽⁵⁾.

(1) سورة النساء [آية: 125].

(2) أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، ح(3383)، ومسلم، كتاب الفضائل، ح(2378).

(3) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، ح(194).

(4) جندب: جندب بن عبد الله بن سفيان البجلي العنقي الأحمسي، ويقال له جندب بن سفيان فينسب إلى جدّه، وجندب الخيل وابن أم جندب. صاحب النبي p. نزل بالكوفة ثم انتقل إلى البصرة ثم خرج منها ومات في فتنة ابن الزبير بعد أربع سنين منها. وله رواية عن أبي بن كعب وحذيفة بن اليمان، وروى عنه الحسن البصري ومحمد بن سيرين وبكر بن عبد الله المزني وغيرهم. انظر: (ابن عبد البر، الاستيعاب، (256/1) ، و(الزركلي، الأعلام، (4/248).

(5) صحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ح(532) .

* وفي سنن الترمذي⁽¹⁾ عن ابن عباس⁽²⁾ قَالَ: "جَلَسَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَنْتَظِرُونَهُ قَالَ: فَخَرَجَ حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْهُمْ سَمِعَهُمْ يَتَذَكَّرُونَ فَسَمِعَ حَدِيثَهُمْ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : عَجِبْنَا إِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَ مِنْ خَلْقِهِ خَلِيلًا اتَّخَذَ مِنْ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا . وَقَالَ آخَرُ : مَاذَا بَأَعَجَبَ مِنْ كَلَامِ مُوسَى كَلِمَةً تَكْلِيمًا . وَقَالَ آخَرُ : فَعَيْسَى كَلِمَةُ اللَّهِ وَرُوحُهُ . وَقَالَ آخَرُ : أَدَمُ اصْطَفَاهُ اللَّهُ . فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ فَسَلَّمَ ، وَقَالَ : (قَدْ سَمِعْتُ كَلَامَكُمْ وَعَجِبْتُكُمْ . إِنَّ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلُ اللَّهِ وَهُوَ كَذَلِكَ ، وَمُوسَى نَجِيُّ اللَّهِ وَهُوَ كَذَلِكَ ، وَعَيْسَى رُوحُهُ وَكَلِمَتُهُ وَهُوَ كَذَلِكَ ، وَأَدَمُ اصْطَفَاهُ اللَّهُ وَهُوَ كَذَلِكَ ، أَلَا وَأَنَا حَبِيبُ اللَّهِ وَلَا فَخْرَ ، وَأَنَا حَامِلُ لَوَاءِ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ ، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشْفَعٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يُحْرِكُ حِلْقَ الْجَنَّةِ فَيَفْتَحُ اللَّهُ لِي فَيُدْخِلُنِيهَا وَمَعِيَ قُرَاءُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا فَخْرَ ، وَأَنَا أَكْرَمُ الْأَوْلِيَيْنِ وَالْآخِرِينَ وَلَا فَخْرَ) " (3).

المطلب الثاني : المعنى المراد من كلمة خليل لغة :

الخليل في اللغة : هو الصديق ، والخليل : الحبيب ، والناصح ، والرفيق ، والفقير...، والخليل : الصادق أو من أصفى المودة وأصحها ، والخلة: الصداقة المختصة التي ليس فيها خلل ، وهي : الصداقة والمحبة التي تخلت القلب فصارت خلاله أي في باطنه ، والخل : الود والصديق ، والخلة : الحاجة والفقير⁽⁴⁾ .

المطلب الثالث : معنى كلمة الخليل عند علماء التفسير :

هذا وقد ذكر علماء التفسير في معنى كلمة الخليل معاني عظيمة وجلييلة ، منها :

قول الجصاص⁽⁵⁾: "قد قيل فيه وجهان ، أحدهما: الاصطفاء بالمحبة والاختصاص بالأسرار دون من ليس له تلك المنزلة ، والثاني : أنه من الخلة ، وهي الحاجة ، فخليل الله المحتاج إليه ، المنقطع إليه بحوائجه . فإذا أريد به

(1) الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة بن موسى السلمي الترمذي ، أبو عيسى، ولد بترمذ سنة (209هـ) من علماء الحديث وحفاظه، وكان يضرب به المثل في الحفظ، كان من شيوخه الإمام البخاري، له مصنفات منها: صحيح الترمذي في الحديث والشمال النبوية، وتوفي بترمذ (279هـ). انظر: (كحالة، معجم المؤلفين، (573/3) و(الزركلي، الأعلام، (322/6) .

(2) ابن عباس: عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، أبو العباس، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، وكان ابن ثلاث عشرة سنة إذ توفي رسول الله ﷺ، ويقال أنه ولد في الشعب قبل خروج بني هاشم منه، وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين. ومات بالطائف سنة 68هـ في أيام ابن الزبير ، وصلى عليه ابن الحنفية وقال: اليوم مات رباني هذه الأمة، وروى عن النبي ﷺ أنه قال لعبد الله: " اللهم علمه الحكمة وتأويل القرآن ". وفي بعض الروايات: " اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل ". انظر: (ابن عبد البر، الاستيعاب، (933/3) و(ابن الجوزي، صفة الصفوة، (746/1) و (الذهبي، سير أعلام النبلاء ، (439/4) و(ابن حجر العسقلاني، الإصابة، (121 /4) .

(3) أخرجه الترمذي ، أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ ح(3616)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ ، وقال الألباني : ضعيف . انظر: التبريزي، محمد بن عبد الله الخطيب، مشكاة المصابيح ، ح(5762) ، (252/3) ، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي، بيروت، ط(3)، 1985م .

(4) ابن منظور، لسان العرب، 4(202-203)، مادة: (خلل).

(5) الجصاص: أحمد بن علي الرازي ، أبو بكر، من أهل الري، سكن بغداد، ولد سنة (305هـ)، انتهت إليه رئاسة الحنفية، ألف كتاب أحكام القرآن، وكتاباً في أصول الفقه مخطوط، توفي سنة (370هـ). انظر: (الداوودي، طبقات المفسرين، (56 /1) و(الزركلي، الأعلام 171/1) و(كحالة، معجم المؤلفين، (202/1) و(نويهض، معجم المفسرين، (48/1).

الوجه الأول جاز أن يقال : إن إبراهيم خليل الله والله تعالى خليل إبراهيم ، وإذا أريد به الوجه الثاني لم يجز أن يوصف الله بأنه خليل إبراهيم ، وجاز أن يوصف إبراهيم بأنه خليل الله⁽¹⁾.

وقال الطبري⁽²⁾ : " فإن قال قائل : وما معنى " الخُلة " التي أعطيها إبراهيم ؟ قيل : ذلك من إبراهيم U : العداوة في الله والبغض فيه ، والولاية في الله والحب فيه ، على ما يعرف من معاني " الخلة ". وأما من الله لإبراهيم : فنصرته على من حاوله بسوء ، كالذي فعل به إذ أرادته نمرود بما أرادته به من الإحراق بالنار فأنقذه منها ، وأعلى حجته عليه إذ حاجه ، وكما فعل ملك مصر إذ أرادته عن أهله - وتمكينه مما أحب - وتصويره إماماً لمن بعده من عباده ، وقدوة لمن خلفه في طاعته وعبادته ، فذلك معنى مُخَالَتِهِ إياه⁽³⁾.

وقال ابن الجوزي : " قال بعض أهل اللغة : الخليل ، المُحِبِّ ، والمحِب الذي ليس في محبته نقص ولا خلل ، والمعنى : أنه كان يحب الله ويحبه الله محبة لا نقص فيها ولا خلل ، ويقال : الخليل : الفقير ، فالمعنى : اتخذه فقيراً إليه ، يُنزل فقره وفاقتة به ، لا بغيره⁽⁴⁾.

وأما ابن كثير فيرى أن " هذا من باب الترغيب في اتباعه ؛ لأنه إمام يُتَدَى به حيث وصل إلى غاية ما يتقرب به العباد له ، فإنه انتهى إلى درجة الخلة التي هي أرفع مقامات المحبة ، وما ذاك إلا لكثرة طاعته لربه⁽⁵⁾.

والذي يظهر مما سبق أن الخُلة هي أعلى رتبة للعلاقة بين اثنين ، فهـ ي أعظم من المحبة ، ثم هي أعظم من الصداقة ، فالخليل محب ليس في محبته خلل ، وتخللت محبته شغاف القلب ، وال خليل صديق خالص الصداقة ناصح لصديقه ، والذي يؤكد هذه المعاني أن رسول الله P ثبتت محبته لكثير من الصحابة W ورفض أن يكون خليلاً لأقربهم منه منزلة ، وأحبهم إلى قلبه أبي بكر الصديق⁽⁶⁾ ، والصديق صيغة مبالغة تفيد الصدق والصداقة والتصديق ، ومع هذا ما رضي رسول الله P دون الله خليلاً ، وهذا قد ثبت لنبينا P الأمران الخلة والمحبة من الله

(1) الجصاص، أبو بكر بن علي الرازي (ت 370هـ)، أحكام القرآن ، (354/2) ، ضبط نصه وخرج آياته : عبد السلام محمد علي شاهين، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت، (ب-ت) .

(2) الطبري: محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر، الحبر البحر الإمام صاحب التفسير والتاريخ والمصنفات الكثيرة، رأس المفسرين على الإطلاق، جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، فكان حافظاً لكتاب الله، بصيراً بالمعاني، فقيهاً في أحكام القرآن، عالماً بالسنن وطرقها، صحيحها وسقيمها، ناسخها ومنسوخها ، عالماً بأحوال الصحابة والتابعين ، بصيراً بأيام الناس وأخبارهم. وكان ثقة في نقله، وتاريخه أصح التواريخ وأثبتها، ولد في طبرستان، وسكن بغداد ومات فيها سنة(310هـ). انظر: (ابن خلكان، وفيات الأعيان، (4 / 191) و(الداودي، طبقات المفسرين، (2 / 110) و(الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، (205/1) و(الزركلي، الأعلام، (6/69).

(3) الطبري، تفسير الطبري، (4/296-297) .

(4) ابن الجوزي، زاد المسير، (1/487) .

(5) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (1/559)

(6) أبو بكر الصديق: عبد الله بن أبي قحافة النخعي القرشي، كان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة فسماه رسول الله P عبد الله، أول من آمن برسول الله P من الرجال، ولد بمكة وكان من سادات قريش ومن كبار موسريهم، عالماً بالأنساب، بويح بالخلافة بعد وفاة الرسول P سنة(11هـ)، وحارب المرتدين، توفي في المدينة سنة(13هـ)، له في كتب الحديث 142 حديثاً. انظر: (ابن عبد البر، الاستيعاب، (963/3) و(ابن الجوزي، صفة الصفوة، (1/235) و(ابن الأثير، أسد الغابة، (3/204) و(الذهبي، سير أعلام النبلاء، (2/467).

تعالى ، وثبت لإبراهيم U الخلة فقط وإن كانت المحبة تُفهم ضمنا ، ليس هذا فحسب فإننا نجد إبراهيم U يُقرّ في الموقف العظيم - في ساعة الشدة في المحشر - أنه كان خليلا (من وراء وراء) ⁽¹⁾ وهذا يعني أن هناك من سبقه إلى الخلة ، ثم يأتي هو وراءه ، وهو نبينا محمد p ، والله تعالى أعلى وأعلم .

(1) انظر تخريجه: (ص 11) .

المبحث الثاني

إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً

آية عظيمة من آيات الله تعالى العظيم ، يصرف فيها عظيماً من خلقه ، فعِظْمُ الوصف يدل على عِظَمِ الموصوف وجَلَّالَة قدره وعلو شأنه ، فكيف إذا كان الذي يصف هذا الوصف العظيم هو الله تعالى العليم ؟

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ بداية آية من كتاب الله الكريم ، تتبعها عدة آيات تتعلق بإبراهيم - عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، تذكر لنا شيئاً من صفاته ، نتلوها ونتدبر معانيها لنندرك بعض مراميها ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَا يَكُ مِنَ الْمُفْرِكِينَ﴾ 120 ﴿هَا كَرِيمًا لِأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَوَعَدَهُ الْإِلَهَ حَرِاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ 121 ﴿وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّا فِيهِ الْآخِرَةُ لَمِنَ الْعَالِمِينَ﴾ [النحل : 120-122].

وسيمت الكلام في هذا المبحث ضمن مطلبين ، الأول : معنى كلمة أمة لغة ، والثاني : أقوال بعض أهل التفسير في المعنى المراد من كلمة أمة وسبب استحقاقه لهذا الوصف.

المطلب الأول : معنى كلمة أمة لغة :

الأمة من الألفاظ المشتركة التي تقع على عدة معانٍ في اللغة ، منها : الشريعة ، والدين ، والطريقة ، والحين ، والمُلك ، والأمة أيضاً : أتباع الأنبياء ، والرجل المنفرد بدينه لا يشركه فيه أحد ، والأمة : الإمامة ، والائتمام بالإمام ، والرجل الجامع للخير⁽¹⁾.

وهذا المعنى الأخير هو المراد من الآية - كما سيظهر بعد قليل ، فإبراهيم ٥ اتصف بصفات عظيمة جمع فيها صفات أمة في البر والخير والدعوة والعبادة والمعاملة ... ، ولقد كان وحيداً فريداً في فترة من حياته ، ثم ما آمن معه إلا قليل ، ففي صحيح البخاري أنه ٥ قال لزوجه : (يَا سَارَةَ لَيْسَ عَلَيَّ وَجْهَ الْأَرْضِ مُؤْمِنٌ غَيْرِي وَعَيْرِكَ)⁽²⁾.

(1) انظر: ابن منظور، لسان العرب، (216/1)، مادة(أمم).

(2) أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، ح(3358) .

المطلب الثاني : أقوال بعض أهل التفسير في المعنى المراد من كلمة أمة وسبب استحقاق إبراهيم ﷺ لهذا الوصف :

قال القرطبي⁽¹⁾: " والأمة الرجل الجامع للخير"⁽²⁾.

وذكر البيضاوي⁽³⁾ أن السبب في استحقاق إبراهيم ﷺ لهذا المدح هو : " كماله ، واستجماعه فضائل لا تكاد توجد مفرقة في أشخاص كثيرة ... ، وهو رئيس الموحدين ، وقوة المحققين ، الذي جادل فرق المشركين ، وأبطل مذاهبهم الزائغة ، بالحجج الدامغة..."⁽⁴⁾ .

ونقل الآلوسي⁽⁵⁾ عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قوله : كان عنده ﷺ من الخير ما كان عند أمة وهي الجماعة الكثيرة ، ثم قال (أي الآلوسي) : " فإطلاقه عليه ﷺ لاستجماعه كمالات لا تكاد توجد إلا متفرقة في أمة جمة... وهو رئيس الموحدين وقوة المحققين الذي نصب أدلة التوحيد ورفع أعلامها ، وخفض رايات الشرك ، وجزم ببواتر الحجج هامها"⁽⁶⁾.

وبهذه الأوصاف التي اتصف بها إبراهيم ﷺ استحق بجدارة أن ينال المكانة المرموقة ، وأن يوصف بالأوصاف الجميلة الجليلة ، من رب العزة جل جلاله ، وأن يثنى عليه ويمدح فهو ﷺ أهل للمدح والثناء .

ولقد كانت العرب في كلامها وفي أساليب بيانها تصف الرجل بألف رجل ، وتعتب أن الكثير من الرجال أصفار ، توضع على اليسار ، إذ لا قيمة لها في الميزان ، وبلغت العرب نزل القرآن ، فوصف الله تعالى شأنه إبراهيم ﷺ بأنه كان أمة ، وذكر الرسول ﷺ زيد بن عمرو بن نفيل⁽⁷⁾ فقال مخبراً عن حاله : (يأتي يوم القيامة أمة وحده)⁽¹⁾ ،

(1) القرطبي: محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله ، من كبار المفسرين ، ومن الصالحين المتعبدين، من أهل قرطبة. رحل إلى الشرق واستقر بمصر وتوفي فيها. من كتبه " الجامع لأحكام القرآن ، والتذكرة بأحوال الموتى وأحوال الآخرة ، انظر: (الذهبي، سير أعلام النبلاء، (101/17) و(الداودي، طبقات المفسرين، (69/2) و(نويهض، معجم المفسرين، (479/2).

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (10 /197) ، وانظر: المحلي والسيوطي، تفسير الجلالين، (ص369) .

(3) البيضاوي : عبد الله بن عمر الشيرازي، أبو سعيد، قاضٍ ومفسر، ولد في المدينة البيضاء قرب شيراز، وتوفي بتبريز سنة 791هـ، له تصانيف منها: أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي، ومنهاج الوصول إلى علم الأصول. انظر: (الداودي، طبقات المفسرين، (1 /248) و(كحالة، معجم المؤلفين، (2 /266) و(الزركلي، الأعلام 4/110).

(4) البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي(ت 791هـ): تفسير البيضاوي المسمى: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (560/1)، دار البيان العربي، ط(1)، 2002م .

(5) الآلوسي: أبو الفضل وقيل: أبو الثناء، شهاب الدين السيد محمود بن عبد الله الحسيني، مفسر، محدث، فقيه، أديب، لغوي، نحوي، مشارك في بعض العلوم من المجددين، ولد سنة(1217 هـ) وتوفي سنة(1270 هـ) ، من أهل بغداد، مولده ووفاته فيها. كان سلفي الاعتقاد، تقلد الإفتاء ببلده سنة 1248 هـ . وعزل فانقطع للعلم ، ومن تصانيفه: روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني وحاشية على شرح القطر في النحو. انظر: (الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، (352/1) و(الزركلي، الأعلام(7/176) و(كحالة، معجم المؤلفين، (3 /815).

(6) الآلوسي، روح المعاني، (14 /249) .

(7) زيد بن عمرو بن نفيل: قرشي عدوي، ابن عم عمر بن الخطاب ، لم يدرك الإسلام، وكان يكره عبادة الأصنام، ولا يأكل مما ذبح عليها، كان يعبد الله على دين إبراهيم ﷺ ، توفي قبل مبعث الرسول ﷺ بخمس سنوات. انظر: (ابن الأثير، أسد الغابة، (2/157) و(الزركلي، الأعلام، (3/60).

وكان زيد بن عمرو بن نفيل قد مات قبل بعثة الرسول p ، ووصف عبد الله بن مسعود⁽²⁾ معاذ بن جبل⁽³⁾ بأنه أمة ، فعن مسروق⁽⁴⁾ قال : " قرأت عند عبد الله بن مسعود : **﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ﴾** ، قال : فقال ابن مسعود : إن معاذاً كان أمة قانتاً ، قال : فأعادوا عليه ، فأعاد ، ثم قال : أتدرون ما الأمة ؟ الذي يعلم الناس الخير ، والقانت الذي يطيع الله ورسوله"⁽⁵⁾.

-
- (1) أخرجه الحاكم في المستدرک ، كتاب معرفة الصحابة رضي الله تعالى عنهم، ح (4956) ، وقال: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه. وقال الذهبي: على شرط مسلم .
- (2) عبد الله بن مسعود: أبو عبد الرحمن الهنلي، أمه أم عبد، أسلم قبل دخول النبي p دار الأرقم، يقال: كان سادساً في الإسلام، هاجر إلى الحبشة الهجرتين وشهد بدرأ والمشاهد كلها، أول من جهر بالقرآن بمكة، خادم رسول الله p وصاحب سواكه ونعلبه وطهوره في السفر، له في كتب الحديث 848 حديثاً. انظر: (ابن عبد البر، الاستيعاب، (987/3) و(ابن الجوزي، صفة الصفوة، (395/1) و(ابن حجر العسقلاني، الإصابة، (4/ 198) و(الزركلي، الأعلام، (137/4).
- (3) معاذ بن جبل: أبو عبد الرحمن، أنصاري خزرجي، أسلم وعمره ثماني عشرة سنة شهد العقبة الثانية، وشهد بدرأ والمشاهد كلها، أعلم الأمة بالحلال والحرام، جمع القرآن على عهد رسول الله p، بعثه الرسول p بعد غزوة تبوك قاضياً إلى اليمن، فبقي فيها إلى أن مات رسول الله p ثم عاد إلى المدينة، مات أيام طاعون عمواس. انظر: (ابن عبد البر، الاستيعاب، (3/ 1402) و(ابن الجوزي، صفة الصفوة، (489/1) و(ابن الأثير، أسد الغابة، (4/400) و(ابن حجر العسقلاني، الإصابة، (107/7).
- (4) مسروق: مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني الوداعي، أبو عائشة: تابعي ثقة، من أهل اليمن، قدم المدينة أيام أبي بكر، وسكن الكوفة، شهد حروب علي ع، وكان أعلم بالفتيا من شريح، وشريح أبصر منه بالقضاء. انظر: (ابن الجوزي، صفة الصفوة، (24/3) و(الذهبي، سير أعلام النبلاء، (5/102) و(الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، (1/119) و(الزركلي، الأعلام، (7/215).
- (5) أخرجه الحاكم في المستدرک ، كتاب التفسير، ح(3367)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي على ذلك .

المبحث الثالث

إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا

من لطف الله Y ورحمته بالناس أن جعل لهم أئمة يقومون بتدبير أمورهم ، ويصلحون شؤونهم ، ويُقيمون العدل بينهم ، ويرفعون الظلم عنهم ، ويُطبقون شرع الله فيهم ، ويُقيمون أحكامه عليهم ، وبدون وجود هؤلاء الأئمة تعم الفوضى في البشرية ، ويتخبط الناس في ظلمات الكفر والجهل والانحلال ، فالإمام هو المثل الأعلى والقدوة الصالحة ، وبه يتحقق الإيمان ، فهو الحصن الحصين ، والدرع المكين .

ولقد منّ الله Y على إبراهيم U - من قبل - بالإمامة للناس كافة ، فقال جلّ من قائل : ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة : 124] ، فما من أهل دين إلا ويدعون نسبة إلى سيدنا إبراهيم U ، وخاصة منهم أصحاب الكتب المحرفة - اليهود والنصارى ، وقد ردّ الله I على زعمهم بقوله : ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران : 68] ، فأهل الإيمان الحق والاتباع الصادق هم أولياؤه ، وهو وليهم وسيدهم وإمامهم وقائدهم وقيادتهم ، ينتسبون إليه نسب الدين إن لم يكن بينهم نسب حقيقي ، ولقد سمّاه الله Y أباهم في سورة الحج فقال : ﴿مَلَأْنَا آبَاءَكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الحج : 78] .

ولمعرفة المعنى المراد من الإمامة لا بدّ من الوقوف على المعنى اللغوي لكلمة إمام ، ومعناها الشرعي الذي ذكره المفسرون ، وذلك ضمن مطلبين : الأول : معنى كلمة الإمام لغة ، والثاني : المعنى المقصود من كلمة الإمام في الآية : ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ .

المطلب الأول : معنى كلمة الإمام لغة :

كلمة إمام مشتقة من (أَمَّ) بالفتح بمعنى : قَصَدَ . يقال : أَمَّهُ يَوْمُهُ قَصَدَهُ ، والإمام : كل من انتَمَّ به قومٌ كانوا على الصراط المستقيم أو كانوا ضالّين ، وإمامٌ كلُّ شيءٍ : قَيْمُهُ والمُصْلِحُ له ، والقرآنُ إمامُ المُسلمين ، وسيدنا محمد رسول الله p إمام الأئمة ، والخليفة : إمام الرعيّة ، وإمامُ الجُنْدِ : قائدهم . والإمامُ : الخَيْطُ الذي يُمدُّ على البناء فيبْنَى عليه ويُسَوَّى عليه سافُ البناء ، وهو من ذلك ، والإمامُ : الطريقُ ، ويقال : فلانُ إمامُ القومِ : المتقدمُ لهم⁽¹⁾ .

(1) انظر: ابن منظور، لسان العرب، (214/1)، مادة: (أَمَّ).

وذكر الراغب الأصفهاني⁽¹⁾ قولاً مختصراً لهذه المعاني فقال : "والإمام المؤتم به إنساناً ك أن يقتدي بقوله أو فعله ، أو كتاباً أو غير ذلك محققاً كان أو مبطلاً".⁽²⁾ فجمع بهذا القول أكثر الأقوال التي ذُكرت .

وإذا كانت العرب قد أطلقت كلمة إمام على الخيط الذي يمد فيبنى ويُسوى عليه البناء ، فإن هذا دليل على أن العرب في لغتها قد شبهت الإمام بهذا الخيط ، وهذا يعني أنه إذا استقام الخيط واستوى استقام البناء وكان مستوياً ، وبالتالي إذا استقام الإمام استقام المأموم ، وبهذا يبرز أثر صلاح الإمام على من يأتي به ، ويبرز معنى اختيار إبراهيم ؑ ليكون إماماً للناس من قبل الله . I .

المطلب الثاني : المعنى المقصود من كلمة الإمام في الآية : ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾

أما معنى كلمة (إمام) الموصوف بها إبراهيم ؑ فقد ذكر معناها أئمة التفسير ، وهذه طائفة من أقوالهم :

ذكر الطبري أن المعنى : " إني مُصَيِّرُكَ تَوَمَّ من بعدك من أهل الإيمان بي وبرسلي ، نتقدمهم أنت ، ويتبعون هديك ، ويستنون بسنتك التي تعمل بها ، بأمرني إِيَّاكَ ووحيني إليك"⁽³⁾.

وقال الرازي⁽⁴⁾ : " ... لأن الله تعالى ذكر لفظ الإمام ههنا في معرض الامتتان ، فلا بدَّ وأن تكون تلك النعمة من أعظم النعم ليحسن نسبة الامتتان فوجب حمل هذه الإمامة على النبوة"⁽⁵⁾.

وقال القشيري⁽⁶⁾ : "ورتبة الإمامة أن يفهم عن الحق ، ثم يفهم الخلق ؛ فيكون واسطة بين الحق والخلق ، يكون بظاهره مع الخلق لا يفتر عن تبليغ الرسالة ، ويباطنه مشاهدًا للحق ، لا يتغير له صفاء الحالة"⁽⁷⁾.

(1) الراغب الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل من الحكماء العلماء من أهل أصبهان، وسكن بغداد، واشتهر حتى كان يقرن بالغزالي ، وله كتب منها: محاضرات الأدباء، ومفردات القرآن. انظر: (الزركلي، الأعلام، (225/2) و(كحالة، معجم المؤلفين، (642/1) و(نويهض، معجم المفسرين، (158/1).

(2) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد(ت 502 هـ)، المفردات في غريب القرآن ، (ص24)، تحقيق وضبط: محمد سيد كيلاني، (ب-ت) .

(3) الطبري، جامع البيان، (577/1) .

(4) الرازي: محمد بن عمر بن الحسين، الإمام فخر الدين القرشي البكري. من ذرية أبي بكر الصديق .ت. أحد الفقهاء الشافعية المشاهير بالتصانيف الكبار والصغار، له نحو من مائتي مصنف، أهمها: تفسيره المسمى التفسير الكبير ومفاتيح الغيب. ولد سنة 544 هـ، وتوفي سنة 604 هـ، وقيل: 606 هـ. انظر: (الداودي، طبقات المفسرين، (215/2) و(الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، (290/ 1) و(كحالة، معجم المؤلفين، (3/ 558) و(نويهض، معجم المفسرين، (596/2).

(5) الرازي، محمد فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر(ت 604 هـ)، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، (44/2)، قدم له: خليل محيي الدين الميس، دار الفكر، بيروت، 1995 م .

(6) القشيري: أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان بن عبد الملك النيسابوري ، شيخ خراسان، كان أوجد عصره في العلوم الدينية، أصولاً وفروعاً، ومجتهد زمانه في المذهب، وفريد وقته في التفسير، وكان إماماً، قدوة، محدثاً، فقيهاً، متكلماً، نحوياً، كاتباً، شاعراً، زاهداً، واعظاً، حسن الوعظ، مليح الإشارة، حلو العبارة، انتهت إليه رئاسة التصوف في زمانه. انظر: (الذهبي، سير أعلام النبلاء ، (564/13) و(الداودي، طبقات المفسرين، (314/1) و(كحالة، معجم المؤلفين، (2/ 212) .

(7) القشيري، أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان بن عبد الملك النيسابوري(ت 465 هـ)، تفسير القشيري المسمى لطائف الإشارات، (66-67)، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(1)، 2000 م .

وقال القرطبي : " يقتدي بك الصالحون . فجعله الله تعالى إماماً لأهل طاعته ؛ فلذلك اجتمعت الأمم على الدعوى فيه "(1).

وقال البيضاوي: "إمامته عامة مؤيدة ، إذ لم يبعث بعده نبي إلا كان من ذريته مأموراً باتباعه "(2).

وقال الأوسي : " إن المراد به هنا النبي المقتدى به ، فإن من عداه لكونه مأموم النبي ليست إمامته كإمامته ، وهذه الإمامة إما مؤيدة - كما هو مقتضى تعريف الناس - وصيغة اسم الفاعل الدال على الاستمرار ولا يضر مجيء الأنبياء بعده ؛ لأنه لم يبعث نبي إلا وكان من ذريته ومأموراً باتباعه في الجملة لا في جميع الأحكام لعدم اتفاق الشرائع التي بعده في الكل ، فتكون إمامته باقية بإمامة أولاده التي هي أبعاضه على التناوب ، وإما مؤقتة بناء على أن ما نسخ - ولو بعضه - لا يقال له مؤيد ، وإلا لكانت إمامة كل نبي مؤيدة ولم يشع ذلك ... والامتنان على إبراهيم ﷺ بذلك دون غيره لخصوصية اقتضت ذلك لا تكاد تخفى ، فتدبر"(3).

وبهذا تتضح الحكمة من جعل إبراهيم ﷺ إماماً ؛ فإنه أهل لهذه المنزلة العلية والدرجة السنية ، لقد كان أهلاً للاقتداء في أقواله وأفعاله وجميع أحواله ، جدير بمثله أن يتسلم قيادة البشرية ، يتقدم الناس إلى كل خير ويكون الناس له تبع ، ولقد ترجم البخاري - رحمه الله - في صحيحه باباً باسم : (أهل العلم والفضل أحق بالإمامة) أي ممن ليس كذلك ، ومقتضاه أن الأعلم والأفضل أحق من العالم والفاضل (4) ، وهذا يدل على أهم صفات الإمام وهي العلم والفضل ، ولقد كان إبراهيم ﷺ كذلك - بل كان الأعلم والأفضل والأكمل .

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (107/2) .
(2) البيضاوي، تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل (85/1).
(3) الأوسي، روح المعاني، (375/1) .
(4) انظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، (165-164/2) .

المبحثُ الرابعُ

مِلَّةٌ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ

أمر الله Y رسوله p باتباع ملة إبراهيم U ، والأمر له أمر لجميع الأمة - كما هو معلوم ، فالكل مأمور بالاتباع ، ولأن هذا الأمر لا يكون إلا بسبب استحقاق لهذه المنزلة ، فسيكون البيان في هذا المبحث لمعنى كلمة الملة لغة ، ومفهومها عند العلماء ، ثم تأويل قوله تعالى ، ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الحج : 78] ، وذلك ضمن ثلاثة مطالب .

المطلب الأول : معنى كلمة الملة لغة :

قال ابن منظور (1) : المِلَّةُ : الشريعة والدين . وفي الحديث : (لا يَتَوَارَثُ أَهْلُ مِلَّتَيْنِ) (2) . والمِلَّةُ : الدين ، كَمِلَّةِ الإسلام والنَّصرانية واليهودية ، وقيل : هي مُعْظَمُ الدين ، وجملة ما يجيء به الرسل . والمِلَّةُ : السنة والطريق (3) .

إذن فكلمة الملة تعني : الشريعة والسنة والطريقة ومعظم الدين ، وسيأتي الفرق بين الملة والدين .

المطلب الثاني : المعنى المفهوم من كلمة (مِلَّة) :

جعل الله I لكل نبي من أنبيائه ملة يتبعها هو ومن آمن معه ، وهذه الملة تُنسب إليه ولا تُنسب إلى من يقوم بتطبيقها من الناس غيره ، كما وأنها لا تنسب إلى الله I ، قال الراغب الأصفهاني : " الملة كالدين ، وهو اسم لما شرع الله تعالى لعباده على لسان الأنبياء ليتوصلوا به إلى جوار الله ، والفرق بينها وبين الدين أن الملة لا تضاف إلا إلى النبي عليه الصلاة والسلام الذي تسند إليه . نحو : ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ [آل عمران : 95] ، ﴿وَاتَّبِعُوا مِلَّةَ آبَائِي﴾ [يوسف : 38] ، ولا تكاد تطلق مضافة إلى الله ، ولا إلى آحاد أمة النبي p ، ولا تستعمل إلا في حَمَلَةِ الشرائع دون آحادها ، لا يقال : ملة الله ، ولا يقال : ملتي وملة زيد ، كما يقال : دين الله ودين زيد ، ولا يقال : الصلاة ملة الله... (4) .

(1) ابن منظور: محمد بن عبيد الله بن محمد، أبو بكر القيسي: أديب ، من أعلام القضاة. أصله من إشبيلية ، من بيت علم وفضل. نشأ بمالقة ، ثم كان قاضيها وخطيبها ، وتوفي فيها بالطاعون. من كتبه : لسان العرب - معجم ، ونفحات النسوك ، وعيون النبر المسبوك، في أشعار الخلفاء والوزراء والملوك ، توفي سنة 750 هـ . انظر : (الزركلي، الأعلام، (260/6) و(كحالة، معجم المؤلفين، (479/3) .

(2) سنن الترمذي، أبواب الفرائض عن رسول الله p ، ح (2108)، عن ابن أبي ليلى عن أبي الزبير عن جابر، قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث جابر إلا من حديث ابن أبي ليلى. و أخرجه الحاكم في المستدرک عن أسامة بن زيد ، كتاب التفسير، ح(2944) ، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه. وقال الذهبي: صحيح.

(3) ابن منظور، لسان العرب، (188/13)، مادة: (مل) .
(4) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، (ص 471) .

هذا وقد تطلق كلمة الملة على غير ما شرعه الله I على طريق المجاز ، فقد ذكر الله جل في علاه في كتابه آيات تدل على ذلك ، منها قول يوسف الصديق U : ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾ [يوسف : 37] ، وقال الله I على لسان الملائكة الذين استكبروا من قوم شعيب U : ﴿لَا تَخْزِيكَ يَا هَعْبِئَةَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَوْمِكَ أَوْ لَتَخُوذَنَّ فِي مِلَّتِنَا ...﴾ [الأعراف : 88] ، فرد عليهم نبي الله شعيب : ﴿قَدْ آمَنَّا بِمَا نَحَى اللَّهُ حَتَّىٰ إِنَّا لَمُذَنَّبَاتُ مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِطْرَاقِنَا اللَّهُ مِنْهَا ...﴾ [الأعراف : 89].

المطلب الثالث : تأويل قول الله : ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ :

ذُكر فيما سبق أن لكل نبي ملة خاصة به ، يتوصل بها إلى الله Y ، فملة لنوح ، وأخرى لصالح ، وثالثة لموسى ، عليهم صلوات ربنا وسلامه ، وملة خاصة بنبيينا عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم ، ومع ملته وهي تامة كاملة أمر أن يتبع ملة أبينا إبراهيم U في أكثر من آية ، قال الله Y : ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُفْرِكِينَ﴾ [البقرة : 135] ، وقال Y : ﴿وَمَا جَعَلْنَاكَ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكَ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ [الحج : 78] ، وذمَّ الله I من يرغب عن اتباع ملة إبراهيم ، ووبخه وأنكر عليه فقال : ﴿وَمَنْ يَزِجْكُمْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مِنْ سَفَاهَةٍ وَالْقَدِ اسْلَمَ بِنَاءَ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ السَّالِحِينَ﴾ [البقرة : 130] فلا يرغب عن ملته U إلا سفيه النفس ، خفيف العقل ، قليل الدين ، قال أبو السعود⁽¹⁾ : " ﴿وَمَنْ يَزِجْكُمْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ إنكار واستبعاد لأن يكون في العقلاء من يرغب عن ملته التي هي الحق الصريح والدين الصحيح ، أي : لا يرغب عن ملته الواضحة الغراء ﴿إِلَّا مَنْ سَفَاهَةٍ نَفْسَةٍ﴾ أي أذلها واستمهنها واستخف بها ، وقيل : خسر نفسه ، وقيل : أوبق أو أهلك أو جهل نفسه ؛ ... ذلك لأنه إذا رغب عما لا يرغب عنه أحد من العقلاء فقد بالغ في إذلال نفسه ، وذلتها وإهانتها حيث خالف بها كل نفس عاقلة⁽²⁾ .

وملة إبراهيم U - كما هي ملل جميع الأنبياء - إسلام وجه لله I مع الإحسان في التوجه إليه ، والطاعة لأمره ، ثم هي ميل عن الشرك إلى التوحيد الخالص ، قال الله Y : ﴿وَمَنْ أَحْسَنَ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّبَعَ اللَّهُ إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء : 125] ، ولقد أمر الله Y نبيه وحبيبه محمدا P أن يُخبر وأن يفخر باتباعه ملة إبراهيم U ، فقال : ﴿قُلْ إِنِّي سَمَّيْتُ رَبِّي إِلَهًا حَرَامًا مُسْتَقِيمًا دِينًا هَدَانًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُفْرِكِينَ﴾ [الأنعام : 161] . إن إبراهيم U منبع التوحيد ، الذي اتصلت حلقاته منذ عهد إبراهيم U فلم

(1) أبو السعود: محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، ولد سنة(893هـ)، بقرية قريبة من قسطنطينية، وهو من بيت عُرف أهلها بالعلم والفضل، فقرأ على والده كثيرا، وتلمذ لكثير من جُلَّة العلماء، حتى ذاع صيته، اشتغل بالتدريس والقضاء والفتوى، ومكث في منصب الإفتاء نحو(30) عاما، وتوفي بقسطنطينية(سنة 982 هـ). انظر: (الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، (345/1) و(الزركلي، الأعلام، (7/ 59) و(كحالة، معجم المؤلفين، (3/ 694) .

(2) أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي(ت 982هـ)، تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (200/1)، وضع حواشيه: عبد اللطيف عبد الرحمن، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(1)، 1999م.

تتقطع من الأرض ، ولم تفصل بينها فجوات مضيعة لمعالم العقيدة كالفجوات التي كانت بين الرسالات قبل إبراهيم (1).

والأصل في كل جملة اسمية أن تبدأ بمرفوع ، ولكن آية : ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ جاءت منصوبة مع عدم وجود الداعي للنصب من الناحية الحسية ، وقد ذكر الشوكاني (2) وغيره السبب في ذلك ، وبين أن انتصابه على المصدرية بفعل دل عليه ما قبله ، أو على تقدير حذف الكاف : أي كَمَلَّة . وقيل : التقدير : وافعلوا الخير كفعل أبيكم إبراهيم ، فأقام الملة مقام الفعل ، وقيل : على الإغراء أو الاختصاص (3)(4).

أما الذي يُتبع من ملة إبراهيم U فإن في سياق الآية التي ذكرها الله I في معرض الإغراء أو الاختصاص كما مر وهي : ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ ، ما يدل على الجواب ، فالله تعالى يقول : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَارْحَمُوا رَبَّكُمْ وَأَقْرَبُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (77) ﴿وَمَا سَأَلُوا رَبِّيَ إِلَّا أَنْ يُعْطِيَهُمْ وَيَكْفُرَهُمْ بِمَا تُكْفِرُوا بِهِ﴾ (78) ، إن في هذه الأوامر المذكورة منهاجاً شاملاً وكاملاً لعبادة الله Y وطاعته ، ويتضح هذا جلياً بقوله I : ﴿قُلْ إِنِّي سَأَلْتُ رَبِّيَ إِلَىٰ سِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قديمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُفْرِكِينَ﴾ (الأنعام : 161) ، والدين القيم الذي هو ملة إبراهيم: شامل لما ذكر كله (5).

وتبقى الإشارة إلى قوله Y : ﴿أَبِيكُمْ﴾ ، ففيه خطاب لجميع المسلمين ، وكأن كلاً منهم يمتد نسبه إلى إبراهيم الخليل U ، روي عن الحسن (6) أنه أراد أن حرمة إبراهيم على المسلمين كحرمة الوالد على الولد كما قال تعالى : ﴿وَأَرْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُ﴾ (1) [الأحزاب : 6].

(1) انظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن، (5/ 632) ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط(5)، 1967 م.
(2) الشوكاني: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني: فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء. ولد بهجرة شوكان (من بلاد خولان، باليمن) ونشأ بصنعاء. وولي قضاءها سنة 1229 ومات حاكماً بها. وكان يرى تحريم التقليد. له 114 مؤلفاً، منها: نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، والفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعية. انظر: (الزركلي، الأعلام، (6/ 298) و(كحالة، معجم المؤلفين، (3/ 541) و(نويهض، معجم المفسرين، (2/ 596) .
(3) الإغراء: هو نصب الاسم بفعل محذوف يفيد الترغيب والتشويق والإغراء، ويُقدَّر بما يناسب المقام: كالزَّمُّ، واطلب، وافعل، وفانذته تنبيه المخاطب على أمر محمود ليفعله، والاختصاص: نصب الاسم بفعل محذوف وجوبا تقديره: أخص، أو أعني. انظر: الغلابي، مصطفى، جامع الدروس العربية، (15/ 2-16)، المكتبة العصرية، بيروت - صيدا، ط(16)، 1983 م.
(4) الشوكاني، محمد بن علي (ت 1250هـ)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، (471/3)، دار الفكر، بيروت، 1983 م.
(5) انظر: الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي الموريتاني (ت 1393هـ)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (3/ 540)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط(1)، 1996 م.
(6) الحسن: أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري ، كان من سادات التابعين وكبرائهم ، وجمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة. وأبوه مولى زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه، وأمّه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي p، وربما غابت في حاجة فيبكي فتعطيه أم سلمة، رضي الله عنها، ثديها تعلقه به إلى أن تجيء أمه، فدر عليه ثديها فشربه، فيرون أن تلك الحكمة والفصاحة من بركة ذلك. انظر: (ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، (267/8) و(الشعراني، الطبقات الكبرى، ص 45) و(الذهبي، محمد

— —
=
حسين، التفسير والمفسرون، (124 /1) .
(1) الجصاص، أحكام القرآن، (327/3)

المبحثُ الخامسُ

وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى

ما أجمل كلمة الوفاء وما ألقى معانيها ؛ ذلك أنها تحمل في طياتها معالم الدين وتحقق ضمن مدلولاتها سعادة الدنيا، فهي أدبٌ رفيعٌ ، وخلقٌ كريمٌ ، وسلوكٌ راقٍ ، وكلامٌ سامٍ ، فالوفاء إخلاص ، وفيه بذل وعطاء ، ومحافظة على العهد : فلا غدر ولا خيانة ولا جحود ولا نكران للجميل ؛ الوفاء فيه تذكّر للود وحب وتقدير ، وفيه صبر وتضحية وعدم تفریط ، بالوفاء تكون العلاقات سليمة متينة راسخة – العلاقة مع الناس فيما بينهم ، وعلاقاتهم مع ربهم Y ، الوفاء باختصار ثمرة للخشية من الله والشعور برقابته والإحساس بوجوده .

هكذا كان إبراهيم U ، حتى وصفه الله ذو الجلال والإكرام بمحكم آياته فقال : ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ [النجم : 37] ، وقد ذكر علماء اللغة معنى كلمة الوفاء في مؤلفاتهم ، وبين علماء الشرع معنى الآية في مصنفاتهم ، وسيكون الكلام في هذا المبحث ضمن مطلبين .

المطلب الأول : معنى كلمة الوفاء لغة :

الوفاءُ : ضد الغدر ، يقال : وفى بعهده وأوفى بمعنى ، ويقال وفى : تمّ وكثر ، وأوفاني حقّه : أي أتمّه ولم ينقص منه شيئاً ، والوفىّ: الذي يُعطي الحقَّ ويأخذ الحقَّ ، وقد وفى بنذره أي : بلّغه ، والوفاء في اللغة الخلق الشريف العالي الرفيع من قولهم : وفى الشعر فهو وافٍ إذا زاد⁽¹⁾.

إذن فكلمة الوفاء لغة تدور على معاني : التمام والزيادة والكثرة وإعطاء الحق وأخذ الحق والبلاغ ... ، التمام في الأعمال ، وقد قال الله العزيز الغفار في حق الإنسان: ﴿كَلِمَاتٍ بِشَرِّ مَا أَمَرَهُ﴾ [عبس :23] ، فما من أحد إلا وهو مقصر في طاعة الله Y – إلا ما ندر – وإبراهيم U وفى وأتمّ ، فهو فريد عزيز نادر أمثاله ، أما الزيادة : فهو U لم يتمم ما أمره فقط وإنما زاد عليه كثيرا ، فما من إنسان يرى رؤيا فيها ذبح ولده وحبيبه ، قرّة عينه وثمرّة فؤاده ، ثم يسير على قدميه ليحقق تأويل الرؤيا بيديه ، هذا مثال ، ومثله كثير من أعمال إبراهيم نجده قد قام فيها بالواجب وزيادة ، وأما الكثرة : فما أكثر المواقف التي وقفها في الدعوة إلى الله Y وما أشد ما أؤدي في سبيل الله I ، وأما إعطاء الحق وأخذ الحق : فلقد كان U – بحق – على الحق دائما ، فالله الحق ، ودينه الحق ، ودعوته هي الحق ، فكان لا يأخذ إلا الحق ولا يعطي إلا الحق ، والبلاغ : فقد والله بلّغ الرسالة وأدى الأمانة ، وقام بما أمر به وأفيا غير منقوص .

(1) انظر: ابن منظور، لسان العرب، (358/15)، مادة: (وفي) .

المطلب الثاني : أقوال العلماء في تفسيرهم للآية ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ :

للمفسرين في تفسيرهم لهذه الآية طريقتان : طريق النقل مما ورد عن رسول الله ρ ، وطريق العقل الذي هداهم الله Y إليه ، فقد روي عن رسول الله ρ في تفسير هذه الآية أنه قال : (ألا أخبركم لم سمى الله إبراهيم خليله الذي وفى ؟ إنه كان يقول كلما أصبح وأمسى : ﴿مَسْحَرَانِ اللَّهُ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ [الروم : 17])⁽¹⁾. وقال : (أتدرون ما قوله : ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ [النجم:37] قالوا : الله ورسوله أعلم . قال: وفى عمل يومه بأربع ركعات كان يصلين من أول النهار وزعم أنها صلاة الضحى)⁽²⁾.

ولقد حكم الطبري على الروايين - وقد رواهما بسنده عند تفسيره الآية : ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ [البقرة : 124] ، فقال : " خبران في أسانيدهما نظر"⁽³⁾ . كما وحكم ابن حجر العسقلاني⁽⁴⁾ على ضعف الحديثين⁽⁵⁾.

وفسرها ابن عباس τ بقوله : " لم يُبَيَّنْ أحد بهذا الدين فأقامه إلا إبراهيم ابتلاه الله بكلمات فأتهم ، قال : فكتب الله له البراءة فقال : ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ قال عشر منها في الأحزاب ، وعشر منها في براءة ، وعشر منها في المؤمنون وسأل سائل"...وفي رواية أخرى : " فذكر عشرًا في براءة فقال : ﴿الْقَائِمُونَ الْعَابِدُونَ الْعَامِدُونَ﴾ [التوبة : 112] إلى آخر الآيات ، وعشرًا في الأحزاب : ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ [الأحزاب : 35] ، وعشرًا في سورة المؤمنون إلى قوله : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ حَلَاظِمِهِمْ يَحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون : 9] ، وعشرًا في سأل سائل : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ حَلَاظِمِهِمْ يَحَافِظُونَ﴾ [المعارج : 34] "⁽⁶⁾ .

وعنه - رضي الله عنهما ، قال : "الإسلام ثلاثون سهما ، وما ابتلي بهذا الدين أحد فأقامه إلا إبراهيم ρ قال الله تعالى : ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ ، فكتب الله له براءة من النار"⁽⁷⁾.

(1) أخرجه أحمد في مسنده ، (439/3) ، ح (15662) ، وضعفه الشيخ شعيب الأرنؤوط .
(2) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن(ت911هـ)، الدر المنثور في التفسير المأثور، (660/7)، دار الفكر، بيروت، ط(1)، 1983م.
(3) الطبري ، جامع البيان(576/1) .
(4) ابن حجر العسقلاني : (773 - 852 هـ -) أحمد بن علي بن محمد الكنتاني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، من أئمة العلم والتاريخ. أصله من عسقلان(فلسطين) ومولده ووفاته بالقاهرة. ولع بالأدب والشعر ثم أقبل على الحديث، ورحل إلى اليمن والحجاز وغيرهما لسماع الشيوخ، وعلت له شهرة فقصده الناس للأخذ عنه وأصبح حافظ الإسلام في عصره، وكان فصيح اللسان، راوية للشعر، عارفا بأيام المتقدمين وأخبار المتأخرين، صبيح الوجه. وولي قضاء مصر مرات ثم اعتزل. انظر: (الزركلي، الأعلام، (1 / 178) و(كحالة، معجم المؤلفين، (523/2) .
(5) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، (605 /8) .
(6) أخرجه الطبري، جامع البيان(572 /1)، وصحح إسناده الشيخ أحمد شاکر في تخريج الطبري (7/3-9) ، وانظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (97 /2)، والسيوطي، الدر المنثور(660/7-661)، والشوكاني، فتح القدير، (115/5) .
(7) أخرجه الحاكم في المستدرک ، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، ح(4027) ، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. وقال الذهبي: صحيح.

وقال الرازي : **﴿وَوَفَى﴾** فيه وجهان أحدهما : أنه الوفاء الذي يذكر في العهود ، وعلى هذا فالتشديد للمبالغة ، يقال : وفى ووفى كقطع وقطع وقتل وقتل ، وهو ظاهر ؛ لأنه وفى بالنذر وأضجع ابنه للذبح ، وورد في حقه : **﴿وَوَفَى﴾** **﴿وَوَفَى﴾** [الصفات : 105] وقال تعالى : **﴿إِنَّ هَذَا لَمَوْءَأُ الْمَبِينِ﴾** [الصفات : 106] وثانيهما : أنه من التوفية التي هي من الوفاء وهو التمام ، والتوفية الإتمام ، يقال : وفاه أي أعطاه تاماً ، وعلى هذا فهو من قوله : **﴿وَإِذَا ابْتُلِيَ إِبرَاهِيمَ رُؤْيَا بِكَلِمَاتِ الْمَآئِمِّنِ﴾** [البقرة : 124] وقيل : **﴿وَوَفَى﴾** أي أعطى حقوق الله في بدنه ، وعلى هذا فهو على ضد من قال تعالى فيه : **﴿وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَعْطَى﴾** [النجم : 34] ...⁽¹⁾.

وقال القرطبي : "التوفية الإتمام . وقال أبو بكر الوراق⁽²⁾ : قام بشرط ما ادعى ؛ وذلك أن الله تعالى قال له : **﴿أَخْلَصْ﴾** **﴿قَالَ أَخْلَصْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾** [البقرة : 131] ، فطالبه الله بصحة دعواه ، فابتلاه في ماله وولده ونفسه فوجده وافيًا بذلك ؛ فذلك قوله : **﴿وَإِبرَاهِيمَ الَّذِي وَفَى﴾** أي ادعى الإسلام ثم صحح دعواه ...⁽³⁾.

ومسك الختام مع الظلال ، فقد قال سيد قطب⁽⁴⁾ : " وفى بكل شيء ، وفى وفاءً مطلقاً استحق به هذا الوصف المطلق ، ويذكر الوفاء هنا في مقابل الإكداء والانقطاع"⁽⁵⁾.

وجميع ما قاله العلماء وما سطره في مؤلفاتهم لا يعدل ثناء الله عليه ، بقوله في الآية الجامعة التي يظهر فيها الإعجاز البياني على قصرها وقلة كلماتها : **﴿وَإِبرَاهِيمَ الَّذِي وَفَى﴾** ، وفى وكفى.

(1) الرازي، مفاتيح الغيب، (29/ 15) .
(2) أبو بكر الوراق : محمد بن إسماعيل بن العباس، محدث فاضل مكثّر ، لكنه يحدث من غير أصول، سمع من أبيه وحامد البلخي والباغددي والبغوي ومن بعدهم، وعنه الدارقطني والخلال، ولد ببغداد سنة ثلاث وتسعين ومائتين، قال الخطيب: سألت البرقاني عنه فقال ثقة ثقة، وقال ابن أبي الفوارس: كان متيقظاً حسن المعرفة، وكان فيه بعض التساهل ، كانت كتيبه ضاعت فاستحدث أصولاً، مات سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة. انظر: (الذهبي، سير أعلام النبلاء، (12/ 444) و(كحالة، معجم المؤلفين، (3/ 461)).
(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (17/ 113) .
(4) سيد قطب: باحث إسلامي مصري ولد في أسيوط وتخرج من كلية دار العلوم بالقاهرة، وعمل في جريدة الأهرام، وعين مدرسا للعربية فموظفا في ديوان وزارة المعارف ثم مراقبا فنيا للوزارة وأوفد في بعثة لدراسة برامج التعليم في أميركا، ولما عاد انتقد البرامج المصرية، وكان يراها في وضع الإنجليز، وطالب ببرامج تتماشى والفكرة الإسلامية، ثم انضم إلى الإخوان المسلمين فترأس قسم نشر الدعوة وتولى تحرير جريدتهم وسجن معهم إلى أن أعدم. انظر: (الزركلي، الأعلام، (3/ 147) و(كحالة، معجم المؤلفين، (1/ 804) و(نويهض، معجم المفسرين، (1/ 219)).
(5) قطب، في ظلال القرآن، (17/ 627) .

المبحث السادس

إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ

الحلم والتأوه والإنابة ، ثلاث صفات عظيمة ، وأخلاق حميدة ، اتصف بها إبراهيم U صاحب القلب الرحيم والعقل الرزين ، صفات لم يتصف بها الكثير ، عَزَّتْ في الوجود ، فلم يُعْطَها إلا الذين من الله عليهم بها فهو I صاحب الكرم والجود ، أعطاهم إياها فضلا منه ورحمة ، ومَنَّةٌ ونعمة ؛ لأنهم أهل لهذه الدرجة ، حققوا في نفوسهم ما يحصل لهم به الرفعة ، فكان فضل الله عليهم عظيماً ، وجوده وكرمه كبيراً ، قال Y في محكم آياته : **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا زَادْنَاهُمْ هُدًى وَآتَيْنَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾** [محمد p : 17] .

لقد حقق أهل هذه الصفات يقيناً في صدورهم ، ورحمةً تملأ جوانحهم ، وصبراً يشع من نفوسهم ، وخوفاً ورجاءً يسري في عروقهم ، فتارةً بالرجاء تطمئن وتسكن أركانهم ، وتارةً تقشعر جلودهم وتزعزع وترتجف من الخوف قلوبهم ، ولقد وصف الله خليله إبراهيم U بوصف جامع ، يجمع في طياته هذه الصفات - بل زاد ، فقال جللت أسماؤه وتقدست صفاته : **﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾** [هود : 75] .

وسيكون الكلام في هذا المبحث عن الصفات الثلاث (الحلم والتأوه والإنابة) كل منها في مطلب .

المطلب الأول : خلق الحلم :

خلق الحلم من الصفات التي يجبها الله Y ورسوله p ، فقد ثبت في الحديث أن الرسول p قال لأشج عبد القيس⁽¹⁾ : **﴿إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ : الْحَلْمُ وَالْأَنَاةُ﴾**⁽²⁾ ، فالحلم صفة جليلة بدليل حب الله Y ورسوله p لها ، وهي تقود إلى الصبر الجميل ، والعمل الجليل ، والأجر الجزيل .

والحلم : كف النفس والطبع عن هيجان الغضب لإرادة الانتقام⁽³⁾ ، والحلم من اتسع صدره لمساوى الخلق ومداني أخلاقهم ، قال الحسن : ما نحل الله عباده شيئاً أجَلَّ من الحلم ، ومن ثم أتى الله تعالى على خليله وابنه به لما انشرفت صدورهم لما ابتلاهم الله به من الذبح⁽⁴⁾ .

(1) أشج عبد القيس: ويقال أشج بني عصر العصري العبد، كان سيد قومه ووفد على النبي p في وفد عبد القيس فقال رسول الله p: " يا أشج فيك خصلتان يحبهما الله ورسوله قال: فقلت: وما هما قال الحلم والأناة ". وروى: " الحلم والحياء " قال فقلت يا رسول الله شيء من قبل نفسي أو شيء جبلني الله عليه؟ قال: " بل شيء جبلك الله عليه ". قال فقلت الحمد لله الذي جبلني على خلقين يرضاهما الله ورسوله، ويقال: اسم الأشج المنذر بن عائذ . انظر: (ابن عبد البر، الاستيعاب، (140 / 1) و(ابن حجر العسقلاني، الإصابة، (1 / 238) .

(2) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، ح(17) ، والترمذي ، كتاب البر والصلة، ح(2011) .
(3) الراغب الأصفهاني، المفردات ، (ص 129) ، وانظر : المناوي ، فيض القدير ، (5 / 533) .

أما معنى كلمة اللحم لغة ، فقد ذكر ابن منظور أن : الحِلْمُ بالكسر: الأناة والعقل ، وجمعه: أحلام وحُلومٌ . وفي التنزيل العزيز: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَخْلَقُوا بِمَعَانٍ﴾ [الطور: 32]... ، والحِلْمُ : نقيضُ السَّفَه ، وأولوا الأحلام أي: ذوو الألباب والعقول ،... والحَلِيمُ في صفة الله Y : معناه الصَّبْر، وقيل : معناه أنه الذي لا يَسْتَحِفُّهُ عِصْيَانُ الْعِصَاة ولا يَسْتَفِزُّهُ الغضب عليهم ، ولكنه جعل لكل شيء مِقْدَاراً ، فهو مُنْتَهٍ إِلَيْهِ⁽²⁾. وقال الراغب الأصفهاني : وليس اللحم في الحقيقة هو العقل ، لكن فسروه بذلك لكونه من مسببات العقل⁽³⁾.

هذا وقد بيّن علماء التفسير المعنى المراد من وصف الحليم الذي وصف الله Y به إبراهيم ، فروى ابن أبي حاتم⁽⁴⁾ في تفسيره روايتين ، الأولى : عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رضي الله عنهما - قَالَ : " كَانَ مِنْ حِلْمِهِ أَنَّهُ كَانَ إِذَا أَذَاه الرَّجُلَ مِنْ قَوْمِهِ ، قَالَ لَهُ: هَذَاكَ اللَّهُ ". والثانية : عَنْ الْحَسَنِ قَالَ: " الْحَلِيمُ: الرَّحِيمُ"⁽⁵⁾.

وذكر الرازي أن معنى الحليم : " الذي لا يتعجل بمكافأة غيره ، بل يتأني فيه ، فيؤخر ويعفو ، ومن هذا حاله فإنه يحب من غيره هذه الطريقة"⁽⁶⁾ ، ويشير - رحمه الله - بهذا إلى ما حدث مع إبراهيم U لما جادل في تأخير العذاب عن قوم لوط U ، فقد كان هذا نتيجة لحلمه .

وقال القرطبي : " الحليم: الكثير اللحم ، وهو الذي يصفح عن الذنوب ، ويصبر على الأذى . وقيل : الذي لم يعاقب أحدا قط إلا في الله ولم ينتصر لأحد إلا لله . وكان إبراهيم U كذلك"⁽⁷⁾.

إن صفة اللحم فيها الكثير من المكارم : الصبر على الأذى ، وشدة التحمل ، والتأني وعدم العجلة ، والهدوء ، والرحمة ، والشفقة ، والتسامح ، والكرم ، والحكمة ، وبهذا يجتمع لصاحبها مجموعة من الأخلاق الحميدة والأعمال الفريدة والأقوال السديدة ، تجتمع كلها بفضل من الله العظيم لكل إنسان جاهد نفسه فوصل إلى هذا المقام الكريم .

المطلب الثاني : صفة الأواه :

-
- (1) المناوي ، فيض القدير ، (533 /5) .
(2) ابن منظور، لسان العرب ، (305 /3) ، مادة : (حلم) .
(3) الأصفهاني، المفردات ، ص(129) .
(4) ابن أبي حاتم : (240 - 327 هـ) عبد الرحمن بن محمد أبي حاتم ابن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي ، أبو محمد: حافظ للحديث، من كبارهم. كان منزله في درب حنظلة بالري، وإليها نسبته، له تصانيف، منها: (الجرح والتعديل) و(التفسير) و(المسند) انظر: (الزركلي، الأعلام، (324 /3) و(كحالة، معجم المؤلفين، (109/2) و(نويهض، معجم المفسرين، (271/1) .
(5) ابن أبي حاتم ، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي(ت 327هـ)، تفسير القرآن العظيم مسندا عن رسول الله p والصحابة والتابعين، (2058/6)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت، ط(3)، 2003 م .
(6) الرازي، مفاتيح الغيب، (31/18) .
(7) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (276/8) .

الأواه هي الصفة الثانية التي وصفها الله الجليل سيدنا إبراهيم الخليل ، ومعناها : الذي يكثر التأوه ، وهو أن يقول : أوه أوه ، وكل كلام يدل على حزن يقال له : التأوه ، ويعبر بالأواه عن يظهر خشية الله تعالى⁽¹⁾.

أما معنى كلمة الأواه لغة : فقد ورد في لسان العرب أن : **أَوْهَ** كلمة معناها : التحزُن . وأَوْهٍ من فلان إذا اشتدَّ عليك فقُدّه ، وقولهم عند الشكاية : **أَوْهٍ** من كذا ، إنما هو توجع . وبعضهم يقول : **أَوْهٌ** ، لتطويل الصوت بالشكاية . وأَوْهٌ إذا توجع الحزين الكئيب ، وأخرج نفسه بهذا الصوت ليتفرَّج عنه بعض ما به . **وَرَجُلٌ أَوْاهٌ** : كثير الحُزْنِ ، وقيل : **الأَوْاهُ المُتَأَوُّهُ شَقِيقاً وَفَرَقاً** ، وقيل : المتضرع يقيناً أي : إيقاناً بالإجابة ولزوماً للطاعة ؛ هذا قول الزجاج⁽²⁾.

ومن التعريف تتضح جليا شخصية إبراهيم U ، فلم يكن U حليما متسامحا فقط ، وإنما كان قلبه يتقطر حزناً من خشية الله Y ، وألماً على كل من خالفه ، ولربما ظهرت على ملامحه آثار الحزن فبدا كئيباً أو متوجعاً ، يكثر من قول : آه ، آه ، آه ، يُخرج نفسه لتتفرج عنه بعض همومه .

وقد وردت هذه الصفة (الأواه) مرتين في القرآن الكريم ، الأولى في التوبة : **﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا مَن مَّوَدَّهِ وَمَكَامًا يَنْبَأُ لَكَ أَنَّهُ كَادُوا لَهُ لَوْلَا أَنَّهُ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾** [التوبة : 114] ، وذكرت تعقيباً على سبب استغفار إبراهيم U لأبيه ، فهو حزين كئيب على كفر والده ، يكثر من الدعاء له والاستغفار ؛ عل الله يتوب عليه ويرحمه ، والثانية في هود : **﴿وَلَمَّا كَسَبَ كَفْرًا كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَوَافِئِكُمْ وَبَدَّ عَيْنًا حَدِيثًا إِنَّا نَبَأْنَا لُدَّ أَنَّكُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾** [هود : 74-75] ، فإنه لما رأى مجيء الملائكة لإهلاك قوم لوط U عظم حزنه وزاد همه ، وأخذ يتأوه عليه لذلك.

وذكر علماء التفسير معاني كثيرة لكلمة أواه في مؤلفاتهم ، منها : المؤمن ، الموقن ، المؤمن بالحبشية ، التواب ، المُسَبِّح ، الدَّعَاءُ المستكين إلى الله كهيئة المريض المتأوه من مرضه ، الخاشع ، المتضرع ، الذي يكثر الذكر لله ، الشفيق ، الرحيم بعباد الله ، الكثير التأوه من الذنوب ، الذي إذا ذكر خطاياهم استغفر منها ، الفقيه ، الشيخ ، الرحيم بعباد الله ، الراجع عن كل ما يكره الله تعالى ، الذي قلبه معلق عند الله ، وغيرها من المعاني⁽³⁾.

(1) انظر: الأصفهاني، المفردات، (ص32) .
(2) انظر: ابن منظور، لسان العرب، (1/ 274)، مادة: (أوه)، وقول الزجاج: أبي إسحق إبراهيم بن السري (ت 311هـ)، في كتابه: معاني القرآن وإعرابه، (2/ 473)، شرح وتحقيق: د. عبد الجليل عيده شلبي، دار الحديث، القاهرة، ط(1)، 1994 م .
والزجاج : هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السري بن سهل النحوي، كان فاضلاً ديناً حسن الاعتقاد، وله المصنفات الحسنة، من كتبه (معاني القرآن) و(الاشتقاق) و(خلق الإنسان) و(الأمالي) في الأدب واللغة، توفي سنة إحدى عشرة وثلاثمائة. انظر: (الذهبي، سير أعلام النبلاء، (11/ 354) و(الداودي، طبقات المفسرين، (1/ 9) و(الزركلي، الأعلام، (1/ 40) و(كحالة، معجم المؤلفين، (27/1) .
(3) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن(8/ 275-276)، السيوطي، الدر المنثور(4/ 305-307) ، الشوكاني، فتح القدير(2/ 411)

قال الطبري : " وتقارب معنى بعض ذلك من بعض ؛ لأن الحزين المتضرع إلى ربه الخاشع له بقلبه ، ينوبه ذلك عند مسألته ربه ودعائه إياه في حاجاته ، وتعتوره هذه الخلال التي وجّه المفسرون إليها تأويل قول الله : ﴿إِن يُرَاقِبْهُ أَهْلُ عِلِّيِّينَ﴾ (1).

هذا وقد ورد في مجموعة من الأحاديث ما يدل على معنى كلمة الأواه ، ومن ذلك ما رواه الطبري بسنده عن عبد الله بن شداد (2) ، قال : قال رسول الله ﷺ : (الأواه : الخاشع المتضرع) (3).

وفي مسند أحمد عن عقبة بن عامر (4) أن رسول الله ﷺ قال لرجل يقال له ذو البجادتين (5) : (إنه أواه وذلك أنه كان كثير الذكر لله عز وجل في القرآن ، وكان يرفع صوته في الدعاء) (6).

فالأحاديث السابقة تبين أن معنى الأواه : الخاشع ، المتضرع ، الدّعاء ، الكثير الذكر وقراءة القرآن ، الذي يرفع صوته بالدعاء ، وهي مجموعة من الصفات التي ذكرها العلماء في تفاسيرهم لكلمة أواه ، ويلزم بوجودها - غالبا - أن يكون صاحبها مؤمناً ، موقناً ، مسبحاً ، قلبه معلق عند الله ، راجعاً عن كل ما يكره الله تعالى ، وغيرها من المعاني التي ذُكرت آنفاً.

المطلب الثالث : مفهوم كلمة الإنابة :

معرفة معنى كلمة الإنابة عند أهل اللغة وعند أهل التفسير ، تؤدي إلى الوصول إلى المعنى المراد من وصف الله

I لنبيه إبراهيم ﷺ بأنه منيب ، قال Y : ﴿إِن يُرَاقِبْهُ أَهْلُ عِلِّيِّينَ﴾ (هود : 75) .

- (1) الطبري، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، (500/6) .
- (2) عبد الله بن شداد بن الهاد الليثي: ولد في عهد النبي ﷺ. وأمه سلمى بنت عميس ، فهو أخو أولاد حمزة بن عبد المطلب لأهمهم وابن خالة أولاد جعفر ، وكذا محمد بن أبي بكر وبعض ولد علي، روى عبد الله عن أبيه وخالاته ميمونة أم المؤمنين وأم الفضل زوج العباس وأسماء بنت عميس وعمر وعلي وابن مسعود وغيرهم من الصحابة، وروى عنه جماعة من كبار التابعين. انظر: (ابن عبد البر ، الاستيعاب ، (926 /4) و(ابن حجر العسقلاني، الإصابة، (11/5).
- (3) الطبري، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، (498/6). وذكر المتقي الهندي في كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال أن الحديث رواه ابن جرير مرسلًا ، ح(2998)، (26/2)، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1989م .
- (4) عقبة بن عامر: الجهني الصحابي المشهور. روى عن النبي ﷺ كثيراً. وروى عنه جماعة من الصحابة والتابعين منهم: ابن عباس وأبو أمامة وأبو إدريس الخولاني وخلق من أهل مصر. قال أبو سعيد بن يونس: كان قارئاً عالماً بالفرائض والفقهاء فصيح اللسان شاعراً كاتباً، وهو أحد من جمع القرآن قال: ورأيت مصحفه بمصر على غير تأليف مصحف عثمان وفي آخره: كتبه عقبة بن عامر بيده. انظر: (ابن عبد البر، الاستيعاب، (1073/3) و(ابن الأثير، أسد الغابة، (549/ 3) و(الذهبي، سير أعلام النبلاء ، (99/4) و(ابن حجر العسقلاني، الإصابة، (430/4).
- (5) ذو البجادتين: عبد الله بن عبد نهم المزني يقال كان اسمه عبد العزى فغيره النبي ﷺ وهو عم عبد الله بن مغفل بن عبد نهم المزني، وقال ابن حبان له صحبة ، كان عبد الله يتيمًا في حجر عمه ، وكان محسنًا له، فبلغ عمه أنه أسلم، فنزع منه كل شيء أعطاه ، حتى جرده من ثوبه، فأتى أمه فقطعت له بجادا لها باتنتين فاتزر نصفًا وارتنى نصفًا، ثم أصبح فقال له النبي ﷺ أنت عبد الله ذو البجادين فالتزم بابي، فالتزم بابه وكان يرفع صوته بالذكر. انظر: (ابن عبد البر، الاستيعاب، (307/1) و(ابن الجوزي، صفة الصفوة، (1 /677) و(ابن حجر العسقلاني، الإصابة، (3/ 4) .
- (6) مسند الإمام أحمد(159/4)، ح(17489) ، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط : حسن لغيره .

أما معنى الإنابة لغة : فإنه يقال : ناب فلانٌ إلى الله تعالى ، وأنابَ إليه إنابَةً ، فهو مُنِيبٌ: أَقْبَلَ وتابَ ، ورجَعَ إلى الطاعة. وقيل: نابَ لَزِمَ الطاعة ، وأنابَ: تابَ ورجَعَ. وفي التنزيل العزيز: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ [الروم:30]؛ أي: راجعين إلى ما أَمَرَ به ، غير خارجين عن شيءٍ من أمره⁽¹⁾.

ولا تخرج أقوال المفسرين في أكثرها عن المعنى اللغوي للكلمة ، وهو التوبة والرجوع إلى الله Y والإقبال عليه ، ولزوم طاعته وعدم الخروج عن أمره ، فعند ابن أبي حاتم عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن " المُنِيب هو : المُقِيل إلى طاعة الله " ⁽²⁾.

وأما الرازي فقد ذكر سبب وصف الله I إبراهيم U بهذا الوصف ، فقال : " لأن من ظهرت فيه هذه الشفقة العظيمة على الغير فإنه ينيب ويتوب ويرجع إلى الله في إزالة ذلك العذاب عنهم ، أو يقال : إن من كان لا يرضى بوقوع غيره في الشدائد فأن لا يرضى بوقوع نفسه فيها كان أولى ، ولا طريق إلى صون النفس عن الوقوع في عذاب الله إلا بالتوبة والإنابة فوجب فيمن هذا شأنه يكون منيباً" ⁽³⁾.

وقال القرطبي : "والمُنِيب الراجع ؛ يقال: أناب إذا رجع. وإبراهيم p كان راجعاً إلى الله تعالى في أموره كلها" ⁽⁴⁾.

وفي الدر المنثور : عن الحسن r في قوله : ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ ، قال : كان إذا قال : قال الله ، وإذا عمل عمل الله ، وإذا نوى نوى الله ⁽⁵⁾.

وقال ابن عاشور ⁽⁶⁾ : "...وهو (أي المنيب) مشتق من النوب وهو النزول . والمراد التوبة من التقصير، أي محاسب نفسه على ما يحذر منه . وحقيقة الإنابة: الرجوع إلى الشيء بعد مفارقتها وتركه" ⁽⁷⁾.

فللحلم والتأوه والإنابة مقامات سامية وصل إليها إبراهيم الخليل U هي أمل كل مؤمن ، يرغب في الوصول إليها ويدعو الله I أن يدركها ، فقد ثبت أن رسولنا p كان يدعو بهذا الدعاء الذي أخرجه الترمذي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: " لكان النبيّ p يدعو يقول: (رَبِّ أَعِنِّي وَلَا تُعِنِّ عَلَيَّ ، وَأَنْصُرْنِي وَلَا تُنْصُرْ عَلَيَّ ، وَامْكُرْ

(1) انظر: ابن المنثور، لسان العرب، (319/14)، مادة: (نوب).

(2) انظر: ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، (6/2059) .

(3) الرازي، مفاتيح الغيب، (31/18) .

(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (73/9) .

(5) هذا الأثر عزاه السيوطي إلى البيهقي في شعب الإيمان. انظر: السيوطي، الدر المنثور، (455/4) .

(6) ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد الشاذلي، نقيب أشرف تونس وكبير علمائها في عهد البايع محمد الصادق (باشا). ولي قضاءها سنة 1267 هـ، ثم الفتيا (سنة 1277) فنقابة الأشراف. وتوفي بتونس. له كتب، منها: (التحرير والتنوير) في التفسير و (شفاء القلب الجريح) في شرح البردة، و (هدية الأريب). توفي سنة 1284 هـ - انظر: (الزركلي، الأعلام، (6/173) و (كحالة، معجم المؤلفين، (373/3).

(7) ابن عاشور، محمد الطاهر (ت 1393 هـ)، التحرير والتنوير، (124/12)، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 1997

لي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرْ الْهُدَى لِي ، وَأَنْصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ ، رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَكَارًا ، لَكَ ذَكَارًا ، لَكَ رَهَابًا ، لَكَ مَطْوَعًا ، لَكَ مُحِبًّا ، إِلَيْكَ أَوْاهًا مُنِيبًا (1).

ومعنى (إليك أَوْاهًا) : أي حزيناً ومتفجعاً على التفريط ، أو هو قول النادم من معصيته المقصر في طاعته ، وقيل الأواه البكاء ، و(منيباً) : أي راجعاً ، وقيل التوبة : رجوع من المعصية إلى الطاعة ، والإنابة من الغفلة إلى الذكر والفكرة ، والأوبة من الغيبة إلى الحضور والمشاهدة (2). وفي دعائه p تعليم لنا ؛ فلنا فيه أسوة ، وهو لنا قدوة .

(1) أخرجه الترمذي، كتاب الدعوات، ح (3551)، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وأبو داود ، كتاب الصلاة ، ح (1510) ، وقال الألباني : إسناده صحيح ، انظر : صحيح وضعيف سنن أبي داود ، (244/5) ، ح (1353) ، وابن ماجة ، كتاب الدعاء ، ح (3830) ، وأحمد في مسنده ، (227/1) .

(2) المباركفوري، أبو العلا محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم(ت 1353هـ)، تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، (500/9) ، اعتنى بها: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجد، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط(1)، 1998م.

المبحث السابع

مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا

إبراهيم U أبو الأنبياء ، ويتنازعه العالم كله : فاليهود يقولون : إنه جدهم وجد أنبيائهم موسى وإسحق ويعقوب وزكريا ويحيى ... ، والنصارى يقولون : إنه جد المسيح ، والمسلمون يقولون إنه جد نبيهم ورسولهم محمد - عليهم جميعا أفضل الصلوات وأتم التسليم ، وهم مأمورون باتباع ملته ، والجميع صادق فيما يقول ؛ فقد جعل الله Y إبراهيم U أصلا لشجرة النبوة ، بل هو البذرة التي نبتت منها الشجرة ، وهم ثمارها ، قال الله I : ﴿... وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ حَادُّوَدَ وَمُؤْمِنَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ [84] وَكَرِيمًا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلًّا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾ [85] وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَأُولَآئِكَ هَدَيْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [86] وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الأنعام : 84-87] . كما وجعل الله إبراهيم إماما للناس أجمعين ؛ فالكل يريد أن يتشرف بالانتساب إلى هذا الإمام الذي جمع من المؤهلات ما لم يجمعه غيره ، مع أن من الأنبياء من هو أفضل منه وأكثر أتباعا ، وهو نبينا وحبينا محمد - عليهم جميعا أفضل الصلاة والسلام .

هذا وسيكون الكلام في هذا المبحث ضمن ثلاثة مطالب ، الأول : دعاء إبراهيم U ربه Y بتخليد ذكره ، الثاني : الله يحكم - لا معقب لحكمه ، الثالث : أقوال بعض المفسرين في قول رب العالمين : ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ [آل عمران : 67].

المطلب الأول : دعاء إبراهيم U ربه Y بتخليد ذكره :

دعا إبراهيم U ربه بدعاء ؛ فأجابه الله Y وحقق له الرجاء ، دعا الذي يجيب دعاء المُخْلِصِينَ ، فقال : ﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ حَقٍّ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الشعراء : 84] ، والمقصود بهذا الدعاء كما قال الأوسي : " ... وحاصله خلد صيتي وذكرى الجميل في الدنيا ، وذلك بتوفيقه للأثار الحسنة ، والسنن المرضية لديه تعالى المستحسنة التي يقتدي بها الآخرون ويذكرونه بسببها بالخير وهم صادقون . فاللسان مجاز عن الذكر بعلاقة السببية ... وتعريف (الآخرين) للاستغراق ، والكلام مستلزم لطلب التوفيق للأثار الحسنة التي أش عي إليها ، وكأنه المقصود بالطلب على أبلغ وجه" (1).

فإبراهيم U طلب من ربه I ، وربه أجابه ؛ فالذي نراه هو استجابة لدعائه ، وتحقيق لرجائه ، من الله Y في عليائه .

(1) الأوسي، روح المعاني، (98/19) .

المطلب الثاني : الله يحكم - لا معقب لحكمه :

الكل يود أن يظفر بشرف الانتساب لإبراهيم U ، فمن هو المستحق لهذا الشرف ؟ اليهود أم النصارى أم المسلمون ؟

الحق كل الحق هو ما حكم به الله ذو الجلال والإكرام بمحكم آياته العظام ، فهو رب العالمين ، وإله الخلق أجمعين، حيث قال - جلّ من قائل : ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (65) مَا أَنتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجِّئْتُمْ فِيهِمَا كُفْرًا بِهِ عِلْمَ قَوْمٍ تَحَاجُّونَ فِيهِمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ لَّا تَعْلَمُونَ (66) مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (67) إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران : 65-68].

قال الزمخشري⁽¹⁾ : "زعم كل فريق من اليهود والنصارى أن إبراهيم كان منهم ، وجادلوا رسول الله P والمؤمنين فيه فقيل لهم : إن اليهودية إنما حدثت بعد نزول التوراة ، والنصرانية بعد نزول الإنجيل ، وبين إبراهيم وموسى ألف سنة ، وبينه وبين عيسى ألفان ، فكيف يكون إبراهيم على دين لم يحدث إلا بعد عهده بأزمنة متطاولة؟"⁽²⁾.

- إذن فكيف يتصور عاقل أن يكون إبراهيم يهوديا أو نصرانيا ؛ ﴿وَمَا أُنزِلَ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ﴾ ؟
- ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ بلا شك ولا جدال ؛ فإنه كان قبل اليهودية والنصرانية بمئات السنين . فهل يمكن أن يتبع ديننا كان قبل زمانه ؟
- كان إبراهيم ﴿حَنِيفًا مُسْلِمًا﴾ : تأكيد على عدم يهوديته ولا نصرانيته ، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ : تعريض لليهود والنصارى بأنهم مشركون ، أما هو فحاشاه أن يكون.
- ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ، حكم قاطع من الله بأن أتباع دينه وعقيدته هم أولياؤه ، هم المسلمون - لأنه كان مسلما - لا المشركون - لأنه لم يكن من المشركين .

(1) الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي النحوي، اللغوي، المتكلم، المعتزلي، المفسر، يلقب جار الله ؛ لأنه جاور بمكة زماناً، صاحب(الكشاف) في التفسير، و(المفصل) في النحو وغير ذلك من المصنفات المفيدة، وقد سمع الحديث وطاف البلاد، وكان يظهر مذهب الاعتزال ويصرح بذلك في تفسيره، وينظر عليه، وكانت وفاته بخوارزم ليلة عرفة سنة: 538 هـ، عن ست وسبعين سنة. انظر: (الداودي، طبقات المفسرين، (314/2) و(الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، (429/1) و(كحالة، معجم المؤلفين، (822/3) و(نويهض، معجم المفسرين، (666/2).

(2) الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر(ت 538 هـ)، تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، (364/1)، رتبه وضبطه وصححه: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط(1) ،1995م .

وهكذا ؛ فإن الآيات الكريمة تجلو كل شبهة أو ادعاء ، وتعيد الأمور إلى نصابها ، فمن أراد إبراهيم ﷺ وأحب الانتساب إليه فعليه بدينه وعليه بعقيدته ، فإن الإيمان لا يكون بالتحلي ولا بالتمني ، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل .

المطلب الثالث : أقوال بعض المفسرين في قول رب العالمين : ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ :

قال الطبري : " هذا تكذيب من الله عزّ وجلّ دعوى الذين جادلوا في إبراهيم وملته من اليهود والنصارى ، وادعوا أنه كان على ملتهم ، وتبرئة لهم منه ، وأنهم لدينه مخالفون ، وقضاء منه عزّ وجلّ لأهل الإسلام ، ولأمة محمد ﷺ أنهم هم أهل دينه ، وعلى منهاجه وشرائعه دون سائر أهل الملل والأديان غيرهم" (1).

روي أن اليهود قالت : إبراهيم على ديننا ، وقالت النصارى : هو على ديننا ، فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ (2).

وقال الأوسى : " ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا﴾ أي من الطائفة اليهودية المخالفة لما جاء به موسى ﷺ في نفس الأمر ﴿وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ أي من الطائفة النصرانية المخالفة لما جاء به عيسى ﷺ كذلك ، ﴿وَأَكْرَمَ حَنِيفًا مَّسَلَمًا﴾ أي على دين الإسلام الذي ليس عند الله دين مرضي سواه ، وهو دين جميع الأنبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليه ، وفي ذلك إشارة إلى أن أولئك اليهود والنصارى ليسوا من الدين في شيء ؛ لمخالفتهم في نفس الأمر لما عليه النبيان بل الأنبياء" (3).

وقال ابن عاشور في قوله I : ﴿وَأَكْرَمَ حَنِيفًا مَّسَلَمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ : " أفاد الاستدراك بعد نفي الضدّ حصرا لحال إبراهيم فيما يوافق أصول الإسلام ، ولذلك بيّن ﴿حَنِيفًا﴾ بقوله ﴿مَّسَلَمًا﴾ : لأنهم يعرفون معنى الحنيفية ولا يؤمنون بالإسلام ، فأعلمهم أنّ الإسلام هو الحنيفية" (4).

هذا مجمل ما قاله المفسرون في الآية ، ويمكن الإشارة هنا إلى كلام للفخر الرازي عند تفسيره لقول الله جل في علاه : ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَكْفُرُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة : 135] فإنه ذكر أنهم لما أصرروا على التقليد ، أجابهم الله تعالى جواباً إلزامياً وهو قوله : ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ ، وتقدير هذا الجواب أنه إن كان طريق الدين التقليد فالأولى في ذلك اتباع ملة إبراهيم ؛ لأن هؤلاء المختلفين قد

(1) الطبري، جامع البيان، (304/3) .

(2) انظر: نفسه، (305/3)، والسيوطي، الدر المنثور، (235 /2) .

(3) الأوسى، روح المعاني، (195/3) .

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (275/3) .

اتفقوا على صحة دين إبراهيم والأخذ بالمتفق أولى من الأخذ بالمختلف ، وإن كان المعول في الدين على الاستدلال والنظر ، فقد قُدمت الدلائل⁽¹⁾.

(1) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، (89/4) .

المبحث الثامن

أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا

أخرج البخاري في صحيحه عن ابن عمر⁽¹⁾ - رضي الله عنهما : أن زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشام ، يسأل عن الدين ويتبعه ، فلقي عالما من اليهود فسأله عن دينهم ، فقال: إني لَعَلِّي أن أدينَ دينكم فأخبرني ، فقال: لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله ، قال زيد : ما أفرّ إلا من غضب الله ، ولا أحمل من غضب الله شيئا أبدا ، وأتى أستطيعه ؟ فهل تدلّني على غيره ؟ قال : ما أعلمه إلا أن يكون حنيفا ، قال زيد : وما الحنيف ؟ قال : دين إبراهيم ، لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولا يعبد إلا الله . فخرج زيد فلقي عالما من النصارى فذكر مثله ، فقال : لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله ، قال : ما أفرّ إلا من لعنة الله ، ولا أحمل من لعنة الله ولا من غضبه شيئا أبدا ، وأتى أستطيعه ؟ فهل تدلّني على غيره ؟ قال : ما أعلمه إلا أن يكون حنيفا ، قال : وما الحنيف ؟ قال : دين إبراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ، ولا يعبد إلا الله . فلما رأى زيد قولهم في إبراهيم ٥ خرج ، فلما برز رفع يديه ، فقال : اللهم إني أشهد أي على دين إبراهيم⁽²⁾.

هذا الحديث يعطي دلالة مجملّة وواضحة عن معنى الحنيف ، فقد وضّح عالما اليهود والنصارى لزيد بن عمرو معنى الحنيف بقوليهما : " دين إبراهيم ، لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ، ولا يعبد إلا الله " . ودين إبراهيم ٥ هو الإسلام ، لا يهودية ولا نصرانية ، فالحنيفية إذن : عبادة الله وحده بلا شريك ، وهذا يعني : الإقبال بالكلية على الله - جل في علاه ، والإعراض بالعموم عما سواه ، أو : الميل الصحيح للإسلام ، والاعتزال التام لعبادة الأوثان ، مصداق ذلك قول الله Y : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُفْرِكِينَ ﴾ [آل عمران : 67].

ولقد اختار الله I الحنيفية بالذات ؛ لأنها دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، الدين القيم والصرط المستقيم، قال الله I : ﴿ مَا أَمَرَ وَجَمَعَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَوِيمُ وَآخِرَ الْأَشْرَارِ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [30] ﴿ مُبَيِّنِينَ إِلَيْهِ وَأَتَقْوَةَ وَأَفِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُفْرِكِينَ ﴾ [الروم : 30-31] .

(1) ابن عمر: عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي ، أبو عبد الرحمن، ولد سنة ثلاث من المبعث النبوي، أسلم مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحلم. لم يشهد بدرأ، واختلف في شهوده أحداً، والصحيح أن أول مشاهده الخندق. قال عنه الرسول p : " إن عبد الله رجل صالح " . أفنى الناس في الإسلام ستين سنة. لما قتل عثمان عرض عليه نفر أن يبايعوه بالخلافة فأبى. وهو آخر من توفي بمكة من الصحابة. له في كتب الحديث 2630 حديثاً. توفي سنة 73 هـ. انظر: (الأصبهاني، معرفة الصحابة، (185/3) و(ابن عبد البر، الاستيعاب، (950/3) و(ابن الأثير، أسد الغابة، (235 /3) و(الزركلي، الأعلام، (108/4).

(2) أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، ح(3827).

هذا وسيكون الكلام في هذا المبحث ضمن مطلبين : الأول : معنى الحنيف لغة ، الثاني : أقوال العلماء في المعنى الشرعي لكلمة حنيف .

المطلب الأول : معنى الحنيف لغة :

الْحَنِفُ فِي الْقَدَمَيْنِ: إِقْبَالُ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَلَى الْأُخْرَى بِإِيْهِمَا ، وَقِيلَ: مِيلٌ فِي صَدْرِ الْقَدَمِ ، وَالْحَنْفُ أَيْضًا : الْاعْوَجَاجُ فِي الرَّجْلِ . وَالْحَنِيفُ: الْمُسْلِمُ الَّذِي يَتَّحَنَّفُ عَنِ الْأَدْيَانِ أَيْ : يَمِيلُ إِلَى الْحَقِّ ، وَالْحَنِيفُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ كَانَ يَحُجُّ الْبَيْتَ وَيَغْتَسِلُ مِنَ الْجَنَابَةِ وَيَحْتَنُتُ ، فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ كَانَ الْحَنِيفُ الْمُسْلِمَ ، وَقِيلَ لَهُ: حَنِيفٌ لِعُدُولِهِ عَنِ الشِّرْكِ(1).

فالحنف في اللغة هو الاعوجاج ، أو الميل إلى شيء معين ، وأطلق هذا اللفظ على إبراهيم ﷺ لأن الناس في زمانه كانوا على طريقة واحدة هي الكفر ، فخالفهم ، واعوج عما هم فيه ، ومال عن طريقهم . ويبدو أن الكلمة تطورت في معناها فأصبحت تطلق في الجاهلية على من اختنن وحج البيت ... ، وعلى كل من دان بدين إبراهيم ﷺ ؛ لأنه مائل عن الشرك وعبادة الأصنام ، مائل عن اليهودية والنصرانية ، ثم أصبحت الكلمة في النهاية - وبعد نزول القرآن - تطلق على الصحيح المائل إلى الإسلام والثابت عليه . كما وأطلق الدين الحنيف على الإسلام .

المطلب الثاني : أقوال العلماء في المعنى الشرعي لكلمة حنيف :

وردت كلمة حنيف ومشتقاتها في القرآن الكريم اثنتي عشرة مرة(2)، جاء بعضها بصدد ذكر إبراهيم ﷺ وملته ، وجاء بعضها بصدد ذكر دين رسولنا ونبينا محمد ﷺ ؛ وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على الارتباط الوثيق بين النبيين - عليهم صلوات ربنا وسلامه - ولا يقال : الدينين ؛ لأن الدين - دين الله - هو الإسلام دين واحد . قال الله تعالى في محكم آياته : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَكَانَ دِينَهُ الْوَسْطِيَّةَ ﴾ [البينة : 5] .

ولقد أوضح علماء الشرع في مصنفاتهم المعنى المراد بكلمة الحنيف ، وما يتعلق بها ، ومن ذلك :

قول الجصاص : " الحنيف المستقيم ، فمن سلك طريق الاستقامة فهو على الحنيفية ؛ وإنما قيل للمعوج الرجل أحنف تفاؤلاً ، كما قيل للمهلكة مفازة ، وللدليغ سليماً"(3).

(1) انظر: ابن منظور، لسان العرب، (362/3-363)، مادة: (حنف) .

(2) انظر: عبد الباقي، محمد فواد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، (ص 220)، دار الفكر، بيروت، ط(1)، 1981 م .

(3) الجصاص، أحكام القرآن، (354/2) .

وقال الطبري : "حنيفا : متبعاً أمر الله وطاعته ، مستقيماً على محجة الهدى التي أمر بلزومه"⁽¹⁾.

وأما القشيري فيرى أن إبراهيم ٧ كان حنيفاً لا مائلاً عن الحق ، ولا زائغاً عن الشرع ، ولا مُعَرَّجاً على شيء فيه نصيب للنفس ، فقد سَلَّمَ مَالَهُ وَنَفْسَهُ وَوَلَدَهُ ، وما كان له به جملةً - إلى حكم الله وانتظار أمره⁽²⁾.

وذكر ابن الجوزي في زاد المسير أن المفسرين قد وصفوا الحنيف بأوصاف منها : المخلص ، أو الذي يحج ، أو الذي يوحد ويحج ويضحى ويختنن ويستقبل الكعبة⁽³⁾.

وهكذا ، وبعد إيراد أقوال بعض المفسرين في معنى الكلمة ، فإنه يتبين أن الحنف في الشرع يطلق على معانٍ عدة ، منها : الاستقامة وعدم الميل ، الاتباع ، الإسلام أو بعض شرائعه مثل : الاختتان والحج واستقبال القبلة ... ، وهذا بمجمله لا يخرج عما قاله أهل اللغة في معنى الكلمة .

ولقد كان رسول الله ٥ يكثر من ذكر حنيفيته ، حتى إنه ليذكرها في كل صلاة ، فعن علي بن أبي طالب ٧ ، عن رسول الله ٥ ؛ أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال : (وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ...) ⁽⁴⁾.

وكان الصحابة ٧ يعلمون تماماً أن الحنيفية هي الإسلام ، فعن زياد بن حدير ⁽⁵⁾ أن أباه كان يأخذ من نصراني العشر في كل سنة مرتين ، فأتى عمر بن الخطاب ٧ ، فقال: يا أمير المؤمنين إن عاملك يأخذ مني العشر في كل سنة مرتين ، فقال عمر: ليس ذلك له ، إنما له في كل سنة مرة ، ثم أتاه فقال : أنا الشيخ النصراني ، فقال عمر: وأنا الشيخ الحنيف ، قد كتبت لك في حاجتك⁽⁷⁾.

(1) الطبري، جامع البيان، (305/3) .

(2) القشيري، تفسير لطائف الإشارات، (152/1) .

(3) انظر: ابن الجوزي، زاد المسير، (116/1). وانظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (109/4) .

(4) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ح(771) .

(5) زياد بن حدير: الأسدي أبو المغيرة ويقال أبو عبد الرحمن. روى عن عمر وعلي وابن مسعود والعلاء بن الحضرمي رضي الله عنهم. وعنه إبراهيم بن مهاجر والشعبي وغيرهم . قال الذهبي: ثقة عابد. انظر: (الذهبي، الكاشف، (329/1) و(ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، (312/3).

(6) عمر بن الخطاب: (40 ق ه - - 23 ه -) ثاني الخلفاء الراشدين، لقبه النبي ٥ بالفاروق، وكناه بأبي حفص. ه وأول من لقب بأمر المؤمنين، صاحب الفتوحات، أسلم قبل الهجرة بخمس سنين، وشهد الوقائع. وبويع بالخلافة يوم وفاة أبي بكر (سنة 13 هـ) بعهد منه. وقتله أبو لؤلؤة فيروز الفارسي (غلام المغيرة بن شعبة) غيلة، بخنجر في خاصرته وهو في صلاة الصبح. انظر: (ابن عبد البر، الاستيعاب، (1144/3) و(ابن الجوزي، صفة الصفوة، (268 /1) و(ابن الأثير، أسد الغابة، (641/3) و(الذهبي، سير أعلام النبلاء، (509/2) .

(7) قال الشيخ صفوة السقا : "رواه البيهقي في السنن الكبرى ، كتاب الجزية - باب لا يؤخذ منهم ذلك في السنة (211/9) ". انظر: المتقي الهندي ، كنز العمال ، ح(11520) ، (514/4) ، ضبطه وفسر غريبه : بكري حياي ، صححه ووضع فهرسه ومقتاحه : صفوة السقا ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1989 م .

الباب الثاني

إبراهيم ٥ في أرض العراق والإشارات التربوية في هذه المرحلة

وفيه خمسة فصول :

الفصل الأول : دعوة إبراهيم ٥ أبه آزر

الفصل الثاني : دعوة إبراهيم ٥ قومه

الفصل الثالث : دعوة الملك الظالم

الفصل الرابع : نحن أحق بالشك من إبراهيم ٥ .

الفصل الخامس : تحطيم الأصنام و محاكمة إبراهيم ٥ ونجاته من النيران

الفصل الأول

دعوة إبراهيم ٥ أبله آزر

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول : أسلوب الدعوة

المبحث الثاني : إنكار إبراهيم ٥ على أبيه

المبحث الثالث : استغفار إبراهيم ٥ لأبيه

المبحث الرابع : إعلان إبراهيم ٥ البراءة من أبيه

المبحث الخامس : لقاء يجمع بين الأب وابنه ٥ يوم القيامة

الفصل الأول

دعوة إبراهيم U أبه آزر

لما بعث الله Y إبراهيم U نبياً ورسولاً ، رفع لواء الإسلام ، ومحق الله على يديه الأصنام ، وأزال به الشر ، وأبطل الضلال ، وبدأ في دعوة الناس بلغيه ؛ لأنه أحق الناس بالدعوة والنصح والإرشاد ، وكانت دعوته إياه بالرفق واللين والبر ، فأغظ له الأب القول وهدده بالرجم ، فوعده إبراهيم U بالاستغفار له ، لكن كل هذه الأساليب لم تُجدِ نفعا مع هذا الأب المعاند ، فما كان من إبراهيم U إلا أن تبرأ منه .

ولدى الرجوع إلى القرآن الكريم - وهو المصدر الأول والأساس والأصيل لأخذ المعلومات عن تاريخ الأنبياء - فإننا نجد فيه عدة آيات تُذكر فيها دعوة إبراهيم U أباه آزر ، وهي :

1. في سورة الأنعام : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَأَيْتَ وَقَوْمَكَ فِي حَذَلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام : 74] .
2. في سورة التوبة : ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا مِنْ مَوْجِبَةٍ وَوَعْدًا إِنَّهُ قَالًا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرًّا مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة : 114] .
3. في سورة مريم : ﴿وَإِذْ كُنَّا فِي الضَّمَانِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ حَدِيثًا نَبِيًّا﴾ 41 ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا تَعْبُدُ كَمَا تُبَدِّلُ مَا تَكْفُرُ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ وَأَخَذْتَهُ رَبِّي تَمَسَىٰ آلَ الْأَعْمَىٰ وَكَيْفَا رَبِّي هَيَّئًا﴾ [مريم : 41-48] .
4. وفي سورة الأنبياء : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُحْمَةً مِنْ قَبْلِهِ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ 51 ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ الْقُرْآنُ بَلُّغٌ لِلنَّاسِ أَنَّهُمْ لَمْ يَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَبْرَاهِيمَ بِرَبِّهِمْ فَجَعَلْنَاهُمْ الْآخِضِينَ﴾ [الأنبياء : 51-70] .
5. وفي سورة الشعراء قال : ﴿وَإِذْ أَنْزَلْنَا نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾ 69 ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾ 70 ﴿قَالُوا نَعْبُدُ آبَاءَنَا فَتَبَلَّغْ لَنَا مَا نَحْبُوهنَّ إِنَّهُنَّ كُنَّ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ 86 ﴿وَلَا تُخْزِينِي يَوْمَ يُنْعَمُونَ﴾ 87 ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ 88 ﴿إِلَّا مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَحَلَمَ عَلَيْهِ﴾ 89 [الشعراء : 69-89] .
6. وفي سورة الصافات : ﴿وَإِنَّ مِنْ هِجْرَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ﴾ 83 ﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ حَلِيمٍ﴾ 84 ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ 85 ... ﴿وَقَالَ إِنِّي حَامِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَبِّحِينَ﴾ [الصافات : 83 - 99] .
7. وفي سورة الزخرف : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ 26 ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَبِّحِينَ﴾ [الزخرف : 26 - 27] .
8. وفي سورة الممتحنة : ﴿فَكَذَّبْتَ بِكُمْ مَثْوًى وَصَمَّتَ بِنِي إِبْرَاهِيمَ وَالْحَدِيثَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءٌ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَّلْنَا بُدُنَنَا وَيَبَدِّلُ الْعَاوَةَ وَالْمَغْضَاءَ أَبَدًا حَدَىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَخَشَاةُ اللَّهِ

قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْتَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤٠﴾

[الممتحنة : 4] .

وعند النظر في مجموعة الآيات الكريمة ، نجد أن هذه الآيات لا تخص دعوة الأب فحسب ، بل تضم أحيانا دعوة القوم ، وبناءً عليه فسيتم عرض ما يختص بدعوته أباه في هذا الفصل ، وسيؤخر عرض الباقي إلى الفصول اللاحقة - بإذن الله I ، كل آية حسب موضعها المناسب لها .

وسيتم تفصيل الكلام في هذا الفصل عبر المباحث الخمسة الآتية :

الأول : أسلوب الدعوة

الثاني : إنكار إبراهيم U على أبيه

الثالث : استغفار إبراهيم U لأبيه

الرابع : إعلان إبراهيم U البراءة من أبيه

الخامس : لقاء يجمع بين الأب وابنه U يوم القيامة

المبحث الأول

أُسْلُوبُ الدَّعْوَةِ

الدعوة إلى الله تعالى I وإلى دينه من أجل الأعمال وأشرفها عند الله Y ، قال سبحانه : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ حَدَّثَنَا إِلَى اللَّهِ ﴾ [فصلت : 33] ؛ لذلك كان الأنبياء والمرسلون - عليهم السلام - هم الصفوة الأخيار والعاملين الأبرار ؛ فهم الذين بلغوا رسالات ربهم للناس ، أمرهم بالمعروف ، ونهوه عن المنكر ، على منهج الله ووفق أوامره ونواهيه .

هذا وقد خلق الله Y الناس متفاوتين مختلفين في أشكالهم وألوانهم ، وفي أسنتهم ولغاتهم ، بل وفي عقولهم وقلوبهم ، ونتيجة للاختلاف في العقول والقلوب اختلفت الأساليب التي فيها صلاحهم ، فمنهم من يصلحه الترغيب ، ومنهم من لا ينفع معه إلا التهيب ، ومنهم من يجد في الوعد بُغيته ، ومنهم من لا يستقيم إلا بالوعيد ، ... ومن هنا كان لا بد لكل داعية من معرفة أساليب الدعوة ؛ حتى تُكَلِّم مساعيه بالنجاح ، ويُوقِّف لما فيه الخير والصلاح ، لا بدَّ من تحديد الداء لمعرفة الدواء ، والبدء بإزالة الشبهات ، وعدم الغفلة عن الترغيب، ولا نسيان التهيب ، والعمل على التربية والتعليم من خلال الدعوة ، وما إلى ذلك من أساليب .

وبالتأمل في أقوال إبراهيم U وأفعاله حال دعوته أباه يمكن أن نتعلم الكثير من أساليب الدعوة ، وأبرز المشاهد التي توضح ذلك هي في قوله جل من قائل : ﴿ وَأَذْكُرُ بِي السَّاعَةَ إِذْ نَادَيْتُهُ أَنْتَ كَانَ حَدِيثًا نَبِيًّا ﴾ 41 ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴾ 42 ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَفْئِدَتَكَ حَرَاهًا حُرُوبًا ﴾ 43 ﴿ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ حَسِبًا ﴾ 44 ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُسَمِّنَكَ حَمَامَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَنَّ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴾ 45 ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَمَّنْ أَلْمِزْتَنِي يَا إِبرَاهِيمَ لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ لِأَرْجَمَتَكَ وَأَمْجَزْنِي فَلَئِنَّا لَكُنَّا مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ 46 ﴿ قَالَ سَلَامَةٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَعِينُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَمِيمًا ﴾ 47 ﴿ وَأَمْجَزْنَاكَ وَمَا تَكْفُرُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَذْكُرُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَنَّ بِحَمَلِكُمْ رَبِّي حَمِيمًا ﴾ [مريم : 41-48].

هذا ، وسيتم استخلاص الإشارات التربوية من هذه الآيات ضمن مطلبين ، الأول : استنباطات بعض المفسرين للإشارات التربوية من الآيات ، والثاني : آراء التربويين فيما استنبطه المفسرون .

المطلب الأول : استنباطات بعض المفسرين للإشارات التربوية في الآيات :

قال القشيري في تفسيره : " لم يغادر الخليل شيئاً من الشفقة على أبيه ، ولم ينفعه جميل وعظه ، ولم تتجع فيه كثرةُ نُصْحِهِ ، ... منَّاه إبراهيمُ بجميل العُقبَى ، فقابلهُ بتوعُدِ العقوبة ... فأجابهُ الخليل بمقتضى سكون البصيرة ، فقال : **﴿سَلَامَةٌ عَلَيْكَ سَأَمْتَعِيهِزْ لَكِنَّ رَبِّي﴾** ، وهذا قبل أن ييأس من إيمانه ، إذا كانت لديه بعدُ بقيةٌ من الرجاء في شأنه ⁽¹⁾ .

فالشفقة وجميل الوعظ ، وعدم اليأس ، ومقابلة الإساءة بالإحسان ، هي من أهم أسس العملية التربوية ، ومن أخلاقيات المربي الناجح .

ومن المعاني الجميلة التي ذكرها الزمخشري :

* بدء الآيات بالمدح والثناء على إبراهيم بقوله Y : **﴿إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا﴾** وتعني : أنه U " كان جامعاً لخصائص الصديقين والأنبياء حين خاطب أباه تلك المخاطبات ⁽²⁾ . فالمخاطب صدِّيق ، وهي صيغة مبالغة من الصدق ، فلم يكن كذاباً في دعوته ولا في غيرها من قبل ، وإنما كان صدِّيقاً كثير الصدق ، وكان نبياً يُبلِّغ رسالة ربه ، ويُنفذ أمره .

* بيّن الزمخشري أثر كون إبراهيم U صديقاً نبياً فقال : " انظر حين أراد أن ينصح أباه ويعظه فيما كان متورطاً فيه من الخطأ العظيم والارتكاب الشنيع الذي عصا فيه أمر العقل وانسلخ عن قضية التمييز ، ومن الغباوة التي ليس بعدها غباوة : كيف رتّب الكلام معه في أحسن اتساق ، وساقه أرشق مساق ، مع استعمال المجاملة واللفظ والرفق واللين والأدب الجميل والخلق الحسن ⁽³⁾ .

* وذكر كيف أن إبراهيم U خوّف أباه من عاقبة ما هو فيه ب حسن أدب ؛ فلم يصرح بأن العقاب لاحقٌ به وأن العذاب لاصقٌ به ، ولكنه قال : **﴿أَلَا تَأْتِيكَ أَنْ يَمْسَكَ بِكَ عَذَابُهُ﴾** ، فذكر الخوف والمَسَّ ونكَّر العذاب . ولم ينس الزمخشري الإشارة التربوية المهمة في طريقة خطاب الابن لأبيه ، وكيف صدر كل نصيحة من النصائح الأربع بقوله : **﴿يَا أَبَتِي﴾** توسلاً إليه واستعطافاً ، ثم كيف قابل الأب ابنه بفضاظة الكفر وغلظة العناد ، فناداه باسمه ، ولم يقابل **﴿يَا أَبَتِي﴾** ب (يا بني) ⁽⁴⁾ .

(1) القشيري ، لطائف الإشارات ، (243/2) .

(2) الزمخشري ، الكشاف ، (17/3) .

(3) نفسه ، (17/3) .

(4) نفسه ، (19/3) .

* ولما هدد الأب ابنه بالرجم قال الابن : **سَلَامَةٌ لَكَ** ، وهذا دليل على جواز متاركة المنصوح له والحال هذه . ويجوز أن يكون قد دعا له بالسلامة استمالة له (1) .

ثم ذكر كيف عرّض بشقاوتهم بدعاء آلهتهم في قوله : **لِمَسَى الْأَعْمُونَ بِحَمَلِ رَبِّي هَوِيًّا** ، مع التواضع لله بكلمة **لِمَسَى** ، وما فيه من هضم النفس (2) .

ولقد تنبه الرازي إلى أسلوب دعوة إبراهيم U أباه ، ونبه إلى ما فيه من أمور تربية تظهر في كيفية ترتيبه كلامه ، فكان الترتيب في غاية الحسن ؛ فنبّه أولاً على ما يدل على المنع من عبادة الأوثان بللفظ والاستدلال ، ثم نبّه ثانياً على أن طاعة الشيطان غير جائزة في العقول ، ثم ختم الكلام بالوعيد الزاجر عن الإقدام على ما لا ينبغي ، ثم إنه U أورد هذا الكلام الحسن مقروناً باللفظ والرفق ، فإن قوله في مقدمة كل كلام **يَا أَبَاهُ** دليل على شدة الحب ، وخرّم الكلام بقوله **إِنِّي أَخَافُكَ** يدل على شدة تعلق قلبه بمصالحه ؛ وعلل الرازي الحكمة من أقوال إبراهيم U وما ظهر فيها من أدب رفيع بأمرين : الأول : حق الأبوة ، على ما قال تعالى : **وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا** [الإسراء: 23] ، وهدايته من أعظم أنواع الإحسان ، فإذا أضاف إليه رعاية الأدب والرفق كان ذلك نوراً على نور . والثاني : أن الداعية لا بد أن يكون رفيقاً لطيفاً ، لا يستعمل العنف في أسلوبه ؛ وإلا كان سبباً في إعراض المستمع؛ فيكون ذلك في الحقيقة سعيّاً في الإغواء... (3) .

أما الألوسي : فقد استنبط عدة دروس تربية من الآيات ، منها :

* أن إبراهيم U لم يسم أباه بالجهل المفرط وإن كان في أقصاه ، ولا نفسه بالعلم الفائق وإن كان كذلك ، بل استماله برفق حيث قال : **فَاتَّبَعْنِي أَفْئِدَةً حَرِاطًا سَوِيًّا** (4) .

* وفي قوله : **لِمَسَايَةِ مِنَ الرِّجْمِ** دلالة على أنه ليس على وجه الانتقام ، وأن صفة الرحمانية لا تنافي العذاب . قال : ويكفي في مراعاة الأدب والمجاملة عدم الجزم باللحوق (5) .

* وفي قوله : **سَلَامَةٌ لَكَ** أي لا أصيبك بمكروه بعد ولا أشافئك بما يؤذيك ، مقابلة للسيئة بالحسنة ؛ فإن ترك الإساءة للمسيء إحسان (6) .

(1) الزمخشري، الكشاف، (20/3) .

(2) نفسه، (21/3) .

(3) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، (21/ 227 – 228) .

(4) الألوسي، تفسير روح المعاني، (16/ 97) .

(5) نفسه، (16/ 98) .

(6) نفسه، (16/ 99) .

أما ابن عاشور فقد ذكر أموراً وإشاراتٍ تربويةً أخرى من الآيات ، ومن ذلك :

* افتتح إبراهيم ٥ خطابه ببناء أبيه مع أن الحضرة مغنبة عن النداء ؛ قصداً لإحضار سمعه وذهنه لتلقي ما سيلقيه إليه⁽¹⁾.

* وفي إعادة ندائه بوصف الأبوة تأكيد لإحضار الذهن وإمحاء النصيحة المستفاد من النداء الأول⁽²⁾.

* وفي قوله : ﴿ يَا أَبَتِ إِنَّي أَعْتَابُكَ فَإِنَّكَ مَعَابِدٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَتَّخِذُ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴾ عبر عن لفظ الجلالة بوصف الرحمن ؛ للإشارة إلى أن حلول العذاب ممن شأنُهُ هُوَ أن يَرْحَمَ إنما يكون لفضاعة الجرم ، إلى حد أن يَحْرِمَهُ من رحمته مَنْ شأنُهُ سَعَةُ الرَّحْمَةِ . والتعبير بالخوف الدال على الظن دون القطع إبقاءً للرجاء في نفس أبيه لينظر في التخصُّص من ذلك العذاب بالإقلاع عن عبادة الأوثان⁽³⁾.

* وأظهر حرصه على هداه فقال : ﴿ سَأْمَنْعُكَ لَكَ رَبِّي ﴾ ثم أتبعها : ﴿ إِنَّهُ كَانَ بِي حَوِيًّا ﴾ والحفي: الشديد البر والإلطف⁽⁴⁾ ؛ ففيها تعليل لما يتضمنه الوعد بالاستغفار من رجاء المغفرة⁽⁵⁾.

ويمكن تلخيص الإشارات التربوية المستخلصة ضمن ثلاثة بنود :

الأول : استعمال أساليب ووسائل متعددة في الدعوة : من جميل الوعظ ، مع الهدوء في الكلام ، وضبط النفس ، وإظهار الرجاء مرة ، والتحذير والتخويف أخرى ، وإظهار المحبة والحرص على الهداية ، ومعرفة بالقلوب أدت إلى الاستمالة والاستعطاف والاستغفار ، ومقابلة السيئة بالحسنة... .

الثاني : سلامة القلب وامتلاؤه بالإخلاص والاعتزاز بالانتماء لله تعالى ، والتواضع وهضم النفس ، وغيرها من الصفات .

الثالث : الاتصاف بمكارم الأخلاق ، والآداب الجميلة ، والمعاملة الحسنة ، والبر ، والشفقة ، والرفق ، واللين ، والرقّة ، واللطف في التعامل ، والرحمة ، والحلم ، والإحسان ، والإكرام.

(1) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (113 / 16).

(2) انظر: نفسه، (115 / 16) .

(3) نفسه، (117 - 118 / 16).

(4) الحفي في اللغة: هو اللطيف بك ببرك ويؤطفك ويحتفي بك. انظر: ابن منظور، لسان العرب، (250/3)، مادة: (حفا).

(5) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (121 / 16) .

المطلب الثاني : آراء التربويين فيما استنبطه المفسرون :

بعد هذا العرض لما استنبطه علماء التفسير من أمور تربوية من المشهد ، فإن المجال هنا أصبح مناسباً لربط ما ذكر بما توصل إليه علماء التربية ، وسيتم الحديث في هذا المطلب ضمن البنود الثلاثة التي استخلصت من المطلب السابق .

* أولاً : استعمال أساليب ووسائل⁽¹⁾ متعددة في الدعوة :

اتبع إبراهيم U الكثير من الوسائل والأساليب في دعوته أباه : فجميل الوعظ مع الهدوء في الكلام وضبط النفس ، وإظهار الرجاء مرة ، والتحذير والتخويف مرة أخرى ، وإظهار المحبة والحرص على الهداية ، ومعرفة بالقلوب أدت إلى الاستمالة والاستعطاف والاستغفار ، ومقابلة السيئة بالحسنة ... كل هذه الأمور ما فارقت دعوة إبراهيم U أباه . ويُعتبر استعمال الأساليب الكثيرة دليل الوعي والعلم والمعرفة ، ولقد دلت التجارب على أهمية تعدد الأساليب للتواصل مع الناس ، وهذا التعدد يبيح على القبول ، وهذا ما قرّر تربوياً ، فإنه لا يمكن بلوغ الغايات والأهداف التربوية المطلوبة من غير استعمال أسلوب صحيح ومدرّس ، فخلال العملية التربوية لا بدّ من اتباع الأسلوب الذي يوجه إلى السبيل في كيفية بلوغ الهدف ، ويدل على الوسائل والأسباب المادية والمعنوية المفيدة في هذا المضمار ، ولا شك أن السبل كثيرة ومتنوعة ، والعقلاء من المربين وأولياء الأمور يسعون إلى إنتاج النمط الذي يوصلهم إلى أفضل النتائج في أقصر فترة ممكنة ، ومن الواضح أن هذا الأمر يستلزم وجود الوعي والتجربة ، إذ لا يمكن الانطلاق على غير هدى⁽²⁾.

وإبراهيم U إمام المنطليين على هدى ووعي تامين ؛ فقد وفقه الله وهداه ، فكان يسير في طريقه ثابت الجنان مطمئن النفس قوي العزيمة ، ولقد استعمله ربه فكان نعم العامل ، ولقد جعله الله - جلّ في علاه - مفتاحاً للخير مغلاقاً للشر ، فأخذ إبراهيم U نفسه بالرفق واللفظ والرقّة واللين في طريقة الخطاب ، وأسلوب الحوار والنقاش ، وفي ندائه لأبيه ، ونوعية الكلمات المستخدمة ، فلا فظاظة ولا غلظة ، ولا سباب ولا عنف ، وهذا أمر يدعو إلى الاستجابة ؛ لأن الدعوة فن يجب أن يراعى فيه الرفق : في الجمل الإرشادية ، وفي درجة الصوت الإرشادي ، فلا يرفع الصوت بالتهديد ليفرض ما يريد من القيم ، وإنما يحاول زرع هذه القيم عبر الكلام بهدوء ، والتوجيه الملم إلى

(1) الوسيلة اصطلاحاً : هي القناة الموصلة للغاية ، أو الأداة المستخدمة في نقل المعاني والأفكار للناس . ووسائل الدعوة : هي ما يتوصل به الداعية إلى تطبيق مناهج الدعوة من أمور معنوية أو مادية . انظر :

<http://www.alhashemih.com/index.ph>

أما الأسلوب فهو: مجموعة الطرق العلمية المتبعة في عرض الأفكار التي يتعلمها الداعية ويطبقها أثناء تبليغ الدعوة إلى الناس . انظر :

<http://meshkat.net/new/contents.php?catid=5&artid=5146>

(2) انظر: القاسمي، علي، الأسرة والطفل المشاكس، (ص24) ، دار النبلاء، ط(3)، 2001م .

بالثقة ، وعدم التوبيخ ؛ لأن القيم الخيرة لا تُفرض فرضا ، وإنما يجذب إليها الإنسان عبر المثل ؛ فيقبلها عن طيب خاطر(1).

بدأ إبراهيم U بالرفق ، وأظهر الحرص على مصالح الأب ، ولكن الأب ترك الاستجابة وأعرض ، فغيّر إبراهيم الأسلوب ، وسار بطريق الترهيب بعد الترغيب ، فنهاه برفق عن اتباع طريق الشيطان ، ونبّهه على عداوته ، وخوّفه العذاب برفق – أيضا ، فهدد الأب وتوعد ، فما كان من إبراهيم U إلا أن زاد في مقدار الرفق والاحترام ، فحيّاه ووعده الدعاء والاستغفار .

وإبراهيم الخليل يتلفظ بالكلمة نفسها ~~إيا أبيه~~ لأبيه الكافر ، متقربا إليه ، يدعو إلى الإيمان بأسلوب التحبب ، مكررا هذه الكلمة التي يعشقها الآباء ناصحا وواعظا(2)؛ فعندما يُستعمل التوجيه المفعم بالحب ، فإن المري يعلم أن من حوله يقوم بإرضاء احتياجاته بشكل مقبول اجتماعيا ، وبدون الحط من قدر نفسه أو محاولة السيطرة على الآخرين ، وكلمة "مقبول اجتماعيا" تعني المحافظة على احترام الذات ، وتحقيق الأمان لكل شخص ، إن التوجيه المُحب يضع الكل في موقف القوة والسلطة ، بدلا من التصدى ، إنه يعمل على تقوية الأسرة بأكملها – إن كان داخل الأسرة ؛ فالحب يجعل المري يبحث عن الأفضل والأرقى ، في الأشخاص والمواقف (3). ولقد خاطب U أباه وحاول في كل مرة استحضار سمعه وبصره وذهنه ، فهو يعلم أن مخاطبة من أمامه بدون استحضار سمعه وبصره وذهنه لن تجدي نفعا ، وهي وعدمها سيان .

لم يُصِبْ إبراهيم U الغضبُ ولا العصبيةُ الجنونيةُ من تصرفات أبيه ولا من كفره ؛ فهذه من الصفات السلبية في العملية التربوية ، بل كذلك من الناحية الاجتماعية ، وإذا ملك الإنسان غضبه ، وكظم غيظه كان ذلك فلاحا له ولمن يقوم على تربيته(4). لقد كان ضابطا لتصرفاته ولنفسه ، وضبط النفس يعني : التحكم في العقل ، بمعنى أن يكون المرء على دراية ووعي بأفكاره ومشاعره ، ومن خلال هذا الوعي يصبح هو المتحكم والمسيطر على سلوكه ؛ فالافتقار إلى ضبط النفس يسلم مقاليد حياة الإنسان إلى الناس ، والأحداث ، والأشياء ليتحكموا فيها ويقوموا بتوجيهها بينما هو غير واعٍ لنفسه ، أو يصبّ تركيزه فقط على ما يشعر به الآخرون ، أو يفكرون فيه (5) ، وهناك أمور تساعد على ضبط النفس ، من أهمها :

(1) انظر: بدري، محمد محمد، اللمة الإنسانية - لمحات في فن التعامل مع الأبناء ، (ص403) ، دار الصفوة ، ط(1)، 2005 م.
(2) انظر: مكاني، عثمان قدرى، من أساليب التربية في القرآن الكريم، (ص79)، دار ابن حزم، ط(1)، 2001م
(3) انظر: بيلى، بيكي إيه، الأطفال: سهل حبه صعب تهذيبهم – 7 مهارات أساسية لتحويل الصراع إلى تعاون، (ص 11 و 14)، مكتبة جرير، الرياض، ط(1)، 2005م.

Bailey, Becky A. , Easy to love Difficult To Discipline - The Seven Basic Skills for Turning Conflict into Cooperation

(4) انظر: سلامة، صبحي سليمان، فن تربية الأطفال، (ص 52)، دار الفاروق للنشر، القاهرة، ط(1)، 2006 م.
(5) انظر: بيلى، الأطفال: سهل حبه صعب تهذيبهم – 7 مهارات أساسية لتحويل الصراع إلى تعاون، (ص 38) .

1- ضبط النفس عند الغضب ؛ فمذموم أن يكون الإنسان سريع الغضب ، يخرج عن عقله للكلمة الصغيرة والسبب الحقير .

2- ضبط النفس عن الاسترسال في الانقباض والسخط ؛ لأن ذلك يكدر صفو الحياة⁽¹⁾.

ولقد استطاع إبراهيم U هذا الفعل فضَبَّطَ نفسه فلم يحصل الغضب المتوقع بعد رد الأب عليه ، فما خرج عن عقله ، على الرغم من كون كلام الأب قاسيا ، وما ترك مثل هذا الأمر يكدر صفو حياته ، بقي هادئا على الرغم من التهديد والوعيد ، فمن المهم أن يبقى هادئا ؛ حيث يبدو أن أسوأ الأشياء تحدث إذا فقد الإنسان أعصابه ، أما إذا استطاع أن يحتفظ بهدوئه فسوف يعتمد عليه الآخرون بشكل أكبر، وسيظنّون إليه على أنه شخص ناضج وقادر على معالجة حتى أسوأ المواقف ، كما سيحترمه المحيطون به لهدوئه⁽²⁾.

ثم إن إبراهيم U حافظ على نبرة الصوت فلم يرفع صوته عاليا مطالبا بأي شيء ، حق أو غيره ، وهذا من صفات الجذابين من الناس الذين يعلمون أن نعمة الحديث هي التي تهم ، وهم يجعلون أصواتهم متحمسة ويجعلون لغة أجسادهم طبيعية وتتم عن الود ، كما أنهم يجعلون كل من يتحدثون إليهم يشعرون بالأهمية⁽³⁾.

كما أن من أهم الأمور المفيدة في المجال التربوي أن يجعل المربي من حوله يدركون أنه يكره سلوكهم لا شخصهم ، فمن الصحيح أن يشعر بالضيق والاستياء من الطريقة التي يتصرفون بها ، لكنه لا يزال يُكِنّ لهم كل الحب⁽⁴⁾.

وقول إبراهيم U لأبيه : **﴿مَلَأَ مَلَكُكَ سَامِعًا لَكَ رَبِّي﴾** ، يُظهر للأب - لا محالة - أن ابنه لا يكرهه ، بل يحبه ويحب مصالحه ، وهو حريص عليها ، وإن كان يكره سلوكه .

كان لدى إبراهيم U - أيضا - دراية بكيفية التعامل مع الناس ، فهو يستعمل أسلوب المداراة ، والمداراة من أعظم وسائل كسب القلوب المتنافرة ، وإطفاء العداوة ، وقَلْبها إلى صداقة ومحبة. وهي ترجع إلى القول الحسن ، وحسن اللقاء ، وتجنب كل ما يُشعر بنفور أو غضب في حق مَنْ في خُلُقهِ شيء أو يُتوقع منه الأذى ، وهذه منقبة وخلة

(1) انظر: الخطيب، إبراهيم، وعيد، زهدي محمد، تربية الطفل في الإسلام، (ص ص73و128)، الدار العلمية الدولية، عمان، ط (1)، 2002م .

(2) انظر: بيرك، راي، وهيرون، رون، تربية الأطفال بالفطرة السليمة - دليل مجرب ومفصل خطوة بخطوة لتنشئة أطفال مسؤولين وبناء أسر سعيدة، (ص 188)، مكتبة جرير، الرياض، ط(1)، 2006م.

BURKE , RAY,& HERRON, RON, Common Sense PARENTING- A proven , step- by- step guide for raising responsible kids and building happy families

(3) انظر: لاوندس , ليل , كيف تجذب الناس كالمغناطيس، (ص ص26و91)، مكتبة جرير , الرياض , ط(1)، 2005م.

LOWNDES, LEIL, How to Be a People Magnet (4) انظر: بيرك، وهيرون، تربية الأطفال بالفطرة السليمة، (ص 20) .

BURKE & HERRON, Common Sense PARENTING

كريمة ، لا يقوى عليها إلا ذوو الصدق والإخلاص ، ولا يصل إلى أعتابها إلا من جاهد نفسه حق الجهاد ، ومهما كان المرء سليم الصدر ، عذر الناس من أنفسهم ، والتمس الأعدار لأخطائهم ، وأحسن إليهم ما أساءوا إليه⁽¹⁾.

ولقد أحسن الخليل ٧ حتى بعد الإساءة ، فكان يتقن فن العطاء ، يعطي برفق ؛ لأنه أكبر من أن ينظر إلى نفسه ، كان كل تركيزه على دعوته ، يقوم بعمله على أحسن وجه وأكمله ، في اهتمام ووعي ومعرفة ، يحاول جهده أن يملك القلوب لا الأبدان ؛ لذلك فهو يستميل النفوس ، ويستعطف القلوب ، ويجامل لا على حساب العقيدة ، كل ذلك بأساليب متنوعة وعديدة .

وتبقى الإشارة إلى أسلوب التخويف والتحذير من العقاب من الناحية التربوية ، وهو أحد الأساليب التي استعملها إبراهيم ٧ في دعوته أباه ، فموضوع استعمال العقاب قد أثار نوعاً من الجدل فيما يتعلق بقانونيته وفاعليته ، وهناك من أيده وهناك من عارضه ، والمؤيدون يشيرون إلى أنه يعمل على :

1. التسريع في نقصان السلوك غير المرغوب فيه ومحوه .
2. يسهل عملية التعليم .
3. يعتبر رادعاً لمُشاهد العقاب .

أما المعارضون لاستعمال العقاب ، فيرون أنه :

1. يقود إلى كبت السلوك وليس محوه .
2. عودة السلوك السيئ في حال زوال العقاب .
3. يولد العقاب حالات انفعالية غير مرغوب فيها .

ولذلك لا يُلجأ إلى العقاب إلا بعد إخفاق الأساليب السلوكية الأخرى⁽²⁾.

وعلى المرئي أن يحذر المرئي - قبل العقاب - بأن استمراره في ارتكاب نفس العمل ستكون عاقبته وخيمة وغير سارة ، وهذا الأسلوب يجد صدقاً طيباً في حالات عدة ، ويحسن اللجوء إليه قبل الإسراع بللعقاب بعد أول تنبيه⁽³⁾.

(1) انظر: الحاشدي ، أبل عبد الله فيصل بن عبده قائد ، طريقنا للقلوب- 35 وسيلة لكسب قلوب الناس ، دار القمة ودار الإيمان ، (ص ص 82و89) ، الإسكندرية ، ط(3) ، 2006م .
(2) انظر: عبد الهادي، جودت عزت، والعزة، سعيد حسني، تعديل السلوك الإنساني، (ص158)، الدار العلمية الدولية ودار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، ط(1)، 2001م.
(3) انظر: كامل، الآباء ومشكلات الأبناء في الميزان السيكولوجي بين الفهم والمواجهة، (ص125).

وإبراهيم U خَوْفُ أباه من العذاب الذي سيناله في حالة تركه ما أرشده إليه ، ولكن بعد أن استنفد الأساليب الأخرى ؛ فكان ذكر العقوبة والتحذير منها هو حيلة أخيرة استعملها إبراهيم U مع أبيه ، وتربويًا يمكن تطبيق عدة قواعد ، كل واحدة منها على نحو ما ، وهذه القواعد هي :

1. قاعدة الحنان .

2. قاعدة الحث والتشجيع .

وقد بدأ بهما إبراهيم U .

3. قاعدة اللجوء إلى أساليب العقوبة ، وذلك بعد أن يتم الإرشاد باللين والعطف ، فإن بدت وكأنها لا تجدي نفعًا ، فيجب عندها اللجوء إلى أسلوب القوة⁽¹⁾.

ومن جهة أخرى فالكثيرون من الناس يقومون بأعمال تخالف الضوابط الشرعية والاجتماعية ، ويعطون لأنفسهم الحق بارتكاب أعمال غير منضبطة مستغلين حسن المعاملة ، وفي هذه المواضع من الضروري أن يوجه للمخالفين عقوبات منصفة وعادلة⁽²⁾.

فكل عمل مشين سيئ يستحق صاحبه العقوبة ، وليس أسوأ من الكفر والشرك والإعراض عن منهج الله Y ، إن أزر أعرض عن الإيمان فصار أهلاً لاستحقاق العذاب من الله والخلود في النيران .

ومع هذا فلقد كان إبراهيم U عالماً بضوابط مثل هذا الأسلوب - أسلوب التهيب والتخويف من العقاب ، فاستعمل :

أولاً : التحذير من العقوبة مصحوباً بالتوجيه ؛ ف التحذير المصحوب بإعادة التوجيه له نتائج أفضل ، ويُستعمل عندما لا يدرك المخاطب أن تصرفه كان بشكل غير لائق .

ثانياً : أن يكون التحذير بالتعريض لا بالتصريح⁽³⁾.

أما التحذير المصحوب بالتوجيه فقد ظهر من خلال كلمات إبراهيم U ، وفي قوله : **يَا أَبَاهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّنَكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلْمَلِكِ وَلِيًّا** ، فهو قد حذر وخوف من عذاب الرحمن ، ومن كان شأنه

(1) انظر: القائي، علي، تربية الطفل دينياً وأخلاقياً، (ص ص 55- 56)، مكتبة فخرآوي، البحرين، ط(1) 1995م .

(2) انظر: القائي، علي ، تربية الشباب بين المعرفة والتوجيه، دار النبلاء، البحرين ، ط(1)، 1996م

(3) انظر: سيفير، سال، كيف تكون قدوة حسنة لأطفالك في مرحلة ما قبل الدراسة، (ص137)، مكتبة جرير، ط(1)، 2003م.

SEVERE, SAL, How to Behave So Your Preschooler Will Too!

الرحمة فإنه لا يعاقب إلا لفظاعة الجرم ، ومن كان شأنه الرحمة فإنه يُرجى ، وتُرجى رحمته ، ويُتقرب إليه ، ولا يُبعد عنه .

وأما الزجر بالتعريض فللمقصود به هو أنه إذا احتاج المتعلم إلى زجر ، فيجب أن يزجر - ما أمكن - بطريقة التلميح الخفي غير المباشر ، ورب تلميح أبلغ من تصريح⁽¹⁾. فهو قد استعمل كلمة الخوف التي تدل على توقع العقوبة لا الجزم بها ، واستعمل كلمة المس وهي تدل على الرفق واللين ولم يستعمل كلمة (يصبك أو ينزل بك) - مثلا - التي ربما تدل كل منهما على الشدة .

وفي الموضوع نفسه - موضوع العقاب - فإن الأب هدّد ابنه وتوعده على أفكاره وأقواله ، وهذا النمط الفكري والسلوكي من الأب منشؤه الأفكار الجاهلية التي كانت تبيح تعذيب الابن جسدياً لإثبات السيطرة عليه من خلال هذه الطريقة⁽²⁾.

* ثانيا : سلامة القلب وامتلاؤه بالإخلاص والاعتزاز بالانتماء لله تعالى ، والتواضع وهضم النفس ، وغيرها من الصفات :

كان إبراهيم ص سليم القلب ، وسلامة القلب تحقق توازنا نفسانيا لدى الإنسان ، وتُعوّده على حب الخير للمجتمع ، وتطلق عنان قوة الخير للنفس البشرية إلى أعلى قممها⁽³⁾. وعدم سلامته تعني ظهور بعض أنواع السلوك غير المرغوب فيه ، مثل : العدوان ، ونوبات الغضب ، والتخريب ، والغيرة . ومن المهم أن لا تقابل الإساءة بإساءة ، ولا العدوان بعدوان⁽⁴⁾.

وإبراهيم ص رياه ربه - جل في علاه - على هذا الأمر ؛ لذلك استطاع أن يتغلب على نوازغ نفسه ، فلم يغضب لها ، بل تواضع فكان لا يرى لنفسه مجالاً ولا مكاناً ، فالأمر كله لله تعالى وبيده ، والتواضع - في حقيقته - بذل الاحترام ، والعطف والمجاملة لمن يستحق ذلك . وهو دليل على كِبَر النفس ، وعلو الهمة ، وهو سبيل لاكتساب المعالي ، والترقي في الكمالات ، فهو خلق يرفع صاحبه ، ويكسبه رضا أهل الفضل ومودتهم ، ويبعثه على الاستفادة من كل أحد ، وينأى به عن الكبر والتعالي⁽⁵⁾ ، وفيه نظرة واقعية للنفس ، ومعرفة حسناتها وسيئاتها ،

(1) انظر: شهلا ، جورج ، وزميلييه ، الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية، (ص 196 -197)، دار العلم للملايين، بيروت، ط(4)، 1978م

(2) انظر: القائمى، الأسرة والطفل المشاكس، (ص25) .

(3) انظر: الخطيب ، وعيد ، تربية الطفل في الإسلام، (ص 73) .

(4) انظر: ربيع، أبى الحمد ، البيت المسلم القدوة - أمل يحتاج إلى عمل، الكتاب الأول، (ص 251)، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ط(1) 2005م .

(5) الحمد، محمد بن إبراهيم، سوء الخلق مظاهره- أسبابه- علاجه، (ص 123)، وكالة المطبوعات والبحث العلمي، الرياض، ط (1)، 2004م .

والنظر إلى الآخرين من خلال فهم النفس (1) . وهو صفة مرغوبة وهامة أثناء الاتصال والتعامل مع الآخرين ، وأكثر الأوقات حاجة لها هي أوقات التفاوض والإقناع والحوار ؛ لما تساهم به من إعطاء صورة إيجابية عن الطرف الآخر، الأمر الذي يسهل من مهمة المحاور ، ويعطي انطبعا حسنا عنده ، كما أن السلوك المتواضع جزء مكمل للتعبير الناجح ؛ لأنه يسمح للأشخاص بالقيام بما يفعلونه بجدية ، وفي الوقت نفسه التعامل مع أنفسهم بخفة ، فالأشخاص المتواضعون لا يفكرون في أنفسهم على أنهم أقل شأنًا ، ولكنهم - فقط - يفكرون في أنفسهم بشكل أقل (2) . ولقد علم إبراهيم U أن ما عنده هو من فضل الله Y عليه ، فلم يُضمر العُجب والتكبر في نفسه ، ولا ظهرا من خلال كلماته ولا تصرفاته (3) .

هذا وقد ذكر أبو الحمد ربيع (4) عدة أمور ينبغي للآباء أن يعلموها للأبناء ، يتم فيها التعبير عن الغضب بطريقة مناسبة ، ما يسهل عليهم تربية أبنائهم على سلامة القلب ، ومن المؤكد أن مثل هذه الأمور - أو أكثرها قد اتصف بها خليل رب العالمين U في تعامله مع أبيه ودعوته إياه ، ومن هذه الأمور :

أ- التعبير اللفظي بكلمات لا بأس في كونها بصوت عالٍ ، بشرط السيطرة على النفس ، مع تقديم المثل والقُدوة في ضبط النفس وكظم الغيظ والهدوء والتروي .

ب- عدم السخرية والاستهزاء بالطفل ، وعدم إظهاره بمظهر العاجز .

ج- الابتعاد عن أسلوب إجبار الطفل على الطاعة لمجرد الطاعة ، وينبغي إشعاره بأهميتها .

د- يراعي الآباء تعويد أطفالهم على الأخذ والعطاء منذ الصغر ؛ لكي لا يغاروا بمجرد مشاركة غيرهم لهم في الامتيازات التي يحصلون عليها .

هـ- يتعود الطفل كيف يفرح بخير الآخرين ونجاحهم .

و- ضرورة أن يعدل الآباء سلوكهم ومعاملتهم للطفل بحيث تسمح بإشباع حاجاته ، وأن يكون هناك توازن واعتدال في معاملتهم ، وعدم التفرقة بين الأبناء (5) .

ومن المؤكد أن إبراهيم U قد قدّم المثل والقُدوة في ضبط النفس وكظم الغيظ والهدوء والتروي ، وأنه لم يستعمل أسلوب السخرية ولا الاستهزاء بمشاعر أبيه ولا كلامه ، كما أنه لم يجبره على طاعته ، مع إشعاره بأهمية الطاعة

(1) انظر: بدري، اللمة الإنسانية، (صص 395-396) .

(2) انظر: الدروبي، طه كاسب، فن التفاوض والإقناع، (صص 34)، دار عالم، عمان، ط(1)، 2006م .

(3) انظر: باشا، حسان شمسي، كيف تربي أبنائك في هذا الزمان، (صص 139)، دار القلم، دمشق، ط(2)، 2002م .

(4) أبو الحمد ربيع : من العلماء العاملين، كان خطيبا مفوها، وداعية من الطراز الأول- تعرّف على دعوة الإخوان منذ مطلع شبابه في بداية الخمسينيات، فكان أحد الذين يقومون بالتنقيف والتربية بمعهد سوهاج الديني الثانوي، وكان صاحب فكر واضح في إدارة العمل الدعوي، فابنّلي وامثّن في سبيل دعوته، وتم اعتقاله عام 1965م، وقُدّم لمحاكمة جائزة حصل على إثرها على حكم بالسجن لمدة ثلاث سنوات، ولم يخرج من السجن إلا عام 1971م، تدرج في وظائف الأزهر إلى أن أصبح مديراً للمنطقة الأزهرية بسوهاج، توفي سنة 2004م. انظر:

<http://www.ikhwanonline.com/Article.asp?ArtID=9101&SecID=391>

(5) انظر: ربيع، البيت المسلم القُدوة، (صص 251 - 252) .

له لما فيها من طاعة الله Y ، وتجنب الاستجابة له لعناده ، وكان معتدلاً متوازناً في معاملته ، فحاز بهذه الصفات قصب السبق إلى سيده ومولاه I ، واستحق عنده أعلى المراتب ، فسلامة القلب تؤهل الإنسان للقرب من الله المَنَّان .

هذا ولم يصف الله I - في القرآن الكريم - إنساناً بأنه صاحب قلب سليم بالنص الصريح إلا الخليل إبراهيم U ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا مَن هِيَ عِبَادَةُ الْإِبْرَاهِيمَ ﴾ (83) ﴿ إِنَّمَا جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ مُّسْلِمٍ ﴾ [الصفوات : 83- 84] ، وهذه الصفة كانت تلازمه في مراحل حياته المختلفة ، وها هي تظهر في أول مشهد من مشاهد دعوته ، فأبراهيم U الذي حاور أباه بأسلوب راقٍ جميل ، ما كان ليقول هذا الكلام لولا ما امتلأ به قلبه من معانٍ نبيلة ، وخِلالٍ عظيمة ، وإخلاص لله رب العالمين ، ويقين بأنه على الصراط المستقيم ، وإيمان أرسخ من الجبال ، ومما هو معلوم أن أعمال الإنسان الظاهرة على اللسان ، أو الجوارح ، لا بدّ أن تكون تعبيراً عما في القلب وتحقيقاً له ، فالقلب ليس ملك الأعضاء فحسب ، بل هو مصدر توجيهها وأساس خيرها أو شرها⁽¹⁾.

لا بدّ أن إبراهيم U بدأ العمل مع نفسه قبل أن يبدأ مع من حوله ، فلما استقامت له نفسه - برعاية الله وتوفيقه - بدأ مع أبيه ، وإن أية بداية للنجاح كما يقال : تكون في البدء مع النفس ثم النجاح مع الله Y ، فإذا تحقق النجاح في هاتين الدائرتين كان النجاح بعد ذلك أسهل⁽²⁾.

* ثالثاً : الاتصاف بمكارم الأخلاق : والآداب الجميلة ، والمعاملة الحسنة ، والبر ، والشفقة ، والرفق ، واللين ، والرفقة ، واللطف في التعامل ، والرحمة ، والحلم ، والإحسان ، والإكرام .

اتصاف إبراهيم U بالآداب الجميلة ، والأخلاق الحميدة ، والمعاملة الحسنة التي ظهرت في حوارهِ لأبيه من أهم الأمور التربوية اللافتة للنظر ؛ ذلك أن من أعظم أهداف التربية تقويم السلوك وإصلاح الأخلاق ، فالأخلاق دعامة كل نهضة وتقدم وحضارة ، وهي الحارس الذي يحمي المجتمعات من الانهيار والانحلال والضياع ، ولو بذل الإنسان في سبيل السيطرة على كبح جماح النفس بعض ما يبذله من الجهد في السيطرة على قوى الطبيعة ، لكان عالمنا اليوم عالم طهارة وسعادة⁽³⁾ . وقد جمع إبراهيم U في جعبته وفي موقف واحد مجموعة من الأخلاق النبيلة .

(1) انظر: الناصر، محمد حامد، ودرويش، خولة، تربية المراهق في رحاب الإسلام، (ص 286 - 290)، دار المعالي، عمان، ط(2)، 2002م.

(2) انظر: رضا، أكرم ، شباب بلا مشاكل - رحلة من الداخل، (ص 265)، ط(1)، 2002م .

(3) انظر: داغستاني ، بلقيس إسماعيل ، التربية الدينية والاجتماعية للأطفال ، (ص 11) ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ط(1) ، 2001م .

وقد قيل : إن الأخلاق مستمدة من العاطفة ، وقيل : بل هي نتاج قوة العزيمة ، وقيل : هي نتيجة التفكير والعقل⁽¹⁾.

فالعاطفة والعزيمة والعقل ، ثلاثة أمور تُستمد منها الأخلاق ، وإبراهيم U كانت عاطفته جياشة ، فهو محب لأبيه يسعى في مصالحه ، وعزيمته قوية صلبة لا تلين ، فهو يسعى بجد ونشاط وهمة عالية في دعوته ، وتفكيره وعقله في القمة ، كل هذه الأمور اجتمعت في شخص إبراهيم U ، فلم يتحرك بعاطفته ، ولا بعزيمته ، ولا بعقله ، وإنما جمع كل هذه الأمور ، وزاد عليها عامل الدين الذي يرى فيه الكثير من علماء التربية أنه كان ولا يزال من أهم عوامل تحريك السلوك الإنساني ، ويعتبر أقوى ركيزة ، يمكن أن تقوم عليها أخلاق الشخص وسلوكه ، وذكروا أنه لا يمكن أن تقوم أخلاق بغير دين ، وحتى إذا قامت فإنها ستكون أخلاقاً سطحية جوفاء ، أما الأخلاق القائمة على الدين فهي أخلاق متأصلة بالشخصية ، ترتبط بمحور كيانها ولبها⁽²⁾.

دعوة إبراهيم U أبلاه في هذا المشهد سارت في رفق ولين ورحمة ؛ فسبيل الله تورث سالكها التؤدة والتثبث⁽³⁾، والرحمة في القلب تحفظ النفس من الرغبة في الانتقام ، وصاحبها يقدر على ضبط مشاعره ، ويتسامى ويترفع عن المعاملة بالمثُل ، إلى موقف التفضل - تماماً كما حصل مع إبراهيم U .

وكان U صابراً صادقاً ، والصدق : خلق أساسه الالتزام بالحق في الأقوال والأعمال ، وهو أهم أسس تربية الأفراد وبناء المجتمعات ، فإذا حكم سلوك الأفراد والجماعات ، وتمسك به الناس في الظروف المختلفة ، صلحت أمورهم وترقت أحوالهم ، والصدق ضرورة اجتماعية ، وطمأنينة نفسانية⁽⁴⁾. كما أن الصبر هو حمل النفس على ما تكره من الأذى والاضطهاد ، فيجب على المري أن يوطن نفسه على ذلك ، ويصبر على ما يجده ؛ حتى يكون من أولي العزم أصحاب الإدارة القوية⁽⁵⁾. وهو من الأمور والفضائل الأساسية التي من الضروري أن يتحلى بها الإنسان في مختلف الظروف والفترات والمحن ، ومن هذه الظروف تأتي المفاوضات ولهذه الصفت والتحلي بها فوائد إيجابية للغاية في مختلف الأوقات⁽⁶⁾.

وكان U حليماً عفواً متسامحاً ، أما الحلم فإن الناس تتفاوت درجاتهم في الثبات أمام المثيرات ، فمنهم من تستخفه التوافه فيثور بسرعة ، ومنهم من لا تستفزه الشدائد فيبقى على وضعها الأليم محتفظاً برجاحة عقله وسماحة خلقه ،

(1) انظر: نفسه، (ص12) .

(2) انظر: الناصر، ودرويش، تربية المراهق في رحاب الإسلام، (ص ص 94-95).

(3) انظر: الديب، أبا ميسرة محمد بن مصطفى، التربية على الحماس غير المتزن، (ص 53)، دار الرضا للنشر والتوزيع، مصر، ط(1)، 2006 م .

(4) انظر: الخطيب، وعيد، تربية الطفل في الإسلام، (ص 70).

(5) انظر: السبائين، نجاح، أساسيات تربية الأطفال، (ص25)، دار أسامة للنشر والتوزيع ، عمان، 2005م .

(6) انظر: الدروبي، فن التفاوض والإقناع، (ص31) .

وهذا هو الحليم⁽¹⁾. والعفو: من أعظم وسائل كسب القلوب، وجلب المودة والمحبة بين الناس، وسبب لعلو المنزلة، وشرف النفس وترفعها، ولا ينبل الرجل حتى يكون متخلقاً بخلق العفو⁽²⁾. والتسامح: هو اللين والتساهل، وهو قيمة خلقية مطلوبة على كل حال، ويقابل التسامح الفظاظة والغلظة وهما صفتان مرفوضتان. والتسامح: يعني أيضاً أن لا يتعصب لرأيه أو لمذهبه، وإنما يكون رائده اتباع الحق حين يظهر⁽³⁾.

من المعلوم بدهاء أن الشخصية حينما تكون متخلقة بأخلاق الحلم والعفو والتسامح، فإنه تكون مثلاً يحتذى في الملاطفة وسمو الخلق، ولين الجانب، وحسن المعشر، بل تكون كالملك يمشي على الأرض نبلاً وظهرًا وصفاء⁽⁴⁾.

وكان إبراهيم ن باراً بوالده مكرماً له محترماً لشخصه، فللوالدين حقوق⁽⁵⁾ على الولد تتمثل في البر والطاعة والإكرام، وهو ما تنادي به الفطرة ويوجبه الوفاء والعرفان بالجميل⁽⁶⁾. والاحترام يعني التصرف بلطف والتحدث بأنس والمصارعة إلى كسب الرضا⁽⁷⁾.

ولقد اهتم مؤلفو الكتب التربوية بالأخلاق اهتماماً بالغاً، وظهر اهتمامهم بها في مصنفاتهم، وعند التأمل في بعض أقوالهم؛ يُعرف شيء من هذه الأهمية، فمن ذلك:

* "الصفات الحميدة تساعد الإنسان على تخطي مصاعب الحياة، وبالتالي تعمل على نجاحها عملياً، وإنسانياً، واجتماعياً"⁽⁸⁾.

* "... كان لزاماً على المربين أن يتعهدوا أولادهم منذ الصغر، وأن يغرسوا في نفوسهم أنبل معاني الرجولة والخشونة والإباء والشمم والخلق العظيم؛ فإن في ذلك - ولا شك سلامة لتفكيرهم، وقوة لأبدانهم، وحفظاً لأخلاقهم، وسمواً لأرواحهم، وحافزاً قوياً لتحقيق آمالهم وأمانيتهم"⁽⁹⁾.

(1) انظر: مرسي، سيد عبد الحميد، الشخصية السوية، (ص 104)، مكتبة وهبة، مصر، ط(1)، 1985 م. وسيأتي مزيد بيان عن الحلم، انظر: (ص 79).

(2) انظر: الحاشدي، طريقنا للقلوب- 35 وسيلة لكسب قلوب الناس، (ص 94).

(3) انظر: محمود، علي عبد الحليم، سلسلة مفردات التربية الإسلامية- التربية الخلقية، (ص 82)، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، 1997 م.

(4) انظر: بدري، اللمسة الإنسانية، (ص 370).

(5) سيأتي مزيد بيان عن البر بالوالدين. انظر: (ص 63).

(6) انظر: الخطيب، وعيد، تربية الطفل في الإسلام، (ص 107).

(7) باشا، كيف تربي أبنائك في هذا الزمان، (ص 143).

(8) محسن، خليل، تربية الأولاد من الولادة حتى البلوغ، ص 228، رشاد برس، بيروت، ط(1)، 2000 م.

(9) علوان، عبد الله ناصح، تربية الأولاد في الإسلام، (213/1)، دار السلام، حلب، ط(3)، 1981 م.

* " إن أبناءنا بحاجة إلى أب رحيم ودود يسعهم ، ويحلم عليهم ، ولا يضيق بجهلهم وضعفهم ونقصهم ، بحاجة إلى أب كريم يعطيهم ويحمل همومهم ، ويجدون عنده دائماً الرعاية والعطف والسماحة والود والرضا... وهكذا يجب أن يكون المرابي ، يعطي أبناءه كل ما ملكت يده من نفع مادي أو معنوي في سماحة ندية ، ويسعهم بحلمه وبره ووده الكريم ، ويصبر على أخطاء ضعفهم الإنساني حتى تضمحل هذه الأخطاء فتموت ذاتياً "(1).

فالتربية على الأخلاق لازمة وواجبة وحاجة حقيقية ، ينبغي أن تُبنى على أساس عقدي ثابت ، وبها يتخطى الإنسان مصاعب الحياة الكثيرة ، وهي تحقق أهدافاً كبيرة ، ولها فوق ذلك وظائف جليلة ، منها :

- أ- أنها تجعل سلوك الإنسان متصفاً بالثبات والتماسك والتوافق والاطراد .
- ب- أنها تُمكن من التنبؤ بتصرف الشخص وسلوكه في المواقف المختلفة .
- ج- أنها تجعل الفرد يتجه بانتظام وباستمرار نحو غاياته العظمى ، فيبذل جهده ويثابر من أجل تحقيقها .
- د- أنها تُمكن الفرد من اختيار المسلك المستقيم في أي موقف مهما يكن الاختيار قاسياً والمسلك صعباً(2).

وإذا نظرت إلى هذه الوظائف وموقف إبراهيم U مع أبيه ، فإنك تجد أن الثبات على الأخلاق من إبراهيم مهما كانت النتائج والردود ، فيبدو U متماسكاً متوافقاً ، وفي إجاباته اطراد ، فلو زاد الأب في تهديده ووعيده ل زاد هو في رفته ورفقه ولينه ولطفه ؛ والسبب أن إبراهيم U كان يتجه بانتظام واستمرارية نحو غاياته العظمى ، وهي هداية أبيه ، فهو مستعد لأن يبذل في سبيلها جهده ويثابر من أجل تحقيقها ، ومن هنا فقد وُفق لاختيار المسلك الصحيح والطريق المستقيم ، وإن بدا فيه صعوبة .

(1) بدري، اللسة الإنسانية، (ص480) .
(2) داغستاني، التربية الدينية والاجتماعية للأطفال، (ص13) .

المبحث الثاني

إنكار إبراهيم ٧ على أبيه

وفي مشهد آخر من مشاهد قصة إبراهيم ٧ ودعوته أباه تجده يستعمل طريقة أخرى ، فينكر على أبيه ما هو فيه من الشرك أشد الإنكار ، وذلك في قوله- جلّ من قائل : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّبِعُ أَهْتَابًا كَلِمَةً يُبَيِّنُ آتَاكَ وَقَوْمَكَ فِيهِ ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام : 74] .

كلمة قالها إبراهيم الخليل ، وهو الحليم الرحيم فدلت على ثباته في العقيدة ، فلا أنساب ولا أحساب إذا تعلق الأمر بالعقيدة ؛ فالعقيدة فوق عاطفة الأبوة وكل وشيجة تقوم في هذا الكون . وإبراهيم ٧ هو أبو العرب ، وباني البيت الذي فيه عزهم ، وقد كانوا يتشرفون بالانتساب إليه ، ويزعمون أنهم على دينه ، فما هو ذا يستنكر عبادة الأصنام ، ويعتبر أن أباه وقومه في ضلال بيّن واضح .

وسيتم تفصيل الكلام في هذا المبحث في مطلبين ، الأول : استنباطات المفسرين للإشارات التربوية في هذا المشهد، والثاني : آراء التربويين في خلاصة استنباطات المفسرين .

المطلب الأول : استنباطات المفسرين للإشارات التربوية في هذا المشهد :

ذكر الماوردي⁽¹⁾ أن إبراهيم ٧ سبّ أباه بتضييعه حق الله تعالى ، وحق الوالد يسقط إذا ضيّع حق الله⁽²⁾. في إشارة منه إلى أن بر الوالدين لا يكون بتضييع حق الله ٧ .

وبيّن الرازي أن إبراهيم ٧ شافه آزر بالغلظة والجفاء ، وظهر ذلك بشيئين : الأول : أنه نادى أباه باسمه ، على قراءة من قرأ : ﴿آزَرَ﴾ بالضم ، وهو محمول على النداء⁽³⁾، وهذا من أعظم العقوق ، الثاني : أنه قال : ﴿إِنِّي آتَاكَ وَقَوْمَكَ فِيهِ ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ، وهذا من أعظم أنواع الجفاء والإيذاء . ثم ذكر الرازي أسبابا تمنع من الجفاء في حق الأب ، وهي :

(1) الماوردي: علي بن محمد بن حبيب ، أبو الحسن، أفضى قضاة عصره ، من العلماء الباحثين، أصحاب التصانيف الكثيرة النافعة. ولد في البصرة، وانتقل إلى بغداد. وولي القضاء في بلدان كثيرة، ثم جعل " أفضى القضاة " في أيام القائم بأمر الله العباسي. وكان يميل إلى مذهب الاعتزال، نسبته إلى بيع ماء الورد، ووفاته ببغداد. من كتبه: " أدب الدنيا والدين " و " الأحكام السلطانية " و " النكت والعيون " . انظر: (الزركلي، الأعلام، (327/4) و(نويهض، معجم المفسرين، (375/1).

(2) انظر: الماوردي، أبل الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري (ت 450هـ)، النكت والعيون، (134/2)، راجعه وعلق عليه: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط(1)، 1992م.

(3) وهي قراءة يعقوب، انظر: النويري ، أبا القاسم محمد بن محمد بن محمد بن علي (ت 857هـ) ، شرح طيبة النشر في القراءات العشر ، (305/2) ، تقديم وتحقيق : مجدي محمد سرور سعد باسلوم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط(1) ، 2003م.

الأول : الاستدلال بقوله تعالى : ﴿وَوَصَّيْكُمْ رَبُّكَ بِالْعَمَلِ الْمَعْرُوفِ وَأَنِهَآ بِمَا كَرِهَ الْغَالِبُونَ﴾ [الإسراء : 23] ، وهذا عام في حق الأب الكافر والمسلم .

والثاني : أمر الله لموسى ﷺ : ﴿فَقُولْ لِقَوْمِ رَبِّكَ إِنَّهُ سَمِعَ عَهْدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَاتَّخَذَ لَهُمْ سُلَيْمَانَ ابْنًا مِمَّنْ كَفَرَ﴾ [طه : 44] وهي في شأن فرعون ، والوالد أولى بالرفق .

الثالث : أن الدعوة مع الرفق أكثر تأثيراً في القلب ، وأما التخليط فإنه يوجب التفتير والبعد عن القبول .

الرابع : أن إبراهيم ﷺ اتصف بللملم ؛ فكيف يليق بالرجل الحليم مثل هذا الجفاء مع الأب ؟⁽¹⁾

ولقد ذكر الألويسي في روح المعاني رداً على ما ذكره الرازي بقوله : إن هذا ليس من الإيذاء المحرم في شيء ، وليس مقتضى المقام إلا ذلك ، أما ما يختص بموسى ﷺ فليس الأمر مجرد رعاية حق التربية ، وقد يقسو الإنسان أحياناً على شخص لمنفعته ، كما قال أبو تمام⁽²⁾ :

فقسا ليزدجروا ومن يكُ حازماً فليقسُ أحياناً على من يرحم⁽³⁾ (البحر الكامل)

فكون الرفق أكثر تأثيراً غير مُسلم على الإطلاق فإن المقامات متفاوتة⁽⁴⁾ .

وعودة إلى الرازي فإنه ذكر بعد ذلك أن كلام إبراهيم ﷺ في هذه الآية اشتمل على الاستدلال بللملم العقلانية ، وعلى فساد قول عبدة الأصنام ؛ ذلك أنهم كانوا يقولون بكثرة الآلهة ، والله تعالى يقول : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَمَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَهَسَتَا﴾ [الأنبياء : 22] ، ثم إن الأصنام لو حصلت لها قدرة على الخير والشر لكان الصنم الواحد كافياً ، فلما لم يكن الواحد كافياً دل ذلك على أنها وإن كثرت فلا نفع فيها البتة⁽⁵⁾ .

ومن استنباطات ابن عاشور التربوية في هذه الآية :

أن هذا القول الغليظ كان في بعض مجادلات إبراهيم ﷺ ، بعد أن تقدم له بالدعوة بالرفق ، فلما رأى تصميمه على الكفر سلك معه الغلظة استقصاءً لأساليب الموعظة ؛ لعل بعضها أن يكون أنجع في نفس أبيه من بعض ، فإن

(1) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، (41/13 - 42) .
(2) أبو تمام: (188 - 231 هـ) - حبيب بن أوس بن الحرث الطائي، أبو تمام: الشاعر، الأديب. ولد في جاسم(من قرى حوران بسورية) ورحل إلى مصر، واستقدمه المعتصم إلى بغداد، فأجازه وقدمه على شعراء وقته فأقام في العراق. ثم ولي بريد الموصل، فلم يتم سنتين حتى توفي بها. كان فصيحاً، حلو الكلام، يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة من أراجيز العرب غير القصائد والمقاطع. في شعره قوة وجزالة. له تصانيف منها: (ديوان الحماسة). انظر: (الزركلي، الأعلام، (2/ 165)).
(3) قال هذا البيت في مدح(مالك بن طوق)، انظر: ديوان أبي تمام - حبيب بن أوس الطائي، (ص 207)، قدم له: عبد الحميد يونس وعبد الفتاح مصطفى، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، القاهرة، 1942م.
(4) انظر: الألويسي، روح المعاني، (7/ 195- 196) .
(5) الرازي، مفاتيح الغيب، (13/ 43) .

للفوس مسالك . وأن المجاهرة بالحقّ دون سبّ ولا اعتداء لا ينافي البر . ولم يزل العلماء يخطّون أساتذتهم وأنتمتهم وآباءهم في المسائل العلمية بدون تنقيص (1).

وخلاصة الإشارات التربوية المستفادة من الآية الكريمة من أقوال المفسرين :

* البر بالوالدين حتم لازم إلا إذا ضيعا حق الله Y .

* القسوة أحيانا أنفع في التربية .

* الاستدلال بللحجة العقلية .

* للفوس مسالك ينبغي أن تُراعى في التربية .

* أهمية الثبات من الناحية التربوية .

المطلب الثاني : آراء التربويين في خلاصة استنباطات المفسرين :

* أولاً : البر بالوالدين حتم لازم إلا إذا ضيعا حق الله Y :

البر بالوالدين من أعظم الحقوق ، وإن أهم ما يجب أن يحرص المرء عليه هو تعريف الولد بحق والديه عليه ، وذلك ببرهما وطاعتهما والإحسان إليهما والقيام بخدمتهما ، ورعاية شيخوختهما (2) ، هذا ويُعتبر احترام الكبير قيمة عليا من قيم المجتمع (3) ، والطاعة والالتزام والضبط واحترام الكيان الأسري وتوقير الكبار من الضروريات (4) . وهذا مما لا خلاف فيه ، فلقد أوجد الله في الإنسان غريزة النوع وهي خاصية للمحافظة على بناء الإنسان كنوع ، ومن مظاهر هذه الغريزة عاطفة الأبوة والأمومة والبنوة ، ولولا تلك العاطفة لانقرض الجنس البشري ، ولما صبر الوالدان على رعاية أبنائهما ، ولما قاما بكفالتهم وتربيتهم والسهر على أمرهم والنظر في مصالحهم ، وفي مقابل هذه العواطف التي تحمي الأطفال وتساعدهم في حياتهم ، طلب من الأولاد محبة والديهم ومعرفة حقهم واحترامهم ببرهم وطاعتهم والإحسان إليهم والقيام على خدمتهم في الكبر (5).

ولقد كان إبراهيم U من أعظم الناس براً بوالديه ، وقد ظهر بره بهما في دعائه لهما : **رَبِّنا اِنزِلْ لي وَلِوالِدَيْ** **وَالْمُؤْمِنِينَ وَوَهِّبْ لَهُمُ الْحَسَبَ** [إبراهيم : 41] ، وظهر بره بأبيه أكثر في المبحث السابق ، في طريقة الخطاب وأسلوب الدعوة ، ولكن بره بأبيه لا يعني عدم مخالفته في الرأي .

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (314/7).

(2) علوان، تربية الأولاد في الإسلام، (381/1).

(3) انظر: عبد الله ، عادل فتحي، كيف تصبح أباً ناجحاً، (ص28)، دار الإيمان، الإسكندرية، 2001م .

(4) داغستاني، التربية الدينية والاجتماعية للأطفال، (ص59 - 60) .

(5) السبائين ، أساسيات تربية الأطفال، (ص ص 18- 19) .

في الماضي كانت الطاعة العمياء لرب الأسرة دليلاً على التهذيب والوفاق ؛ فهي دائماً بُشِرى خير ، لكن الأمر اختلف اليوم ، فإن من حسن حظ رب الأسرة أن يجد من يقول له : (لا) ، ومن يصحح له خطأه ، ومن ينهاه ويحذره ؛ لأن ذلك قد يكون الوسيلة الوحيدة لردعه عن كثير من الأخطاء والتجاوزات ، كما أنه أفضل وسيلة للحيلولة دون توافق شكلي ، لا يُخفي تحته إلا القهر والاستبداد والتبرم⁽¹⁾. فالمفهوم السائد قديماً من أن الأولاد يجب أن يطيعوا أهليهم في كل المجالات ، وأن لا يناقشوه هو مفهوم بالٍ وغير قابل للنجاح⁽²⁾.

ولكن آزر - وهو واحد من الآباء - ما كان ليرى أن من حق ابنه أن يخالفه الرأي ، وهو رأي الكثير من الآباء ، فتربية الآباء والأمهات تركز على تنشئة الابن المطيع الذي يُنفذ كل ما قيل له دون اعتراض أو تفكير ، والذي يُصدّق كل ما يقال له دون أدنى مناقشة ، فالتربية تسعى عادة إلى بناء جيل من الإمعات المقلدين ؛ حيث يكون شق طريق جديد أمراً يبعث على الريبة ، وحيث يكون السير خلف الآخرين أمراً محموداً ومرغوباً فيه⁽³⁾.

إذن فمعارضة الأبناء بعض ما يقرره الآباء ليس دائماً دليلاً على سوء الأدب أو عدم الطاعة ، بل هي في أكثر الأحوال تُعبّر عن استقلالية الشخصية ، وهذه ميزة ينبغي أن يفخر بها المربون والآباء ، بل عليهم أن يفهموا حقيقة التنوع الفكري والشخصي والسلوكي الذي جعله الله بين البشر . إن لدى الآباء بديهية لا تحتل النقاش ، تلك البديهية أنهم "معلمون" لأبنائهم دائماً ، والأبناء "متعلمون" دائماً ، ولكن الحقيقة أن المواقف قد تتبدل في بعض الأوقات ، فيصبح الآباء هم المتعلمين ، ويصبح الأبناء هم المعلمين⁽⁴⁾ ، كما حصل مع إبراهيم و أبيه ، فأبو إبراهيم هو كالأب ، و غريزة الأبوة لديه تتضمن النقد والتصحيح والإدانة والتأنيب والتهذيب⁽⁵⁾ ، أكثر مما تتضمن التوجيه والترغيب والبناء والتثبيح .

أما إذا تعارض البر للوالدين مع الطاعة لله Y ففي هذه الحالة يجب تقديم غريزة التدين على غريزة النوع ، أي تقديم القيمة الروحانية على القيمة الإنسانية ، أي تقديم طاعة الله على طاعة والديه ، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، إلا أن ذلك لا يجوز أن يمنع الولد من مصاحبة الوالدين في الدنيا بالمعروف ، على أساس العقيدة ، إذ هو الارتباط الصحيح وما عداه من روابط باطلة⁽⁶⁾.

* ثانياً : القسوة أحياناً أنفع في التربية :

-
- (1) انظر: بدري، اللمسة الإنسانية، (صص 602 - 603) .
 - (2) انظر: محسن، تربية الأولاد، (ص 230) .
 - (3) انظر: بدري، اللمسة الإنسانية، (ص 610) .
 - (4) انظر: نفسه، (ص 508) .
 - (5) ير، ليندا، وريتشارد، بناء شخصية الأطفال - تسع قواعد طبيعية تثري حياة أسرنا، (ص 51)، تعريب: إيتسام محمد الخضراء ، الحوار الثقافي ، بيروت، ط(1)، 2006م.
 - (6) انظر: السباتين، أساسيات تربية الأطفال، (صص 24- 25) .

ظهر في هذا المشهد من القصة نوع من القسوة على الأب ، ربما كان إبراهيم U يرى فيه الحل لعناد أبيه وكفره ، استعمل معه اللين فما وجد نتيجة ، فكر في الأمر ، وجد أن بعض الناس لا يصلحهم اللين ، علّ أباه منهم ، جرب معه الأمر فغير الطريقة الأولى ، لكن دون جدوى . هذه المحاولات من إبراهيم U تجد لها تعليلاً تربوياً ، فقد قيل : ليس معنى العطف والحب والرحمة التهاون في التربية ، أو- في حالة الأب مع الابن - أن يُدلّله دلالاً زائداً عن الحد ، ويتجنب توبيخه عن الخطأ⁽¹⁾ .

ويمكن القول : إن إبراهيم U لم يكن قاسياً وإنما كان حازماً ؛ فالحزم ينبع من الحب والرحمة ، والقسوة تنبع من جمود القلب والغلظة⁽²⁾ ، وإبراهيم ما كان غليظاً جافياً صلباً ، بل امتلأ قلبه حباً وبراً ورحمةً . فعلى المربي حين يستعمل الحزم أن يمزجه مع الحب ، وبالتنسيق بينهما يُكمل أحدهما الآخر⁽³⁾ .

ظهر إبراهيم U أولاً باللين والرفق في خطابه ، ثم ظهر بالحزم والشدّة ، محاولاً التنسيق بين الحب والحزم ، واستعمالاً لكلا الطريقتين ، وهو دليل النجاح التربوي ، فالمربي الناجح هو من لا يقتصر على أسلوب واحد وإنما يتنوع ؛ فلكل مقام مقال .

وثمة أمر مهم ينبغي التنبيه إليه ، وهو ما أطلق عليه (القواعد الجوهرية) ، وهي الدعامات الأساسية في ترشيد السلوك نحو الوجهة السليمة ، والوسيلة الفعالة في تربية الأطفال ، وهذه القواعد هي :

1. أن معاملة الولد باللين والرحمة هي الأصل .
2. مراعاة طبيعة الطفل المخطئ في استعمال العقوبة : فالأطفال يتفاوتون فيما بينهم ذكاءً ومرونةً واستجابةً ، وأمزجتهم تختلف : فمنهم صاحب المزاج الهادئ المسالم ، ومنهم صاحب المزاج المعتدل ، ومنهم صاحب المزاج العصبي الشديد .
3. التدرج في المعالجة من الأخف إلى الأشد : فهناك مراحل من المعالجة والتأديب يجب أن يمر بها المربي ، يعامل كل طفل المعاملة التي تلائمها ، ويبحث عن الباعث إلى الخطأ ، وعن عمر المخطئ وثقافته ، والبيئة التي يكتسب منها⁽⁴⁾ .

(1) انظر، عبد الله ، كيف تصبح أبا ناجحاً، (ص65) .
(2) في اللغة تطلق كلمة القسوة على: الغلظة والصلابة والشدّة، و أما الحزم في الأمور فهو الأخذ بالثقة، وفيه معنى الشدة والإحكام، ومنه: الشّد بالحزم لِحكم رِبْطه، انظر: ابن منظور، لسان العرب،: (11/168)، مادة: (قسو)، و(3/156)، مادة: (حزم).
(3) انظر: ير، بناء شخصية الأطفال- تسع قواعد طبيعية تثري حياة أسرتك، (ص 98)
(4) ديماس، محمد، كيف تغير سلوك طفلك، (ص ص 37 - 42)، دار ابن حزم، بيروت، ط(1)، 1999م .

ولو نظرنا إلى إبراهيم ﷺ فإن التربية باللين والرحمة كانت هي الأصل لديه ، وتدرج من الأخف إلى الأشد ، وهو القسوة في معالجته للموضوع - كما في النقطة الثالثة ، أما النقطة الثانية - وهي قضية استعمال العقوبة فقد تجاوزها ﷺ فلم تكن موضع إعمال ؛ فالبر بالأب يمنع منه .

* ثالثاً : الاستدلال بالهجة العقلانية :

كان المشهد الأول في دعوة إبراهيم ﷺ أباه - في المبحث الأول - مشهداً عاطفياً ، ظهرت فيه الأحاسيس الجياشة ، والحب الصادق ، واليد الحانية ، والقلب الرحيم من الابن لأبيه ، أما في هذا المشهد فقد ظهر فيه العقل واضحاً ، فهو يستنكر عليه عبادته للأصنام ؛ ذلك أن في تعدد الآلهة دليل عقلاني على فساد التعبد لها ، فلو كان الأب في حالة سوية متجرداً من الأهواء لكان هذا الاستدلال كافياً لإقناعه ، ومن الناحية التربوية فإن الجانبين العاطفي والعقلاني هما العنصران الأكثر أهمية في شخصية الإنسان ، وحين يكون الإنسان في حالة طبيعية سوية ، فإنه يستخدم الجانب العقلاني في إدراك القضايا والتكيف مع الظروف الطارئة والتخطيط الشامل لكل جوانب الحياة ، أما الجانب العاطفي فإنه منبع التواصل الأسري والاجتماعي ، كما أنه مصدر الطاقة التي يحتاجها في الاندفاع نحو الأعمال المختلفة⁽¹⁾. ومتى امتزجت التربية الروحانية بالتربية العقلانية ، نشأ عن ذلك قوة الشخصية ؛ لأن العقل ينمو فيستفيد الإنسان في حياته ومعيشته وقدراته ، وتسمو الروح وتقوى ؛ فتكون عاصماً له من الزلل والخلل⁽²⁾.

فالاستدلال بالهجة العقلانية يعتبر فناً من فنون التربية والتعليم ، ومن ثم فهو فن من فنون الدعوة إلى الله ، استعمله إبراهيم الخليل ﷺ في دعوته أباه .

* رابعاً : للنفوس مسالك ينبغي أن تُراعى في التربية :

حتى تتجح أية عملية تربوية فإنه لا بدَّ لها من شروط ينبغي أن تتحقق فيها ، ومن هذه الشروط :

أولاً : الوعي : ويعني ضرورة إدراك المربي للجهة التي يتعامل معها ، وهذا ما يحتم عليه معرفة ماهية الصفات والخصائص الغريزية التي يتمتع بها كل مخاطب ، ونوعية الميول والأهواء التي تتجاذبه ، إضافة إلى ضرورة إدراك طبيعة رغباته ، والأدوات والفنون التي تكوّن لتحقيق هذه الغاية .

ثانياً : الإيمان ، أي الإيمان بالفكر الذي يلتزم به ويريد منهم أن يعيشوا وفقاً لمبادئه⁽³⁾.

(1) انظر: بدري، اللمة الإنسانية، (ص424).

(2) انظر: محفوظ، محمد جمال الدين علي، التربية الإسلامية للطفل والمراهق، (ص 197)، دار الاعتصام، شبوا، 1986م.

(3) انظر: القانمي، الأسرة والطفل المشاكس ، (ص31) .

ونظرة إلى الشرط الأول ، فإن المتتبع لدعوة إبراهيم ﷺ - فيما سبق وفيما يُستقبل - يجد الوعي ظاهر الملامح ، واضح الصفات ، فلم يكُ إبراهيم يسير ضمن قالب صلب لا يتعداه ، وإنما كان يُغيّر ويُنوع في الطرائق والوسائل ، وهذا دليل وعي للصفات الغريزية منه لأبيه ، ووعي لطبيعة ميوله وأهوائه ورغباته ، ووعي للفنون والأدوات التي يستعملها من أجل تحقيق هدفه في التربية ، وكما قيل : النفس البشرية دائمة التقلب متعددة المطالب متعددة الاتجاهات ، وكل تقلب ، وكل مطلب ، وكل اتجاه في حاجة إلى توجيه⁽¹⁾ .

لقد كان هذا المشهد في قصة إبراهيم ﷺ ودعوته أباه فيه توجيه مباشر للخطأ ، وهذا الأسلوب يكون ضرورياً جداً عند وجود خطر يهدد⁽²⁾ ، فوالد إبراهيم على شفا جرف هار ، يوشك أن ينهار به ، إنه على شفا جهنم ، والابن يخشى على أبيه الانزلاق ، فيخاطبه وقد أحس بالخطر الداهم : **﴿أَتَتَّبِعُ أَخْتَابًا أَلَمَّةَ إِنِّي أَرَأَيْتَ أَتَّبِعُكَ فِي خَلْقٍ مُؤْمِنِينَ﴾** [الأنعام : 74] .

* خامساً: أهمية الثبات من الناحية التربوية :

يعتبر الثبات على المبدأ عنصراً مهماً من عناصر النجاح في التربية⁽³⁾ ، وعليه فيجب أن يتذكر الآباء ، وكل من له علاقة بتربية الأطفال ، أن خير طريقة للتربية هي أن تكون لهم سياسة ثابتة ، ليست على شيء من التذبذب بين رأى وآخر ، فإذا أظهر في وقت ما عدم موافقة على سلوك معين ، فلا يجوز أن يظهر في وقت آخر موافقة عليه⁽⁴⁾ .

ولا أعظم من مبدأ العقيدة الذي يضم قيماً مطلقة ، لا تراجع عنها مهما كانت الظروف ، فللقيم المطلقة ثابتة ولا يحصل فيها تغيير ولا تبدل من ناحية الأصالة ، إلا أن الاختلاف يحصل في الفهم والتطبيق⁽⁵⁾ . وإبراهيم ﷺ ما اختلفت عنده القيم ، فهي ثابتة لم تتغير ، ولكن الاختلاف الذي حصل هو في التطبيق ، أي في طريقة الدعوة وأسلوبها ، فبعد التهديد بالرجم والهجر ظل ثابتاً مستمسكاً ، غيّر الأسلوب من الرقة واللين إلى الحزم والشدة ، ولكن مع الثبات على المبدأ .

ما كان في نفس إبراهيم ﷺ رغبة عارمة في التسلط ولا ميل إلى حب الرئاسة والإمرة ، ولا قاده الغرور والأنانية ولا العناد ، فإن المعاند يرفض تسلط التربويين ؛ لأنه يرى فيهم منافسين له ، ويجب عليهم التقهقر إمام إرادته والإقرار

(1) بدري، اللمة الإنسانية، (ص 423) .
(2) انظر: عبد المعطي، عبد الله محمد، كيف نعالج أخطاء أبنائنا، (ص76) دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ط(1).
(3) انظر: توبيين، كاثرين، حلول علمية لمشكلات الآباء في تربية الأبناء، (ص116)، مكتبة جرير، ط(1)، 2006م.
(4) القوصي ، عبد العزيز، أسس الصحة النفسية، (ص175)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1982م .
(5) القانمي، تربية الطفل دينياً وأخلاقياً، (ص 330) .

له بالغلبة⁽¹⁾، وإبراهيم ٥ - على الضد من ذلك ، فهو يحب لأبيه الخير كما يحبه لنفسه ، كان متواضعاً حيناً ليناً يعمل من أجل رفع كلمة الله ، فهو يتحمل من أجلها التهديد والوعيد ، ولا يضيره ما يلقى ما دام سائراً في طريقه .

(1) انظر: القانمي، الأسرة والطفل المشاكس، (ص127) .

المبحث الثالث

استغفار إبراهيم U لأبيه

وفي موقف آخر من مواقف الدعوة ، تجد إبراهيم U يرق ويصفو؛ فيدعو الله الرحيم أن يغفر لأبيه ما كان منه من تقصير ، يدعو دعاء العباد المخلصين ، ويبتهل ابتهال المذنبين ، فقال - كما ذكر الله Y في محكم التنزيل : ﴿وَأَخِزْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ 86 ﴿وَلَا تُخْزِي بَنُو يُسْعَثُونَ﴾ [الشعراء : 86-87] ، فقلبه الرحيم لا يحتمل أن يرى أباه على شركه ، ولا يطيق أن يراه يُعذب يوم القيامة ، فهو يدعو ويكرر الدعاء ، ويقول : ﴿رَبَّنَا أَخِزْ لِي وَلِوَالِدِي وَالْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم : 41].

ولقد كان هذا وعداً قطعهُ إبراهيم U على نفسه لما قال : ﴿سَلَامٌ عَلَيْكَ مَا سَتَخِفُّ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيظًا﴾ [مريم : 47] ، فوقى بما وعد ، والتزم بما عاهد ، فإنه مؤمن ، ومن آيات المناق أنه : (إذا وعد أخلف) (1)؛ لذا نجد أن الله Y يذكر هذا الاستغفار ، ويذكر العلة فيه والحكمة منه ، فينهى الرسول p والمؤمنين عن الاستغفار لأقربائهم المشركين بحجة استغفار إبراهيم U لأبيه ، فيقول I - وقوله الحق : ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُفْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أُخِذُوا بِالْعَيْبِ﴾ 113 ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا مَن مَّوَدَّةٍ وَمِمَّا إِثْمَةٌ فَتَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَيَّرَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة : 113-114] .

ويُذَكِّر الله I المسلمين في آية أخرى بوجوب أخذ الأسوة من أفعال إبراهيم U ، ويستثني منها ما هو خاص بالاستغفار ، قال جلّ من قائل : ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَّلْنَا بُحْبُوحَةَ الْعِبَادَةِ وَالَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا وَاللَّهِ وَحْدَهُ إِنَّا هُنَا آلُ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَأَسْتَغْفِرَنَّكَ مِنَ اللَّهِ مَنْ هُنَا رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْتَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة : 4].

هذا وقد تم تقسيم هذا المبحث إلى مطلبين ، الأول : الإشارات التربوية المستنبطة من الآيات الدالة على استغفار إبراهيم U لأبيه عند علماء التفسير ، والثاني : آراء التربويين في خلاصة ما استنبطه المفسرون في هذا المشهد .

المطلب الأول: الإشارات التربوية المستنبطة من الآيات الدالة على استغفار إبراهيم U لأبيه عند علماء التفسير:

(1) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، ح(33)، والحديث بتمامه: (آية المناق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أوتن خان).

لا بدّ أولاً من بيان العلة في استغفار إبراهيم U لأبيه مع أنه لا يزال على شركه ، وقد ذكرها ابن عاشور بقوله :
 "ويجوز أن يكون طلبُ الغفران له كناية عن سبب الغفران وهو هدايته إلى الإيمان " (1). فدعاؤه U في هذه الدنيا
 وأبوه على شركه ، وهو لا يزال على قيد الحياة لا إشكال فيه ، فعمل الدعاء يكون سبباً لسكون قلب أبيه ؛ فيهديه
 الله ويُسلّم . وهذا أسلوب راق في التربية ؛ فالقلوب متفاوتة ، ولعل من لا يصلحه الترغيب والترهيب يصلحه الدعاء
 .

واختلف العلماء في الموعدة المذكورة في قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا مَن مَّوَدَّةٍ وَتَحَصَّ إِتْمَانًا...﴾ [التوبة : 114] . فذكر فيها قولان :

الأول : أن إبراهيم وعد أباه الاستغفار ، وما كان يعلم أن الاستغفار للمشركين محظور حتى أخبره الله بذلك .
 والثاني: أن أباه وعده أنه إن استغفر له آمن ؛ فلما تبين لإبراهيم عداوة أبيه لله تعالى بموته على الكفر، ترك الدعاء
 له(2).

وإذا كان الوعد من إبراهيم U ففيه إشارات تربية ، فالالتزام بالوعد والوفاء به حتى مع المخالف في الدين ،
 واستعمال أسلوب الدعاء لتسكين القلوب وتأليفها ، أمور ينبغي مراعاتها والوقوف عندها .

وأما الآية التي في سورة الممتحنة : ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آسُوءُ حَسَنَةٍ فِي إِبْرَاهِيمَ ... وَإِنَّكَ الْمَسِيءُ﴾ [الممتحنة : 4] ،
 ففيها أن الخليل U قد وعد أباه بالاستغفار فوقى ، وما كان يستطيع أكثر من ذلك ، قال الزمخشري : " كأنه قال :
 أنا أستغفر لك وما في طاقتي إلا الاستغفار "(3). فهو قد بذل قصارى جهده بالبر بوالده ، وما قصر وما توانى U .

وفُسِّرَت الآسُوءَةُ بالقُدُورَةُ ، وهي اتباع الإنسان غيره على الحالة التي يكون عليها حسنة أو قبيحة ، قال تعالى : ﴿لَقَدْ
 كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسُوءُ حَسَنَةٍ﴾ [الأحزاب: 21] ، وهنا أيضاً : ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آسُوءُ حَسَنَةٍ فِي إِبْرَاهِيمَ
 وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ ، ويبيّن الله تعالى هذا التأسّي المطلوب ، وذلك بقوله : ﴿إِذْ قَالُوا لَقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآئَةٌ مِنْكُمْ وَمِمَّا
 تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ الآية(4).

فالتأسّي المطلوب هو ما فيه اتباع على الخير والصلاح ، فيكون المتبّع أسوة حسنة للمتبّع .

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (147 / 28) .
 (2) انظر: ابن الجوزي، زاد المسير، (305/2)، والنسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، (212/2) .
 (3) الزمخشري، الكشاف، (502 /4) .
 (4) انظر: الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي الموريتاني(ت 1393هـ)، أضواء البيان في إيضاح القرآن
 بالقرآن، (319 /5)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط(1) ، 1996م.

وخلص القول : إن في استغفار إبراهيم ﷺ لأبيه إشارات تربوية عدة ، منها :

- * أولاً : الدعاء قد يكون سببا لسكون قلب المعاند وتأليفه ، فهو أسلوب راقٍ من أساليب التربية .
- * ثانيا : الالتزام بالوعد والوفاء به حتى مع المخالف في الدين .
- * ثالثا : بذل قصارى الجهد في قضية البر بالوالدين .
- * رابعا : القدوة المطلوبة هي ما فيها اتباع على الخير والصلاح

المطلب الثاني : آراء التربويين في خلاصة ما استنبطه المفسرون في هذا المشهد :

* أولاً : الدعاء قد يكون سببا لسكون قلب المعاند وتأليفه ، فهو أسلوب راقٍ من أساليب التربية ، ينبغي العمل به :

الدعاء علاج لكثير من المشاكل ؛ فترى المربي المسلم يقول : لا بدَّ من الدعاء ، حيث تقصر أسبابنا عن بلوغ ما نريد ، فبالدعاء تزداد شحنة العاطفة وقوداً ، وتتمكن الرحمة والرأفة من قلبي الوالدين ، فيتضرعان إلى الله تعالى ويبتهلان إليه ، والدعاء على فرض عدم النجاح في التربية من باب اتخاذ الأسباب ، فالوالدان يمدان أيديهما لأبنائهما ، لينشأوا النشأة الصالحة التي ترضي الله ، ودعاء الوالدين مستجاب بإذنه تعالى⁽¹⁾. كما أن أخطاء الأبناء تحتاج إلى صبر ودعاء ، ولا يُقصد بالدعاء أن يكون مرة أو مرتين ، بل المطلوب أن يدعو لهم ليلاً ونهاراً ، سراً وجهاً ، ولا يأس من رحمة الله ، فربما تحتاج بعض الأخطاء إلى دعاء الأشهر والسنين حتى يصلحها الله جل جلاله⁽²⁾. فشأنك أيها المرءي شأن من يغرس زرعة ويرويه ويسمدها وينقيها من الآفات ، ويسأل ربه أن يدفع عنها الصواعق المحرقة والأسباب المدمرة⁽³⁾.

وفي الدعاء يقوم الإنسان بمناجاة ربه ، ويبث إليه ما يعانيه في حياته من مشكلات تزعه وتقلقه ، ويطلب من الخالق سبحانه أن يعينه على حل مشكلاته وقضاء حاجاته ، ومجرد تعبير الإنسان عن المشكلات التي تقلقه وهو في حالة من الاسترخاء والهدوء النفسي يؤدي إلى التخلص من القلق⁽⁴⁾.

ومن فوائد الدعاء التربوية أنه يقوي صلة العبد بربه ، ويدفع المصائب والمحن ، ويفتح باب الخير ، ويحقق طمأنينة القلب ، ويقوي العزيمة ، ويُعلم المسلم الشكر على النعمة⁽⁵⁾.

(1) انظر: علوان، تربية الأولاد في الإسلام، (1022/2)، وبدري، اللمة الإنسانية، (ص ص 140 - 142) .

(2) عبد المعطي، كيف نعالج أخطاء أبنائنا، (ص 30) .

(3) انظر: عبد العظيم، سعيد، الإشكالية المعاصرة في تربية الطفل المسلم، (ص 51) ، دار الإيمان ، الإسكندرية، ط (1)، 2001م .

(4) مرسي، الشخصية السوية، (ص 198) .

(5) الخطيب، وعيد، تربية الطفل في الإسلام، (ص 133).

وإبراهيم U في دعوته أباه سار على هذا الطريق - طريق الدعاء والمناجاة ، وأعطاه اهتماماً بالغاً ، فهو يعدُّ أباه بالاستغفار ، ثم يُنجز له ما وعده أكثر من مرة ، وفي أكثر من مكان ، حيث قصرت أسبابه عن بلوغ ما أراد ، فاتخذ الأسباب التي شرعها الله Y لعباده المؤمنين ، وكان من أهم الأساليب في دعوته أباه الدعاء له بالمغفرة .

ومن القواعد التربوية المجمع عليها في علم الاجتماع والنفس والتربية ، قاعدة تقوية الصلة ، وفيها يتم التفاعل التربوي على أحسن وجه ؛ لذا وجب على الآباء والمربين البحث عن الوسائل الإيجابية في تحبيب الأطفال بهم ، وتقوية الصلة بينهم ، وإيجاد التعاون معهم ، ولا شك أن التواصل عبر الكلمات - والدعاء من الكلمات - هو أحد تلك الوسائل⁽¹⁾. وإبراهيم U حاول تقوية صلته بأبيه من خلال التواصل معه عبر الدعاء ، هذا أمر .

والأمر الآخر أن علاج إبراهيم لمشكلة أبيه بالدعاء يعتبر من الأساليب التي يتم فيها علاج الأخطاء بطريقة غير مباشرة ، وهذا أسلوب مهم جدا في التربية ، وله فوائد تربوية كثيرة ، منها :

1. أنه يحترم شخصية الإنسان ، ويحافظ على مكانته ، فلا يقلل شأنه .
2. أنه يؤدي إلى زيادة روابط الثقة والمحبة ، والإحساس بالطمأنينة والارتياح النفسي ؛ ومن ثم زيادة الاستعداد النفساني لتصحيح الخطأ .
3. هذا الأسلوب يصحح أخطاء آخرين وقعوا في الخطأ ؛ فهو أسلوب يستفيد منه المخاطب والسامع⁽²⁾.

استعمل إبراهيم U هذا الأسلوب ، فظهر احترامه لأبيه ، وكان كفيلاً أن يزيد من روابط الثقة والمحبة ، وحقيقاً على أن يصحح سلوك آخرين ، لولا ما يقود الناس من الإعراض والكبر ، وإبراهيم U مع علمه بذلك كان حريصاً على أن يكون الأفضل ؛ فإنه يقال : مهما كانت الأمور سيئة ، فعليك أن تحرص دائماً أن تتطور إلى ما تصبو إليه لتكون أفضل ما تتمنى لنفسك ، وأن تكون ذلك الإنسان الذي يحبه الآخرون⁽³⁾.

وأخيراً : فعلى الرغم من أن القدرة على التسامح ربما تكون رائعة ، فلا يمكن لشخص ما أن يغفر وينسى ما لم تكن لديه هذه القدرة على التسامح⁽⁴⁾.

* ثانياً: الالتزام بالوعد والوفاء به حتى مع المخالف في الدين :

(1) انظر: بدري، اللمة الإنسانية، (ص ص 549 - 550) .
(2) انظر: عبد المعطي، كيف نعالج أخطاء أبنائنا، (ص ص 72 - 73) .
(3) انظر: كلارك، رون، 55 مبدأ ضرورياً، (ص196)، مكتبة جرير، الرياض، ط(1) 2004م .
(4) إيفانز، سيبيل، وكوهين، شيري سوب، مفاتيح الغضب، (ص218)، مكتبة جرير، الرياض، ط(1)، 2003م.
Clark, Ron, The Essential 55
Evans, Sybil & Cohen ,Sherry Suib , HOT BUTTONS

الوفاء بالوعد من أسرار التربية المثالية ، وفيه يتم بناء الثقة ⁽¹⁾ ، وهذا كلام مطلق وعام يشمل صاحب والعدو ، الموافق والمخالف ، فالأخلاق يجب أن تكون ثابتة ، لا تتأثر بالحال ولا بالمآل ؛ فهي جزء من الدين ونابعة منه ، والوفاء - ككل الأخلاق - عندما يقوم به الإنسان فإنه يشعر بالرضا والإنجاز ، وحين يقوم بها مع المخالف في الدين فإنه يشعر بالأناقة الحضارية ، وهو إحساس ضروري لتعزيز الثقة بالنفس ، ولا يصل الابن للأناقة الحضارية ، حتى يستقيم على أخلاقيات لا إله إلا الله ، ويخوض في سبيل هذه الاستقامة المعارك الكثيرة في عالم الروح ؛ ليحقق فيها الانتصار ، ولكي يساعد الابن على تحقيق ذلك الانتصار ، فإن التربية يجب أن تقوم على إغناء شخصيته بالقيم والمبادئ والأخلاق الحضارية⁽²⁾.

وإبراهيم U وعد أباه بالاستغفار ، وأنجز ووفى بالوعد ، ربما كان يتوقع أو يرجو أن يهدي الله Y أباه ، فهو لذلك يَعدُّه فيحبُّه ويطيِّب قلبه ، فلما أصرَّ الأب على الكفر كان المتوقع أن يترك إبراهيم الدعاء ولا يقوم بتأديته؛ فالدعاء بالمغفرة خاص بالموحدين ، ومع ذلك دعا إبراهيم U واستغفر لأبيه ، ربما خاض في سبيل هذا الدعاء صراعا مع نفسه ، ولكنه حقق الانتصار ، وهذا دليل على أن شخصيته غنية بالقيم والمبادئ والأخلاق .

* ثالثا : بذل قصارى الجهد في قضية البر بالوالدين :

سبق الكلام عن بر الوالدين في المبحث السابق بما يغني عن إعادته ⁽³⁾ ، ولكن لا بدَّ من ملاحظة ، وهي : أن وجود الألفة والمحبة بين الآباء والأبناء لها تأثير كبير في استجابة الأبناء للآباء واحترامهم واتباع القواعد السلوكية التي وضعها الآباء لهم⁽⁴⁾ ، والعكس صحيح إذا كان الابن هو الذي يقوم بدور التربية بدل أبيه .

ولا شك أن الاستغفار الذي حدث من إبراهيم U لأبيه يمكن أن يكون سببا للألفة والمحبة ، وكان يمكن أن يكون له تأثير كبير في الاستجابة لولا ما اتصف به الأب من التصلب في المواقف ، والعداء الظاهر - ليس لدعوة إبراهيم U فحسب ، وإنما لشخصه ؛ لأنه حامل لواء الدعوة .

* رابعا : القدوة المطلوبة هي ما فيها اتباع على الخير والصلاح :

(1) انظر: هيرولد، شيلي، الأسرار السبعة للتربية المثالية، (ص103)، مكتبة جرير، الرياض، ط(1)، 2006م .
Herold, Shelly, Seven Secrets of Perfect Parenting

(2) انظر: بدري، اللمة الإنسانية، (ص 358) .

(3) راجع(ص63).

(4) السباتين ، أساسيات تربية الأطفال، (ص61) .

للقدوة دور بارز ومهم في التربية ؛ فلا يمكن أن يُكتفى بالتعلم الفطري والعمل بنصائح المرابين ؛ إذ أن مشاكل الحياة لا تُحل بـالتظنير فقط ، بل لا بدّ من اقتران التجارب والنصائح والتوجيهات بقدوة يُقتدى بها⁽¹⁾.

وتعد القدوة من أنجح الأساليب المؤثرة في إعداد الولد سلبيًا أو إيجابيًا ، فإذا كان المربي صادقًا أمينًا كريمًا عفيفًا ، أنشأ الولد على الصدق والأمانة والعفة والكرم ، وإذا كان المربي كاذبًا خائنًا بخيلًا جبانًا نشأ الولد على الكذب والخيانة والبخل والجبن⁽²⁾. وقد عُبر عن القدوة بكلمة النمذجة⁽³⁾ ، وتعني : عملية تشكيل وفقًا لنموذج يحتذى به الطفل ، فكما يتعلم الأطفال الكلام عن طريق التقليد والاستماع والملاحظة ، فهم أيضًا يكتسبون القيم والعادات عن طريق المحاكاة⁽⁴⁾.

واعتبر علماء التربية أن تنامي عدد الصور الذهنية للسلوك المرغوب فيه والسلوك المرغوب عنه ، وتشرب الطفل لعدد أكبر من المفاهيم والقيم والاتجاهات ، وقوة توحده مع النموذج الحامل لمعايير المؤدّي للسلوك المتفق مع تلك المعايير نفسها ، كل ذلك يتوقع من تواجده التزام الطفل بالسلوك الأخلاقي⁽⁵⁾.

هذا ما يراه علماء التربية ، وهو موافق لما قرره الله ﷻ في كتابه ، حيث ذكر أن في أفعال إبراهيم ؑ وأقواله - كلها من أولها إلى آخرها - قدوة ، إلا ما كان منه من الاستغفار لأبيه ، فأعماله الصالحة الخيرة كلها يمكن أن تُتبع ، والاستغفار لمن كان على شاكلة الأب لا يُتبع ، وبهذا اتضح التأسي المطلوب⁽⁶⁾.

(1) انظر: القائي ، تربية الشباب بين المعرفة والتوجيه، ص(45) .
(2) السبائين ، أساسيات تربية الأطفال، (ص57)، وانظر: علوان، تربية الأولاد في الإسلام، (633/2) .
(3) انظر: (ص 123).
(4) انظر: بدري، اللمسة الإنسانية، (صص 18 - 19) .
(5) انظر: داغستاني، التربية الدينية والاجتماعية للأطفال، (صص 36 - 37) .
(6) سيأتي مزيد بيان عن القدوة في فصول لاحقة- بإذنه تعالى، انظر: (ص ص 123 و 148) .

المبحثُ الرابعُ

إعلانُ إبراهيمَ ۝ البراءةُ من أبيه

إعلان البراءة من أفعال أي شخص وأقواله قد يحقق ما لا يحققه اللين واللطف في المعاملة معه في بعض الأحيان ؛ ذلك أن النفوس متفاوتة ، وطرق علاجها متباينة ، والتبرؤ وسيلة من وسائل التعامل قد يكون لها مردود إيجابي في بعض المواقف ، حيث يشعر المخالف بشيء في نفسه ربما يعيده إلى رشده ، ولقد استعمل إبراهيم ۝ هذه الوسيلة في دعوته أباه ، بعدما جرب الأساليب الأخرى ولم يجد فيها فائدة مرجوة ، سار في طريق الرحمة واللين ، والوعد والإمهال ، والإرشاد والبيان ، والإعانة بالدعاء فما زاد ذلك كله أباه إلا طغياناً وكفراً ، فتبرأ من أفعال أبيه ومن الدعاء له ، فلم يستغفر له بعد موته⁽¹⁾، قال جلّ من قائل : ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا مَن مَّوَدَّةَ ۝ وَحَمَآ إِيَّآهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ مُخَدَّرٌ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة : 114] ، قال الألوسي معنى ﴿تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ : " أي قطع الوصلة بينه وبينه ، والمراد تنزه عن الاستغفار له وتجانب كل التجانب ، وفيه من المبالغة ما ليس في : (تَرَكَهُ) ونظائره⁽²⁾ " ⁽³⁾ ، وقال السعدي⁽⁴⁾ : ﴿تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ : " موافقة لربه وتأدبا معه"⁽⁵⁾ .

وسيكون الكلام في هذا المبحث ضمن مطلبين ، الأول : استنباطات المفسرين للأمور التربوية من موقف البراءة ، الثاني : آراء التربويين في خلاصة ما استنبطه المفسرون .

المطلب الأول : استنباطات المفسرين للأمور التربوية من موقف البراءة :

أول ما يشد القلب في الآية من الناحية التربوية التعقيب عليها ؛ فإن الله جل في علاه قد عقّب على الآية بقوله : ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ ، فوصف الله I خليله بوصفين عظيمين ، يكمل أحدهما الآخر: كثرة التأوه، والحلم⁽⁶⁾ ، وقد علل الرازي ورود هذا التعقيب بأمور :

- (1) الماوردي، النكت والعيون، (410/2) .
- (2) تظهر المبالغة بمعرفة المعنى اللغوي لكل من الكلمتين، يقال: " البراءة: التنزه والتباعد، والتَّركُ: ودَعَكُ الشيء، وتَرَكْتُ الشيءَ تَرَكَاً: خَلَيْتَهُ، وفي حديث الخليل ۝ أنه جاء إلى مكة يطالغُ تَرَكَتَهُ، (أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، ح (3364)، والتَّركُ: يريد به ولده إسماعيل ۝ وأمه هاجر لما تركهما بمكة. فترك ثم رجع، وترك لا بسبب مشكلة أو لهجر، ... والبراءة فيها تنزه وتباعد ويعني ذلك عدم العودة، وتكون بسبب مشكلة حصلت. انظر: ابن منظور، لسان العرب، (356/1)، مادة: (برأ) و(32/2)، مادة: (ترك) .
- (3) الألوسي، روح المعاني، (35 /11)
- (4) السعدي: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله التميمي: مفسر، من علماء الحنابلة ، من أهل نجد. مولده ووفاته في عنيزة(بالقصيم) ، وهو أول من أنشأ مكتبة فيها(سنة 1358 هـ)، له نحو 30 كتابا، منها: (تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن) و(تيسير اللطيف المنان في خلاصة مقاصد القرآن). انظر: (الزركلي، الأعلام، (340/3) و(كحالة، معجم المؤلفين، (121/2) .
- (5) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، (ص 352)، خرج أحاديثه وعلق عليه: السيد بن أحمد أبو سيف، مكتبة الإيمان، المنصورة، (ب- ت) .
- (6) مر الكلام عن هذين الوصفين بشيء من التفصيل في الباب الأول. انظر: (ص 28 وما بعدها).

أحدها : وصف الله Y إبراهيم U بكونه حليماً أواهاً ، ومن كان موصوفاً بهذه الصفات كان ميل قلبه إلى الاستغفار لأبيه شديداً ، فكأنه قيل : إن إبراهيم مع جلالة قدره ومع كونه موصوفاً بما دُكر فقد منعه الله تعالى من الاستغفار لأبيه الكافر ، فلأن يكون غيره ممنوعاً من هذا المعنى أولى .

الثاني : أنه Y إنما وصفه بهذين الوصفين في هذا المقام ؛ لأن من كان كذلك فإنه تعظم رفته على أبيه وأولاده ، فبين تعالى أنه مع هذه العادة تيراً من أبيه لما ظهر له إصراره على الكفر⁽¹⁾ .

ويمكن أن يُستتبط من كلام البقاعي⁽²⁾ عدة إشارات تربية مهمة ، حيث ذكر أن الخليل U المأمور بالافتداء به قد استغفر لأبيه ، فبين I أن ذلك كان قبل العلم بلستحقاقه للتأبيد في النار ، والدليل على أن ذلك كان قبل علمه قوله : ﴿مَلَأْنَا نَدِيمَ لَهٗ﴾ : أي بياناً شافياً قاطعاً ، ﴿إِنَّهُ نَحْمَدُ اللَّهَ﴾ : بموته على الكفر ، أو بالوحي ، ﴿تَتَّبِعُونَ﴾ : أي أكره نفسه على البراءة ﴿مِنْهُ﴾ ، ثم علل ما أفهمته صيغة التفعّل من المعالجة - أي : معالجة النفس وترويضها - بقوله : ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ ؛ لأن هذا خُلقه في حد ذاته ، فكيف في حق أبيه ولو قال له : ﴿الْأَرْجَمُكَ وَأَهْجُرِيهِ حَلِيمًا﴾ [مريم : 46] وأضعاف ذلك⁽³⁾ .

وقد ربط الشوكاني بين براءة إبراهيم U من أبيه ، وبين البراءة من المشركين في أول السورة - أي سورة التوبة ، موضحاً أن البراءة من المشرك واجب ، ولو كان من الأقرباء⁽⁴⁾ .

وزاد الأمر تفصيلاً سيد قطب بقوله : " إن العقيدة هي العروة الكبرى التي تلتقي فيها سائر الأوصار البشرية والعلاقات الإنسانية ، فإذا انبثت وشيجة العقيدة انبثت الأوصار الأخرى من جذورها"⁽⁵⁾ .

إذن فإبراهيم U تيراً من أبيه ، وهذا هو الموقف الذي يجب أن يقتدي فيه المؤمنون بإبراهيم U ، موقف البراءة من كل كافر ، حتى لو كان أقرب الناس⁽⁶⁾ .

وقال ابن عاشور : والحلم صفة في النفس تقتضي رجاحة العقل وثباته ، ورصانة وتباعد عن العدوان ، ويجمعها عدم القسوة . ولا تُنافي الانتصار للحق ، لكن بدون تجاوز للقدر المشروع في الشرائع أو عند ذوي العقول⁽¹⁾ .

(1) الرازي، مفاتيح الغيب، (16/ 215) .
(2) البقاعي: (809 - 885 هـ) إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّبَلط بن علي بن أبي بكر البقاعي ، أبو الحسن برهان الدين: مؤرخ أديب. أصله من البقاع في سورية، وسكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة، وتوفي بدمشق. له (عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران) و(الباحة في علمي الحساب والمساحة) و(أخبار الجلال في فتح البلاد) و(نظم الدرر في تناسب الآيات والسور). انظر: (الزرطلي، الأعلام، (56/1) و(كحالة، معجم المؤلفين، (49/1).
(3) انظر: البقاعي، أبا الحسن إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّبَلط ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (393 /3) ، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه : عبد الرزاق غالب المهدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط(1) ، 1995م .
(4) انظر: الشوكاني، فتح القدير، (410/2) .
(5) قطب، في ظلال القرآن، (322/4) .
(6) الخالدي، القصص القرآني، (327/1) .

ويمكن تلخيص أقوال المفسرين في هذا الموضوع ضمن خمسة بنود :

* البراءة وقطع الصلة بين المرابي وبين من يقوم على تربيته - في مرحلة من المراحل ، وحسب الظرف - أمر تربيوي .

* التأوه والحلم وصفان عظيمان من اتصف بهما عظمت رفته على من يليه .

* العلم الذي تقوم عليه الأحكام يجب أن يكون علماً قاطعاً .

* دور العقيدة في البناء التربوي للإنسان .

* ترويض النفس وتدريبها على أمر غير موجود لديها في الأصل .

المطلب الثاني : آراء التربويين في خلاصة ما استنبطه المفسرون :

* أولاً : البراءة وقطع الصلة بين المرابي وبين من يقوم على تربيته - في مرحلة من المراحل ، وحسب الظرف - أمر تربيوي :

براءة الابن من تصرفات أبيه سبقتها مراحل عديدة ومحاولات كبيرة للإصلاح ، فلما عجزت كل الوسائل والأساليب لم يبق أمامه إلا هذا الطريق ، طريق البراءة والمقاطعة ، طريق العزلة الشعورية ، طريق العقاب بالهجر .

ولقد كان الهجر لأزر من إبراهيم ٥ هجراً جميلاً ، وهو من أفضل أنواع الهجر ، فلا إيذاء ولا شتم ولا ضرب ولا تقبيح ، واستعمل مصطلح (time out) للتعبير عن نوع من أنواع العقاب بالهجر ، ويقصد به عزل مؤقت ودعوة إلى الاختلاء بالنفس ، بعيداً عن المؤثرات المحببة ، يفكر فيها المعزول في حجم الخطأ الذي قام به ، وكيف يستطيع إصلاحه ، أو اجتنابه فيما بعد⁽²⁾. ولهذا الأسلوب فوائد عدة منها :

(1) شعور المخطئ بذنبه مباشرة ، والإحساس بالذنب ، ما يؤدي إلى تعديل السلوك .

(2) تبين قوة الالتزام والطاعة عند المخطئ .

(3) تولد في نفوس الناس أن من يرتكب هذا الخطأ أو ما يماثله فإنه سيقاطع مثل هذا⁽³⁾.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (46 / 11).

(2) انظر: عبد المعطي، كيف نعالج أخطاء أبنائنا، (ص255).

(3) انظر: ديماس، كيف تغير سلوك طفلك، (ص58).

هذه هي فوائد المقاطعة بشكل عام ، وربما تحقق في موقف - غير موقف آزر - أفضل النتائج ، ولكن آزر بما اتصف به من قسوة وعناد وكبير ما زادته هذه الطريقة إلا إعراضا وطغيانا .

ثم إن من فوائد المقاطعة والبراءة عدم ذوبان شخصية المربي ، وهو مطلب تحرص عليه الأمم التي تريد العيش مستقلة بشخصيتها ومنهج حياتها ، لا تتبع ولا تتوالى أبة جهة أخرى ، ولو كانت أكثر قوة وعددا منها . ويقصد منها صياغة الفرد عقائدياً وفكرياً وسلوكياً بحيث يتشكل في صورة مستقلة ، وتكون نتيجته العزلة الشعورية التربوية في داخل النفس التي يحس من خلالها بالنفرة والكراهية للواقع فيحقق العزلة الشعورية في كل ما يصطدم وتصوره⁽¹⁾.

لقد ظهر الفارق جلياً بين طريقة معاملة إبراهيم ﷺ لأبيه هذه المرة ، وبين المواقف السابقة ؛ ذلك أن سلوك أي إنسان في موقف ما يكون له فيه الخيار يتحدد من خلال مجموعة عوامل ، منها :

1. الضغوط الاجتماعية.
2. مشاعر الفرد نفسه.
3. الطريقة التي يعامله بها الآخرون في أسرته ومجتمعه.
4. رغبات الفرد وآماله في تلك اللحظة⁽²⁾.

فلو نظرنا إلى النقطتين الثالثة والرابعة ، فإننا نجد أن طريقة الأب في تعامله ، مع إصراره وعناده على كفره هي التي قادت إبراهيم ﷺ إلى هذا السلوك ، ولم يكن الأمر خاصاً بالأسرة فقط ، بل تعداه إلى المجتمع كله ، وهذا سيظهر في الفصل الثاني . أما الرغبات والآمال فإبراهيم ﷺ له رغبة أكيدة في إصلاح أبيه ، فسار بعدة أساليب واستعمل عدة وسائل ، ولكن دون جدوى ، فاستعمل هذه الوسيلة ، التي قد تكون بمنزلة الكيّ ، الذي هو آخر الدواء .

وعليه فينبغي للمربي أن يبدأ بالمتوبة إلى أن يحتاج إلى العقوبة ، والعقوبة الحسية ليست أول ما يلجا إليه المربي ، فهناك العقوبة المعنوية التي ينبغي أن يلجا إليها المربي أولاً⁽³⁾.

* ثانياً: التأوه والحلم وصفان عظيمان من اتصف بهما عظمت رفته على من يليه:

(1) انظر: النشمي، عجيب جاسم، طريق البناء التربوي الإسلامي، (ص ص 91 و104)، دار الدعوة، الكويت، ط(1)، 1989 م.
(2) داغستاني، التربية الدينية والاجتماعية للأطفال، (ص 72) .
(3) انظر: مذكور، علي أحمد، منهج التربية في التصور الإسلامي، (ص453)، دار النهضة العربية، بيروت، 1990م.

عندما يسيء المرء التصرف فمن الطبيعي أن يبتأ المرء من تصرفه ، ولكن يبقى بإمكانه التصرف بشكل أفضل ، وذلك بالمحافظة على الهدوء والحلم وعدم الغضب⁽¹⁾. فالحلم من الصفات التي تساعد المرء في إنجاز مهمته ، وبها ينجذب الشخص نحو معلمه ، وبسببها يستجيب لأقوال مربيه ، وبواسطتها يتحلى بالآداب المحمودة ، ويتحلى عن الأخلاق المرذولة⁽²⁾.

كما لا بدّ من بناء العلاقة الجيدة مع الناس وتمييزها وصيانتها مما يعكر صفوها ، فالعلاقة القائمة على الرحمة والشفقة⁽³⁾ والصفح لها أثر كبير ، وميزات كثيرة منها : سرعة إنجاز العمل ، الاستعداد لأداء العمل برغبة ، تذليل المشاكل إن وجدت . أما العلاقة السيئة فأضرارها : عدد قليل من الأصدقاء ، ترصد الأخطاء ، عدم بروز العمل الجماعي⁽⁴⁾.

وصاحب هذه الصفات - الحلم والرحمة - يكون تعامله لجميع الناس - عامة- باللطف والرفقة ، وتزداد عنده الشحنات لمن يليه خاصة ، حتى وإن خالفوه ، بل حتى وإن آذوه ، وهذا ما حصل مع الخليل U في دعوته لأبيه ، فما فارقه الحلم ولا الرحمة والشفقة من أول موقف وقفه إلى آخر موقف ' حتى وصفه ذو الجلال I بأنه أواه حلیم بعد ما تبرأ من أبيه .

هذا وينبغي أن تتوفر في المرء شروط ، منها :

- 1- أن يكون المرء قدوة في الجانب الأخلاقي والسلوكي والإيماني ، وكذلك في اتخاذ المواقف الصحيحة من الأمور والأشخاص .
- 2- التحلي بسلوك ومنطق سليم ، وعدم إيجاد فواصل نفسانية بينه وبين من يليه .
- 3- التحلي بقدرة الصبر وتحمل المشاكل والصعوبات التي تعترض المرء في عمله.
- 4- التحلي باللياقة في التعامل بحيث يشعر المرء بأن المرء إنسان خير يروم له الصلاح .
- 5- الحذر من التصرفات الخاطئة ؛ لئلا يُنقَر الناس من⁽⁵⁾.

هذه الشروط اتصف بها إبراهيم U ، وهي بمجملها تدور حول الصفات الحميدة التي تكون سبباً لظهور صفتي الحلم والرحمة في المرء ، مما يؤثر إيجاباً على من يقوم بتربيتهم .

(1) بدري، اللمة الإنسانية، (ص 127) .
(2) علوان، تربية الأولاد في الإسلام، (787/2) .
(3) من معاني كلمة(أواه): الرحيم والشفيق. انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (276-275/8).
(4) انظر: خطاب ، عمر محمد ، الإبداع في تربية الطفل ، (ص ص 28 و30) ، مكتبة المجتمع العربي ، عمان ، ط(1) ، 2006م .
(5) انظر: القاسمي ، تربية الشباب بين المعرفة والتوجيه، (ص ص 30-31) .

فينبغي التزين بالحلم والرحمة والبعد عن الغضب والقسوة ، والتعامل بالأوليين يحقق أفضل النتائج ؛ فالحلم صفة تجذب المرئى إلى مربيّه فيستجيب لأقواله ، والرحمة تبني علاقات جيدة بينهما .

* ثالثاً : العلم الذي تقوم عليه الأحكام يجب أن يكون علماً قاطعاً :

حتى يُوسَمَ العلم بأنه علم قطعي فإنه لا بدّ أن يعتمد على عدة ضوابط⁽¹⁾، منها :

- 1- الابتعاد عن الظن . وإبراهيم ع تبين بشكل قاطع بعيداً عن الظن أن أباه عدو لله ع ، وقد يكون البيان بالوحي ، وقد يكون بموت أبيه على الكفر ، وكلاهما حصل به العلم القاطع .
- 2- عدم التحيز الانفعالي أو العاطفي . ولو كان إبراهيم ع متحيزاً أو منفعلاً أو عاطفياً لتعاطف مع أبيه ، كما هو الحال مع أكثر الناس ، فالذي يُطبَّق عندهم على الناس لا يُطبَّق على أقربائهم وأهلبيهم .
- 3- الاعتماد على منهج التفكير المناسب . اعتمد إبراهيم ع على منهج التفكير المناسب ، فرأى أن أباه قد مات على كفره ، فعلم أنه عدو لله فتبرأ منه .
- 4- الأخذ بكل الأسباب المناسبة . والخليل ع ما ترك أسلوباً ولا وسيلة إلا واستعملها في دعوته لأبييه ، فكانت البراءة منه هي آخر وسيلة وصل إليها .
- 5- تحويل ما تم فهمه - حقيقة ، أو مفهوماً ، أو فكرة ، أو قيمة... إلخ - إلى ممارسة في عالم الواقع . ولقد فهم إبراهيم ع حقيقة أبيه ، وفهم في مقابلها أنه لا التقاء بين موحد ومشرك في ولاء ، فكان لا بدّ من البراءة ، فأعلن البراءة منه بعد أن استغفر له فيما مضى .

هذا هو المنهج الصحيح الذي يقوم عليه العلم بشكل عام ، أما فائدة كون العلم قاطعاً من الناحية التربوية : فإن الإنسان كلما تعرف أكثر كلما زادت معلوماته العامة وساعده هذا على الشعور بالطمأنينة والتغلب على الخوف والقلق ، ومن ثم زيادة الاستعداد للإقدام والانطلاق . وفي العلم المحدد - القاطع - ما يحول دون الاستطراد في الخيال ، ومن ثم الوصول إلى آفاق غير واقعية ومخيفة ، ومن هنا تبرز أهمية الإكثار من المحادثات مع الأولاد في مواضيع شتى - خاصة المجهولة منها ، فإذا رفض الطفل شرب الماء خوفاً من تحوّل دمه إلى ماء - مثلاً ، فإننا نستطيع لجم هذه الأفكار الخيالية بالقدر الذي نزود فيه الطفل بمعلومات ملائمة عن جسم الإنسان ، وبسهولة ويسر واختصار .

أما إذا أعطيت المعلومات بشكل معقد وغير مفهوم أو أعطيت بشكل عام وفضفاض ، فإن معلومات من هذا النوع يمكن أن تكون عاملاً مساعداً في انطلاق خيال الطفل إلى أبعاد غير صحيحة ومخيفة ، فإذا ذكرنا لطفل في عمر

(1) انظر: مذكور، منهج التربية في التصور الإسلامي، (ص 315) .

الخامسة - مثلا - أن الرئتين كالبالونات واكتفينا بذلك ، فيمكن للولد أن يحذر التنفس حرصاً على عدم فرقة الرئتين كما يتفرقع البالون⁽¹⁾.

* رابعا : دور العقيدة في البناء التربوي للإنسان :

لكي نستطيع أن نُحدث تعديلاً أو تغييراً في شخصية فرد ما أو في سلوكه ، فإن علينا أن نقوم بتعديل أفكاره واتجاهاته ، أو تغييرها ؛ فسلوك الإنسان يتأثر - بدرجة كبيرة - بأفكاره واتجاهاته ، ويُعد الإيمان بعقيدة التوحيد هو الخطوة الأولى في إحداث تغيير كبير في شخصية الإنسان ، فهو - أي الإيمان بالعقيدة - يولد في الإنسان طاقة روحانية هائلة تغير مفهومه عن ذاته ، وعن الناس ، والحياة ، والكون بأكمله ، ويمده بمعنى جديد للحياة ولرسالته فيها ، ويبعث الشعور بالأمن والطمأنينة⁽²⁾.

والمهم هنا هو التغيير الكبير الذي حصل في شخصية إبراهيم U من أثر العقيدة ، هذا التغيير الذي تبعته تغيرات هائلة فيما يختص بنظرته لنفسه أو للناس ، فإبراهيم الأواه الحليم يصل به الحال إلى أن يتبرأ من أبيه ، والسبب أنه عرف دوره في هذه الحياة ، وتغيرت نظرتة للناس بفعل العقيدة في قلبه ، فصار أقرب وأحبُّ الناس إليه هو الأبعد والغريب ، حتى إنه قطع كل الصلات به ، فلا النسب ولا الدم ولا العرق ترقى وتصلح أن تكون روابط ، ما لم تكن رابطة العقيدة هي الأساس .

* خامسا : ترويض النفس ومعالجتها وتدريبها على أمر غير موجود لديها في الأصل :

إن أحد الأهداف الأساسية من التأديب وتربية الأولاد والتعليم هو مساعدة الأطفال على التوصل إلى مرحلة في حياتهم تمكنهم من السيطرة على أنفسهم وضبط مشاعرهم عندما يصبحون كباراً⁽³⁾. كما أن التربية عملية أخلاقية ، واكتساب الأخلاق والتحلي بالفضائل ، والترفع عن الرذائل ، عملية تحتاج إلى وقت حتى يكتسب الفرد أنماط السلوك المرغوب ، فالإسلام - مثلا - في تربيته للمسلمين الأوائل لم ينتقل بهم طفرة من أخلاق الجاهلية إلى الأخلاق الإسلامية ، وإنما تدرج معهم حتى تؤتي التربية ثمارها⁽⁴⁾. فالنتج هو عملية ترويض للنفس ومعالجة لها ، والسيطرة على النفس وضبط المشاعر يكون بترويض النفس ومعالجتها وتدريبها على أمر غير موجود لديها في الأصل ، وإبراهيم U الأواه الحليم استطاع أن يتبرأ من أبيه على الرغم مما اتصف به من صفات ، ولا يُظن مطلقاً

(1) انظر: دويري، مروان، المزيد عن التعامل مع مشاكل أولادنا، (ص146)، مطبعة البطوف، عرابة، 1998م.

(2) انظر: مرسي، الشخصية السوية، (ص 192 و194) .

(3) ديفيناي، جويس، كيف تودب طفلك - في 5 خطوات بسيطة، (ص 33)، نقله إلى العربية: د. محمد سعيد الدباس، مكتبة العبيكان، السعودية، ط(1)، 2005م .

Divinyi , Joyce , Original Title Discipline That Works 5 Simple Steps

(4) داغستاني، التربية الدينية والاجتماعية للأطفال، (ص 17) .

أن إبراهيم U كان مسرور النفس منشرح الصدر سعيداً بهذه البراءة ، لقد سبق هذا التصرف والسلوك مراحل عديدة ومحاولات كبيرة للإصلاح ، فلما عجزت كل الوسائل والأساليب لم يبق أمامه إلا هذا الطريق ، حاول السيطرة على نفسه ، وقام بضبط مشاعره ، وبالتدرج - شيئاً فشيئاً - استطاع أن يعلن البراءة التي لم يكن منها بد .

المبحث الخامس

لقاء يجمع بين الأب وابنه يوم القيامة

عاش إبراهيم U في هذه الدنيا مُوحّداً مسلماً ، نبياً مرسلأ ، وعاش أبوه فيها مُلحدأ مشركأ ، مستكبرأ معرضأ ، ومات الأب ومات ابنه U ، ولكن الدنيا ليست نهاية المطاف ، وإنما هي مرحلة تتبعها مراحل ، منها مرحلة الحشر والوقوف بين يدي الملك الجبار ، في يوم لا أحساب فيه لا أنساب ، يفر المرء من أخيه وأخته ، وأبيه وأمه ، لكن إبراهيم U ، الأواه الحليم ، البار بوالديه لا ينسى أباه ، فيتذكره في أحلك الظروف وأصعب المواقف ، ويسأل عنه وعن مصيره . وقد أخبرنا رسولنا - صلوات ربنا وسلامه عليه - عن لقاء يجمع بين إبراهيم U وأبيه في الموقف العظيم ، فيجري بينهما هذا الحوار :

قال رسول الله P : (يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ أَرْزَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَى وَجْهِ آرَزٍ قَتْرَةٌ وَعَبْرَةٌ ، فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ : أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لَا تَعْصِنِي ؟ فَيَقُولُ أَبُوهُ : فَأَلْيَوْمَ لَا أَعْصِيكَ .

فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ : يَا رَبِّ إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ، فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَى مِنْ أَبِي الْأَبْعَدِ ؟ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : إِنِّي حَرَمْتُ الْجَنَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ .

ثُمَّ يُقَالُ : يَا إِبْرَاهِيمُ ، مَا تَحْتِ رِجْلَيْكَ ؟ فَيَنْظُرُ ، فَإِذَا هُوَ بِذِيخٍ مُلْتَمِخٍ ، فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ⁽¹⁾ .

وقد قُسم هذا المبحث إلى مطلبين ، الأول : الإشارات التربوية التي استنبطها العلماء من هذا الموقف ، والثاني : آراء التربويين في خلاصة استنباطات العلماء .

المطلب الأول : الإشارات التربوية التي استنبطها العلماء من هذا الموقف :

ذكر ابن حجر أن إبراهيم U لما رأى أباه يوم القيامة أدركته الرأفة والرقة فسأل فيه ، فلما رآه مُسخ يئس منه ، ثم ذكر الحكمة في مسخه ، فقال : قيل : لتتفر نفس إبراهيم U منه ، ولئلا يبقى في النار على صورته فيكون فيه غضاضة على إبراهيم U . وقيل : الحكمة في مسخه ضبعا أن الضبع من أحمق الحيوان ، وأزر كان من أحمق

(1) أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، ح (3350) .

ومعنى قوله: (وعلى وجه آزر قتره وغيره) الغبرة: الغبار من التراب، والقتره: السواد الكائن عن الكأبة. وقوله: (فأى خزي أخزى من أبى الأبعد) وصف نفسه بالأبعد على طريق الفرض إذا لم تُقبل شفاعته في أبيه، وقيل: الأبعد صفة أبيه أي أنه شديد البعد من رحمة الله ؛ لأن الفاسق بعيد منها فالكافر أبعد، وقيل: الأبعد بمعنى البعيد والمراد الهالك. وقوله: (فينظر فإذا هو بذبخ ملتخ) الذبخ: بكسر الذال المعجمة بعدها تحتانية ساكنة ثم خاء معجمة ذُكر الضباع، وقيل: لا يقال له ذبخ إلا إذا كان كثير الشعر. وملتخ: قيل: أي في رجيع أو دم أو طين. وقد عينت رواية أخرى المراد وأنه الاحتمال الأول حيث قال: فيتمرغ في ننته. انظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، (500/8) .

البشر؛ لأنه بعد أن ظهر له من ولده من الآيات البيّنات أصر على الكفر حتى مات ، ولأن إبراهيم U بالغ في الخضوع له وخفض الجناح ، فأبى واستكبر وأصر على الكفر فعومل بصفة الذل يوم القيامة⁽¹⁾.

وقال الألويسي : ويحمل قوله ρ في خبر الحاكم⁽²⁾ حين يقال له : يا عبدي ، ادخل من أي أبواب الجنة شئت . فيقول : أي رب ، وأبي معي ؟ على معنى أدخل وأبي واقف معي ؟ والمراد لا أدخل وأبي في هذه الحال وإنما أدخل إذا تغيرت⁽³⁾. وهذا يدل على المبالغة في البر حتى إنه ليرفض دخول الجنة وأبوه واقف معه .

وقال ابن عاشور عند تفسيره للآيتين الكريمتين : ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ إِتَّخَذُوا آبَاءَهُمْ حَتَّىٰ لَا يُخْرِجَهُمُ اللَّهُ مِنْهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الشعراء : 86-87] : " سأل المغفرة لأبيه قبل سؤال أن لا يخزيه الله يوم القيامة ؛ لأنه أراد أن لا يلحقه يومئذ شيء ينكسر منه خاطره ، فما بقيت له حزازة إلا حزازة كفر أبيه ، فكان هذا آخر شيء تخوف منه لحاق مهانة نفسية من جهة أصله لا من جهة ذاته ، وفي الحديث : يُلقَى أزر في النار فلا يشعر به أهل الموقف فذلك إجابة قوله: ﴿وَلَا تُخْزِيهِمْ يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ [الشعراء : 87] ، أي قطعاً لما فيه شائبة الخزي " ⁽⁴⁾.

هذا ويمكن اعتبار الحوار الذي جرى في الحديث الشريف من الحوار الوصفي الذي يحقق نتائج تربوية مهمة ، والحوار الوصفي : هو الذي صرّح فيه بذكر المتحاورين ، وقصد من الحوار وصف حي لحالة نفسانية أو واقعية لهؤلاء المتحاورين ؛ بقصد الاقتداء بصالحهم ، والابتعاد عن شريهم ، والتأثر بهذا الجو تأثراً وجدانياً ، ينمي العواطف الريانية والسلوك الإنساني التعبدية الفاضل⁽⁵⁾.

وعندما يتخيل الإنسان هذه العقوبة التي حلت بأزر- وهي المسخ - يرتعد قلبه خوفاً ، فإذا كان إبراهيم U الابن الرسول النبي لم يستطع أن يفعل لأبيه شيئاً ، فلن يستطيع ذلك أحد من البشر . والعقوبة هنا معنوية ، أما الحسية فتنبع ، وهي الإلقاء في النار .

(1) انظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، (501-500/8)
(2) الحاكم: (321 - 405 هـ) محمد بن عبد الله النيسابوري، الشهير بالحاكم ، ويعرف بابن البيع ، أبو عبد الله: من أكابر حفاظ الحديث والمصنفين فيه مولده ووفاته في نيسابور.رحل إلى العراق سنة 341 هـ ، وحج ، وجال في بلاد خراسان وما وراء النهر، وأخذ عن نحو ألفي شيخ. وولي قضاء نيسابور سنة 359 ثم قلد قضاء جرجان، فامتنع . وهو من أعلم الناس بصحيح الحديث وتمييزه عن سقيمه. صنّف كتباً كثيرة جداً، قال ابن عساکر: وقع من تصانيفه المسموعة في أيدي الناس ما يبلغ ألفاً وخمسمائة جزء. انظر: (الزركلي، الأعلام، 227/6).

ورواية الحاكم المشار إليها هي: عن أبي هريرة - قال: قال رسول الله ρ: (يلقى رجل أباه يوم القيامة فيقول له: يا أبت، أي ابن كنت لك؟ فيقول: خير ابن. فيقول: هل أنت مطيعي اليوم؟ فيقول: نعم. فيقول: خذ بازرتي. فيأخذ بازرتيه، ثم ينطلق، حتى يأتي الله - تبارك وتعالى- وهو يعرض الخلق فيقول: يا عبدي، ادخل من أي أبواب الجنة شئت. فيقول: أي رب، وأبي معي، فإنك وعدتني أن لا تخزيني. قال: فيمسح الله أباه ضبعاً، فيعرض عنه، فيهوي في النار، فيأخذ بأنفه فيقول الله -تبارك وتعالى-: يا عبدي، أبوك هو؟ فيقول: لا، وعزتك. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. انظر: المستدرک على الصحيحين، کتاب الأهوال، ح(8750).

(3) الألويسي، روح المعاني، (38 /11) .

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (149 /19).

(5) النحلوي، عبد الرحمن، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، (ص220)، دار الفكر، دمشق، ط(3)، 1996م.

وخلص القول في الإشارات التربوية المستفادة :

* الاتصاف بصفات الرأفة والرقّة وخفض الجناح والبر بالأب من أكبر المناقب لصاحب النفس السوية ، مهما تغيرت الأحوال .

* الكفر والشرك أكبر مشكلة تقلق المربين .

* تقدير ، وتكريم من يستحق التكريم ، وعدم إهانته وكسر خاطره .

* العقوبة المعنوية قد يكون لها وقع في النفس أكبر من العقوبة الحسية .

* أثر التخيل في العملية التربوية .

* أهمية الحوار الوصفي من الناحية التربوية .

المطلب الثاني : آراء التربويين في خلاصة استنباطات العلماء :

* أولاً : الاتصاف بصفات الرأفة والرقّة وخفض الجناح والبر بالأب من أكبر المناقب لصاحب النفس السوية ، مهما تغيرت الأحوال :

صفات صاحبت إبراهيم U في الحياة - لما دعا أباه إلى التوحيد في رقة ولين وخفض جناح ، وظهرت لما لقيه في الموقف بعد الممات ، وهذا يدل على اتصاف إبراهيم الخليل بالصحة النفسانية التي لا يتصف بها إلا صاحب النفس السوية ، وتُعرّف الصحة النفسية " بأنها : قدرة الفرد على التوافق مع نفسه ومع المجتمع الذي يعيش فيه " ، وهذا التوافق يؤدي إلى التمتع بحياة خالية من الاضطرابات ، ويتمس الفرد وفقاً لهذا المفهوم بالرضا عن الذات ، ولا يبدو منه ما يدل على عدم التوافق الاجتماعي كما أنه لا يسلك سلوكاً اجتماعياً شاذاً ، بل يسلك سلوكاً معقولاً يدل على اتزانه الانفعالي والعاطفي والعقلاني ، في مختلف المجالات وتحت تأثير جميع الظروف ، والشخص الذي هذا نمطه ، يعتبر في نظر علم الصحة النفسانية شخصاً سويّاً ، أو ذا شخصية سوية ويتمتع بالصحة النفسانية⁽¹⁾.

فإبراهيم U لم يسلك سلوكاً اجتماعياً شاذاً ، من عقوق أو نحوه ، بل سلك سلوكاً معقولاً مقبولاً : دعوة ودعاءً واستغفاراً في الحياة ، وأتبعها بالخوف عليه ، والرجاء له ، وسؤال الله Y عنه بعد الممات ، ففي مختلف المجالات وتحت تأثير جميع الظروف لم تتغير شخصية إبراهيم الحليم ، وهذا يدل على اتزانه الانفعالي والعاطفي والعقلاني ، ما يدل على أنه صاحب شخصية سوية . وربما كان ذلك لإيمانهم - أيضاً - بالمعايير الخلقية الذي يعطي الفرد

(1) انظر: محفوظ ، التربية الإسلامية للطفل والمراهق، (ص 106) .

راحة نفسانية ، ويتيح لها اختيار الطريق الذي يسهل عليها حسن التكيف مع البيئة والمجتمع ، كما يجنبه صراعه مع نفسه ، ويحيد عن تصرفاته كثيرا من الحيرة والارتباك(1).

إن القدرة على الانتباه لمشاعر الآخرين هي مهارة مكتسبة يتعلمها الإنسان في هذه الحياة وتبدأ أساساً من إدراك المشاعر الذاتية أولاً ، وإن الذين يطورون ما يسمى : (الحس الشعوري) يفعلون ذلك بتعلمهم معنى (المشاعر) فهم يدركون أهمية المشاعر ، ويتضمن هذا أيضا مشاعر الآخرين ، ويتعلمون أيضا أن المشاعر يجب ألا تتحكم بالشخص ، ولا بالحالة التي هو فيها(2).

* ثانيا : الكفر والشرك أكبر مشكلة تقلق المريين :

لما كانت العملية التربوية تهدف إلى الانطلاق بالفرد من الوضع الذي هو فيه إلى الموضع المنشود ، وانتشاله من حالة النقص وإيصاله إلى مرحلة الكمال (3)، فإن هذا الهدف (الوصول إلى الكمال) كان أمل إبراهيم و موضع رجائه ، ويبدو جليا أن الموضع المنشود بالنسبة لإبراهيم هو الدخول في الدين ونبذ الكفر والشرك لنيل رضوان الله - جلّ في علاه ؛ لذلك فهو قد أمضى حياته كلها في العمل لتحقيق هذا الهدف ، واصل من أجل تحقيقه الليل بالنهار ، وها هو ذا في الآخرة لا يكمل ولا يمل ، فما أن يلقى أباه حتى يقول له : (ألم أقل لك لا تعصيني؟) ثم يسأل ربه فيه ، ويقول : (يا رب إنك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون ، فأبي خزي أخزى من أبي الأبعد؟)

ثم إن حاجة الإنسان إلى الإيمان كحاجته إلى الماء والهواء تماما ، ولن يكتمل الإيمان إلا إذا توافرت فيه الأركان الأساسية ، وبدونها فلق يشعر الناس بالأمن والاستقرار في هذه الدنيا(4). هذا ويلج كبار علماء التربية والأخلاق - حتى في بلاد الغرب - على أهمية التربية الإيمانية ؛ ليتحرر المجتمع من الإلحاد والرذيلة والميوعة والجريمة ، فمن أقوالهم :

* قول الأديب الفرنسي (فولتير) (5) ساخرًا من طبقة الملحدين الماديين : " لم تشككون في الله ، ولولاه لخانتني زوجتي ، وسرقني خادمي " .

(1) انظر: مطاوع، إبراهيم عصمت، التنمية البشرية بالتعليم والتعلم في الوطن العربي، (ص 304)، دار الفكر العربي، القاهرة، ط(1)، 2002م .

(2) انظر: ديفيناي، جويس، كيف تؤدب طفلك - في 5 خطوات بسيطة، (ص62) .

(3) انظر: القائمي، الأسرة والطفل المشاكس ، (ص20) .

(4) انظر: الحداد، محمد محمد، كيف نربي أولادنا؟ نصائح وتوجيهات إسلامية، (ص 144)، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط(1)، 2002م
(5) فولتير: (Voltaire)- (1694- 1778 م) ، كان شاعراً وكاتباً مسرحياً، وكاتب مقالات وقصص قصيرة، ومؤرخاً وفيلسوفاً بلغ من الشهرة والمكانة في عصره ما لم يبلغه كاتب قبله، حتى أصبح علما على عصره ورمزاً له، اشتهر بالذكاء وحضور البديهة والنكتة الذكية ما زج به في السجن، وبعد خروجه من السجن ظهرت مسرحيته (أوديب) التي نجحت نجاحاً باهراً، وبعدها أصبح الشخصية الرائدة في حياة فرنسا الأدبية في القرن الثامن عشر. انظر: (هارت، مايكل، المائة الأوائل ، (ص 231) و(الشنواني، الخالدون من أعلام الفكر - الجزء الغربي، (2/115).

* أعلن الفيلسوف (كانت) ⁽¹⁾ أنه لا وجود للأخلاق دون اعتقادات ثلاثة : وجود الإله ، وخلود الروح ، والحساب بعد الموت ⁽²⁾.

*ثالثاً : تقدير ، وتكريم من يستحق التكريم ، وعدم إهانته وكسر خاطره :

يحتاج الإنسان إلى تقدير الآخرين واعترافهم بما يتحلى به من صفات حميدة وما يقوم به من أعمال مجيدة ، وسواء أصدرَ هذا التقدير عن قرنائهم أم رؤسائهم أم مرؤوسيه ⁽³⁾، ويُعتبر تشجيع المرئى وتقديره وتكريمه والتودد له أمر ضروري لتقدم سلوكه ؛ لأن مبدأ التشجيع والمكافأة هو أفضل وسائل غرس المهارات وقيم الخير في النفس ، وسر ذلك أن غريزة إقرار الذات من أقوى الغرائز التي تحرك سلوك الإنسان ؛ ليحتل مكانا في المجتمع بين الناس ، هذه الغريزة تولد مع الطفل ، وتتحكم في جانب كبير من نشاطه ، والمديح والثناء هما من أقوى العقاقير تأثيراً على غريزة إقرار الذات بين الصغار والكبار ⁽⁴⁾.

ومن وسائل الثواب والمكافآت التي تدل على التكريم والثناء ما يأتي :

1. الكلمة الطيبة : كقول: أحسنت ، بارك الله فيك ، هذا سلوك مؤدب منك ، وفقك الله .
2. إظهار الاهتمام : كمحادثته هاتفياً من العمل ، وتخصيصه بالتحية .
3. المدح والثناء عليه أمام الآخرين : وتزداد فرح ته إن كان أمام من يحبهم من أقرباء أو أصدقاء أو معلمين ، فيقول الأب مثلاً : "أنا مسرور من محمد ؛ لأنه أثر صديقه على نفسه" ⁽⁵⁾.

فالتكريم والتقدير واحترام الشخصية حاجات في النفس تحتاج إلى الإشباع ، ويكون الإشباع بالمدح والثناء ، وعدم التحقير والامتهان ؛ وذلك منعا للهزات النفسانية والاضطرابات العصبية ، فيشعر المرئى بأن له قيمة ومكانة ، وهذا الإحساس يكسبه الثقة في نفسه وفيمن حوله ⁽⁶⁾، كما أن فيه إرواءً لعطشه النفساني ، وتغذية لنضجه الشخصي والجماعي . ولا شك أن كل إنسان قد جرب بنفسه أن تقدير الناس لأعماله مجلبة لسروره وانشراحه ، كما أن استخفافهم بها مجلبة لحزنه وكآبته . وإذا هم اعترفوا بفضل أسداه أو استصوبوا رأياً أبداه أو استحسبوا حجة أدلى

(1) كانت: (Kant) - (1724-1804م)، مربٍ ألماني، وفيلسوف من كبار فلاسفة الإنسانية، ومؤلفاته الكبرى أشبه بمعالم الطريق في تاريخ الفلسفة الحديثة، له مؤلفات عديدة في الفيزياء وعلم الفلك من جهة، وفي الفلسفة والمنطق من جهة أخرى، أما في التربية فقد كتب مجموعة رسائل جاءت نتيجة لتجاربه في هذا الميدان. انظر: (شريل، موريس، موسوعة علماء التربية وعلم النفس، (ص ص 202-203) والشنواني، الخالدون من أعلام الفكر - الجزء الغربي، (2/ 124) .

(2) انظر: علوان، تربية الأولاد، (152/1 و162) .

(3) انظر: شهلا، وزميلي، الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية، (ص 241) .

(4) انظر: الشاش، هداية الله أحمد، موسوعة التربية العملية للطفل، (ص 380)، قدم للموسوعة عبد الرحمن النقيب ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط(2)، 2007م .

(5) انظر: الشاش، موسوعة التربية العملية للطفل، (ص 382) .

(6) انظر: عبد الهادي، جمال، وزميلي، المهام التربوية للأباء بين الهدي النبوي وتجارب علم النفس، (ص 36-38 و113)، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ط(1)، 2004م .

بها ، فإنه يشعر من أعماق نفسه بالغبطة والارتياح ، أما إذا أنكروا عليه فضله ، وسفها رأيه واستهجنوا حجته ، فإنه يشعر بالانقباض والكمند⁽¹⁾.

الجميع يحتاج إلى الشعور بالتقدير على عمله الذي أداه بشكل جيد ، ويحتاج إلى أن يُثاب عليه ، ولكن الكثير من الآباء يدعون أن مكافأة السلوك الجيد يشبه إعطاء الرشوة ، والحقيقة غير ذلك ، إنها مقابل عمل أدي بشكل جيد ، وباعتبارها تحفيزاً⁽²⁾ للطفل كي يغير سلوكياته نحو ما هو أكثر إيجابية ، ودافعاً⁽³⁾ له كي يستمر ، ورمزاً لحقيقة أنك تعترف بجهوده وإنجازاته⁽⁴⁾.

النفس بحاجة إلى التكريم ، ومكانة إبراهيم خليل الرحمن U رفيعة عالية ، وهو أولى من يستحق التكريم ، فكانت المكافأة له من ربه - جل في علاه - أن أجاب دعاءه ، فلم يُخزهِ يوم القيامة ، ولم يُهنه ولم يكسر خاطره ، بل دخل إبراهيم الجنة وقد أنساه الله I صورة أبيه بعد المسخ .

* رابعاً : العقوبة المعنوية قد يكون لها وقع في النفس أكبر من العقوبة الحسية :

من المعلوم أن أسلوب العقوبة لا يكون مادياً فحسب ، بل المعنوي أجدى وأنفع وأشمل وأدوم ؛ ذلك أنه أسلوب متواصل من التفهيم والتعليم والتذكير⁽⁵⁾ . ومن هنا كان المسخ هو جزاء أزر وعقوبته يوم القيامة ، عقوبة معنوية فيها تعليم وتذكير وتفهم يؤخذ منه العبرة ، وترسخ صورته المزرية بالنفس ؛ فيكون سبباً للتأمل والتفكير .

* خامساً : أثر التخيل في العملية التربوية :

التخيل من العمليات أو القدرات المعرفية الراقية والتي ينفرد بها الإنسان عن سائر الكائنات الأخرى ، حيث يستمد من هذه القدرة قوة وأحلاماً وأهدافاً ، فمن التخيل والإبداع صنع الإنسان كل مبتكراته وإنجازاته . والتخيل : هو

-
- (1) انظر: شهلا، وزميلي، الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية، (ص 241) .
 - (2) تتمثل الحوافز في المثبرات الداخلية العضوية، والتي ينتج عنها استعداد الفرد للقيام باستجابات خاصة توجه نحو موضوع معين في البيئة أو بعيداً عنه، وتظهر هذه الحوافز في صورة شعور الفرد بالتوتر والضيق والألم(كما يحدث في حافزي الجوع والعطش، وحافزي الإحساس بالبرودة والحرارة..). انظر: الميلادي، عبد المنعم ، أصول التربية، (ص 53)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2004م
 - (3) تعتبر الدافعية (motivation) شرطاً أساسياً من شروط الموقف التعليمي يتوقف عليها الوصول إلى الهدف وتحقيقه، فأى سلوك لا بد وأن يكون وراءه دوافع. والدافعية مصطلح يدل على العلاقة الديناميكية بين الكائن وبينته، ويختلف نشاط الفرد من موقف لآخر تبعاً لمستوى الدافعية عنده، فقد يتميز سلوك الفرد بالنشاط والحماس في موقف معين بينما يكون أقل في موقف آخر، وقد ينعدم في موقف ثالث، ذلك أن الدوافع هي التي تحرك السلوك، وهي الأساس في اكتساب الفرد لأساليب سلوكية جديدة أو تعديله لها، أي أنها المحرك الرئيسي وراء عملية التعلم حيث تسهم بنصيب كبير في نجاح العملية. انظر: أحمد، سهير كامل، أساليب تربية الطفل بين النظرية والتطبيق، (ص 143)، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، ط1، 2003م .
 - (4) ساليغان، كارين، كيف تقول "لا" وأنت تعنيها - مهارات لا غنى عنها للآباء، (ص62)، مكتبة جريير، الرياض، ط1، 2006م. Sullivan , Karen, How to Say ' No' and MEAN It – Survival Skills For Parents
 - (5) عبد الهادي، المهام التربوية للآباء بين الهدي النبوي وتجارب علم النفس، (ص 47) .

قدرتك على تصور الأشياء والأدوات تصورًا مرئيًا في مخيلتك . ومن أعظم فوائد سهولة تغيير الذات ، فقد توصل العلماء إلى مبدئين مهمين :

المبدأ الأول : أننا قبل فعل أي شيء ينبغي أن يشكل عقلنا صورة ذهنية لما ينبغي أن نفعله ، ومثال ذلك : قبل أن تسير في الغرفة يتخيل عقلك أنك تسير فيها بالفعل .

المبدأ الثاني : أنه بمرور الوقت تصبح معظم المواقف والتصرفات تلقائية طبقًا للصورة التي ثبتت في أذهاننا .

هذان المبدآن يفسران السر وراء فشل أغلب الناس في تغيير عاداتهم السيئة ، ألا وهو استمرار صورة هذه العادة السيئة في المخيلة ، فيتصرف الإنسان وفقًا لهذه الصورة . فالذي اعتاد الغضب عند حدوث تصرف معين يتصرف كل مرة نفس التصرف ويغضب ؛ لأن هناك صورة في مخيلته تدفعه إلى ذلك . فلا تستطيع تغيير سلوكياتك السيئة حتى تغير أولاً الصورة اللاشعورية التي في مخيلتك ، والاستمرار في التصرف طبقًا لهذه الصورة الذهنية . ويمكنك استخدام قدرة التخيل كنوع من المصارعة الذهنية لتغيير صورة رد الفعل تلقائيًا غير المرغوب فيه إلى رد فعل إيجابي وسلوك مستحب . ومثال ذلك : إذا كنت مثلاً تعاني من الإحباط إذا زاد عليك ضغط العمل ، وتريد أن تكون سعيدًا وواقفًا من نفسك أنك ستنتهي جميع أعمالك في ساعات الضغط ، فأكثر من تخيل هذه الصورة الجديدة حتى تثبت في الذهن وتتلاشى الصورة القديمة (1) .

ويستطيع الإنسان من خلال التخيل الوصول إلى أشياء لا يمكن الوصول إليها بالتفكير : فالتخيل أكثر تحررًا من التفكير وأسهل استدعاءً ؛ إذ لا يتطلب جهداً ، كما أنه يقدم صوراً متنوعة (2) .

والتخيل - من الناحية التربوية - له آثار على الفرد وعلى المجتمع ، ومن هذه الآثار :

1- يستطيع الإنسان بالتخيل أن يسترجع الماضي ، وأن يطل على المستقبل ، فيرى ما يحتمل أن يقع فيه وما يمكن أن ينجم عن سلوكه مسلماً معيناً ، أي يستطيع أن يتنبأ بالمستقبل فيُعد له العدة .

2- للتخيل صلة وثيقة بالتعاطف بين الناس ، فلو استطعنا أن نتخيل مشاعر مَنْ حولنا من الناس ، ونحس بأحاسيسهم ، ونتألم لآلامهم ، ويتكون لدينا إحساس بالتعاطف بيننا وبينهم ، فإن في هذا ما يوثق الروابط بين أفراد المجتمع .

(1) انظر : مقال عن التخيل ، د.فؤاد محمد فريح ، على الموقع :

<http://www.maganin.com/articles/articlesview.asp%3Fkey%3D667+%D8%A7%D9%84%D8%AA>

(2) عامر، منير وشريف، تربية الأبناء في الزمن الصعب، (ص 203)، مستقى من مؤلفات: بنجامين سبوك، دار العلم للملايين، بيروت، ط(1)، 1989م.

3- التخيل أساس في الإنتاج الفني والتقدم العلمي والحضاري ، فالعلم يقوم على الفروض والنظريات ، وهذه ثمرة من ثمرات التخيل ، وما يسمى بللهام الفنان أو الأديب ليس إلا نتيجة نوع من التخيل الإبداعي ، فكل ابتكار رهن بهذه القدرة على إعادة تنظيم القديم وصوغه في قالب جديد.

4- للتخيل أثر كبير في التذوق الأدبي والفني والاستمتاع بالحديث والفكاهة ، فاستماع المرء من القصص والشعر أو بما يرى من الرسوم الفنية مرهون بقدرته على تخيل ما يقرأ وما يرى وما يسمع⁽¹⁾.

وما أودُّ التركيز عليه هنا هو النقطة الرابعة : ف للتخيل أثر كبير في التذوق الأدبي والفني ، بمعنى زيادة التذوق للنصوص ، فيكون الاستمتاع بالنص أكبر ، ويصبح النص وكأنه فلمٌ مصوّر في المخيلة ، تُرى فيه المشاهد ، وتُسمع فيه الكلمات ، وتُشاهد فيه الأحداث ، والمشهد المذكور في الحديث الشريف يفتح آفاقا كبيرة للعقل والقلب ، فينظر القارئ أو السامع نظرة اعتبار وادّكار ، ويتأمل في الحال والمآل ، ينظر لحال آزر وما سيؤول إليه أمره ، وينظر في حال أمثاله من الناس فيجد له أشباها ونظائر ، يتخيل ويتخيل أمورا كثيرة ، يكون وقعها على القلب أشد من الكلمات المجردة ، وباختصار فالتخيل أداة من أدوات التعلم الأساسية ، وهو منهج من مناهج التفكير الهامة .

* سادسا : أهمية الحوار الوصفي من الناحية التربوية :

1. يعرض الحوار الوصفي صورة حية للمشهد المعروض ، وهو بذلك يستعين بالمخيلة والوصف الدقيق على تربية العواطف الربانية ، والتأثير في نفس القارئ أو السامع لهذه الصور .
2. يعتمد الحوار الوصفي على الإيحاء ، وهو أشد تأثيرا من التلقين ، وعلى المرّبي أن يستغل مثل هذا الأمر ، فهو مطالب بتربية الانفعالات والعواطف كالخشوع والرغبة والرغبة⁽²⁾.

وحال آزر المعروضة هي حال أحد أهل النار ، وفي الحديث صورة حية ، ووصف دقيق له ، يُستعان بهما على التأثير في نفس القارئ أو السامع لهذا المشهد ، وهذه الطريقة هي أشد تأثيرا في النفس من سماع الخبر المجرد أو قراءته ، كأن يقال : ستكون عاقبة آزر يوم القيامة المسخ

الفصل الثاني

دعوة إبراهيم ن قومه

(1) مطاوع ، التنمية البشرية بالتعليم والتعلم في الوطن العربي ، (ص 277) .
(2) انظر : النحلوي ، أصول التربية الإسلامية وأساليبها ، (ص 221) .

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول : التفكير في ملكوت السماوات والأرض زاد للدعاة في طريق الدعوة

المبحث الثاني : دعوة إبراهيم ٧ قومه الصريحة ومجادلتهم

المبحث الثالث : رفض إبراهيم ٧ مشاركة قومه ومجاملتهم في عيدهم

المبحث الرابع : إعلان إبراهيم ٧ البراءة من قومه

الفصلُ الثاني

دعوةُ إبراهيمَ U قومه

ما أن أنهى إبراهيم U دعوته للخاصة - أبيه وأهل بيته حتى انتقل إلى الدعوة العامة ، فبدأ بقومه الذين هم أهل بلده وعشيرته ، وهذا هو المتصوّر لعمل كل رسول ، بل هو عمل كل داعية إلى الله Y ، بدأ إبراهيم U يدعو قومه واستعمل معهم أساليب شتى ، واتباع عدة وسائل ، ووقف معهم مواقف يظهر من خلالها أسلوبه في الدعوة ، كما يظهر منها ملامح شخصيته التي تميز بها .

وتفصيل الكلام في هذا الفصل عن دعوة إبراهيم U قومه يأتي ضمن أربعة مباحث ، وهي :

المبحث الأول : التفكير في ملكوت السماوات والأرض زاد للدعاة في طريق الدعوة

المبحث الثاني : دعوة إبراهيم U قومه الصريحة ومجادلتهم

المبحث الثالث : رفض إبراهيم U مشاركة قومه ومجاملتهم في عيدهم

المبحث الرابع : إعلان إبراهيم U البراءة من قومه

المبحث الأول

التفكير في ملكوت السماوات والأرض زاد للدعاة في طريق الدعوة

يذكر لنا القرآن الكريم في دعوة إبراهيم U قومه عدة مشاهد ، منها مجموعة من الآيات في سورة الأنعام ، التي هي " أصل في محاجة المشركين"⁽¹⁾. وكانت هذه المحاجة بعدة أساليب ، منها أسلوب القصة ، فكان في قصة محاجة إبراهيم U قومه خير ما يُستدل به ؛ خاصة لما تمتع به إبراهيم U من المحبة بين الأمم .

ولما نزل القرآن كان أول المخاطبين به أهل مكة ممن يعبدون الأصنام ويجعلون لله Y أنداداً - مثلهم في ذلك مثل قوم إبراهيم U - وهم مع ذلك يدعون النسبة لإبراهيم ، ويعتبرون أنفسهم أتباعه وأنهم على دينه ، فكان مما نزل هذه الآيات الكريمةات : ﴿وَتَذَكَّرْ لِرَبِّكَ إِبْرَاهِيمَ مَلُوحًا مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَيَلْحِقُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿75﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ خَوْفَهَا قَالَ مَا رُبِّيَ فَأَمَلْتُ أَنِّي لَأَجِبُ الْأَوَّلِينَ ﴿76﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ الْقَمَرَ بَارِقًا قَالَ مَا رُبِّيَ فَلَمَّا أَقْبَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿77﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ الْقَمَرَ بَارِقَةً قَالَ مَا رُبِّيَ مَا أَهْبَرُ فَلَمَّا أَقْبَلَ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿78﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿79﴾ وَحَاجَّةٌ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَهْجَا رَبِّي هَزِيمًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿80﴾ وَكَهَنَاتٌ آخَانَ مَا أَشْرَكْتُهُ وَلَا تَكَافُونَ أَتُكْفِرْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ كِتَابٌ خَلَقْنَا قَائِمِي الْعَالَمِينَ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿81﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّسَبِّحُونَ ﴿82﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّن نَّهَارٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿الأنعام : 75 - 83﴾.

وقد تم تقسيم هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب ، الأول : بيان المقصود من قول إبراهيم U : ﴿مَا رُبِّيَ﴾ ، والثاني : الإشارات التربوية المستنبطة من الآيات كما يراها علماء التفسير ، والثالث : آراء التربويين في خلاصة استنباطات المفسرين .

المطلب الأول : بيان المقصود من قول إبراهيم U : ﴿مَا رُبِّيَ﴾ :

ذكر العلماء في تفسيرهم هذه الآيات عدة أقوال تبين معنى قول إبراهيم U : ﴿مَا رُبِّيَ﴾⁽²⁾ :

(1) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (6/ 383) .

(2) هذه الأقوال جميعها ذكرها جماعة من المفسرين، انظر: الطبري، جامع البيان، (5/246)، وابن الجوزي، زاد المسير، (2/48)، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن (7/25)، والنسفي، عبد الله بن أحمد (ت710 هـ)، تفسير النسفي مدارك التنزيل وحقائق التأويل ،

- 1- كان هذا في حال الطفولة ، وقبل قيام الحجة ، وتلك حال لا يكون فيها كفر ولا إيمان .
- 2- أن معنى الكلام: أهذا ربي ؟ إشارة إلى الأجرام الثلاثة ، على وجه الإنكار والتوبيخ ، أي: ليس هذا ربي ، والعرب قد تحذف الهمزة الدالة على الاستفهام ؛ و غير جائز - كما قال الطبري (1) - أن يكون الله Y بعث نبياً بالرسالة ، أتى عليه وقتٌ من الأوقات وهو بالغٌ إلا وهو لله موحدٌ ، وبه عارف ، ومن كل ما يُعبد من دونه بريء .
- 3- أن إبراهيم U ذكر هذا القول معارضةً لقومه ، كما يقول أحد المتناظرين لصاحبه معارضةً له في قولٍ باطلٍ قال به ، على وجه مطالبته إياه بالفُرقان بين القولين . وهذا هو الراجح عند العلماء - والله تعالى أعلم .

المطلب الثاني : الإشارات التربوية المستنبطة من الآيات كما يراها علماء التفسير :

استنبط علماء التفسير من هذا المشهد في قصة إبراهيم U عدة دروس تربوية ، فهذا الطبري يرى أن في القصة ما يدل على الثبات على المبدأ وعدم الوحشة من قول الحق ، فتراه يقول في حق إبراهيم U : " لم يستوحش من قيل الحق والثبات عليه ، مع خلاف جميع قومه لقوله ، وإنكارهم إياه عليه " (2).

ويرى القشيري أن " ليس بعد العيان ريب ، ولا عَقَبَ الظهور ستر " (3)، فمن رأى بعينه وشاهد الأمور ببصره وبصيرته فإنه لا يشك ، فلا مجال للشك بعد المعاينة ، بمعنى أن إبراهيم U أرى ملكوت السماوات والأرض، ومن كان هذا حاله فإنه لا يتطرق إليه شك .

وأما البغوي (4) فيشير إلى أهمية الدعاء ، فيقول : " والأنبياء لم يزلوا يسألون الله تعالى الثبات على الإيمان " (5)، فالدعاء وسؤال الله الثبات سمة أساسية وأدب جمّ للأنبياء - عليهم الصلاة والسلام ، بل يشترك فيها معهم المؤمنون . وقريب منه ما ذكره البيضاوي من أن إبراهيم U استعجز نفسه واستعان بربه في درك الحق ، فقال : **يَهْدِينِي رَبِّي... رَبِّي** ؛ فإنه لا يهتدي إليه إلا بتوفيقه Y (6).

(30/2)، تحقيق: مروان محمد الشعار، دار النفائس، بيروت، ط(1)، 1996م. والألوسي، روح المعاني، (198/7)، وابن عاشور، التحرير والتنوير، (319/4).

(1) انظر: الطبري، جامع البيان، (246/5) .

(2) الطبري، جامع البيان، (247/5) .

(3) القشيري، لطائف الإشارات، (301/1) .

(4) البغوي: محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود الشافعي، عالم خراسان، كان فقيهاً ، أ، محدثه مفسراً، صنف في تفسير كلام الله تعالى، وأوضح المشكلات من قوله p، وروى الحديث، ودرّس، وصنف كتباً كثيرة منها: كتاب التهذيب في الفقه، وشرح السنة في الحديث، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم، وغير ذلك، والبغوي نسبة إلى بلدة بخراسان بين مرو وهرات يقال لها بغ . انظر: (الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، (234/1) و(الزركلي، الأعلام ، (259/2).

(5) البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء (ت 510هـ)، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، (227/2)، دار الفكر، بيروت، ط(1)، 2002م.

(6) البيضاوي، أنوار التنزيل، (308/1).

واستنبط الرازي من الآيات أن إبراهيم \cup أراد أن يُبطل قولهم بربوبية الكواكب إلا أنه \cup كان قد عرف من تقليدهم لأسلافهم وبعُد طباعهم عن قبول الدلائل أنه لو صرح بالدعوة إلى الله تعالى لم يقبلوه ولم يلتفتوا إليه ، فمال إلى طريق به يستدرجهم إلى استماع الحجة ، وذلك بأن ذكر كلاماً يوهم كونه مساعداً لهم على مذهبهم بربوبية الكواكب مع أن قلبه كان مطمئناً بالإيمان ، ومقصوده من ذلك أن يتمكن من ذكر الدليل على إبطاله وإفساده وأن يقبلوا قوله⁽¹⁾.

وعند النسفي⁽²⁾ أن العرب نكتفي عن حرف الاستفهام بنغمة الصوت - أي أنها وإن حذفتم همزة الاستفهام إلا أن طريقة الكلام تساعد على فهم الكلام المراد ؛ لذلك فإن في قول إبراهيم \cup : ﴿هَمَّا رَبِّي﴾ استهزاء وإنكاراً ، أو قد يكون هذا قول من ينصف خصمه مع علمه أنه مبطل ، فيحكي قوله كما هو غير متعصب لمذهبه ؛ لأنه أدعى إلى الحق ، ثم يكرّ عليه بعد حكايته فيبطله بالحجة⁽³⁾.

واستنبط ابن كثير عدة أمور ذات صلة بالتربية ، منها :

* انتقله الإلهية عن الأجرام الثلاثة تحقق بالدليل القاطع ؛ فالأقول⁽⁴⁾ دليل قاطع على الحدوث ، وهو يوصل إلى العلم اليقيني . وهذا يدل دلالة واضحة على أهمية الدليل القاطع في موضوع العلم .

* استدلل بما ثبت عن رسول الله ρ أنه قال: (كل مولود يولد على الفطرة)⁽⁵⁾ على أن إبراهيم \cup كان مناظراً لقومه لا ناظراً ، قال : فإذا كان هذا في حق سائر الخليقة ، فكيف يكون إبراهيم الخليل - الذي جعله الله ﴿أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَا يَكُ مِنَ الْمُفْرِكِينَ﴾ [النحل: 120] ناظراً في هذا المقام؟! بل هو أولى الناس بالفطرة السليمة، والسجية المستقيمة - بعد رسول الله ρ بلا شك ولا ريب⁽⁶⁾.

(1) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، (53/13) .
(2) النسفي: عبد الله بن أحمد بن محمود ، أبو البركات ، حافظ الدين: فقيه حنفي، مفسر، من أهل إيدج (من أصبهان) ووفاته فيها. نسبته إلى " نسف " ببلاد السند، له مصنفات جليلية، منها: " مدارك التنزيل " في تفسير القرآن، و" كنز الدقائق " في الفقه، و" المنار " في أصول الفقه ، وغيرها. توفي سنة 710 هـ . انظر: (الداودي، طبقات المفسرين، (7/2) و(الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، (304/1) و(الزركلي ، الأعلام ، (67/4) و(نويهض، معجم المفسرين، (399/1).
(3) النسفي، مدارك التنزيل، (30/2).
(4) الأقول: الغياب، يُقال: أفل أي غاب، وأفلت الشمس: غرّبت، وكذلك القمر وسائر الكواكب. انظر: ابن منظور، لسان العرب، (167/1)، مادة: (أفل) .
(5) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، ح (1385) .
(6) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (152-151/2) .

وقال النيسابوري⁽¹⁾: "إن الإنسان في أول استدلاله لا ينفك قلبه عن اختلاج شبهة فيه ، فإذا كثرت الدلائل وتوافقت وتطابقت كان لكل واحد منها نوع تأثير وقوة ، ويكون جارياً مجرى تكرار الدرس الواحد ، وتزداد النفس بكل منها نوراً وإشراقاً وانبساطاً إلى أن يحصل الجزم ، ويكمل الإيقان"⁽²⁾.

في إشارة منه إلى الاستدلال بالأجرام الثلاثة جميعها ، ولم يكتفِ بواحد منها للاستدلال ، وإن كان فيه كفاية ، فالاستدلال ثلاثاً هو بمنزلة تكرار الدرس ، وفي كل دليل منها تأثير على القلب .

وأما البقاعي فقد استنبط الكثير من الإشارات التربوية في هذه المجموعة من الآيات ، منها :

* أنه استدل بالأقول لأن دلالاته لزوال سلطانه وحقارة شأنه أتم ، ولم يستدل بالطلوع لأنه - وإن كان حركة دالة على الحدوث والنقصان - شرف في الجملة وسلطان ، وهذا الاستدلال برهان في أن أصل الدين مبني على الحجة دون التقليد⁽³⁾.

* أخذ من قول إبراهيم U : ﴿لَأُحْمِلَنَّهُ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أهمية الملاحظة وابعاد الخصم عما يوجب عناده⁽⁴⁾.

* ثم لما أبطل مذهبهم أظهر التوجه إلى الإله الحق ، فقال : ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ فقد انكشف له الصواب بهذا النظر ، والمراد هم ولكن سوقه على هذا الوجه أدعى لقبولهم إياه⁽⁵⁾.

* وفي معنى ﴿حَنِيفًا﴾ قال : أي سهلاً هيناً ليناً لطيفاً ميالاً مع الدليل غير كزٍّ⁽⁶⁾ جافٍ جامدٍ على التقليد دأب الغليظ البليد⁽⁷⁾.

* قول إبراهيم U : ﴿وَوَدَّ هَمَّانٌ﴾ أي أرشدني بالدليل القطعي إلى معرفة كل ما يثبت له وينفي عنه ، أي لأنه قادر ، فبين أنه تعالى قد أحسن إليه ، فهو يرجوه لمثل ذلك الإحسان ، ويخافه من عواقب العصيان ، لأن من

(1) النيسابوري: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي ، أصله من بلدة (قم) وسكنه في نيسابور ، كان من أساطين العلم مُلمّاً بالعلوم العقلية، جامعاً لفنون العربية، له القدم الراسخ في صناعة الإنشاء والمعرفة الوافرة بعلم التأويل والتفسير ، وهو محدود في عدد كبار الحفاظ والمقرئين ، أهم مصنفاته - على كثرتها - تفسير القرآن (غرائب القرآن ورغائب الفرقان). انظر: (الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، (321/1) والزركلي ، الأعلام ، (2 / 216).

(2) النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت 850هـ)، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، (105/3)، ضبطه وخرج آياته وأحاديثه: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(1)، 1996م.

(3) انظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، (2 / 659) .

(4) نفسه، (2 / 660) .

(5) نفسه، (2 / 660) .

(6) الكزُّ: هو الذي لا ينبسط ووجهه ، وجمَلٌ كزٌّ صُلْبٌ شديد . انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، (85/12) مادة : كزز .

(7) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، (2 / 661) .

رُجي خيره خيف ضيره ، وذلك دالّ على أن الله تعالى أهلاً لأن يخاف منه . كل ذلك تلويحاً لهم بأن العاقل لا ينبغي له أن يخالف إلاّ من يأمن ضره ، فهم في مخالفتهم لله في غاية من الخطر (1) .

* قوله لهم : ﴿أَلَمْ تَتَكَلَّمُوا﴾ فيه إشارة إلى أن في جبالّتهم أصل التذكر الصاد عن الشرك (2) .

* لما كان المحذور المنفي هنا إنما هو خوف الضرر من آلهتهم ، وكان حصول الضرر لمخالفتها بواسطة أتباعها أو غيرهم من سنن الله الجارية في عباده ، اقتصر الخليل U على صفة الربوبية المقتضية للرفقة والرحمة والكفاية والحماية (3) .

واستتبط أبو السعود الكثير من الإشارات التربوية أيضاً ، منها :

* عبر بقوله : ﴿مَا لَهُ يَنْزِلُ بِهِ مَلَكُهُ مُطَاعًا﴾ على طريقة التهكم ، مع الإيدان بأن الأمور الدينية لا يُعول فيها إلا على الحجة المنزلة من عند الله تعالى (4) .

* وفي تعليق الخوف الثاني بإشراكهم من المبالغة ومراعاة حسن الأدب ما لا يخفى .

* جيء بصيغة التفضيل ﴿أَحَقُّ﴾ المشعرة باستحقاقهم له في الجملة لأستنزالهم عن رتبة المكابرة والاعتساف بسوق الكلام على سنن الإنصاف ، والمراد بالفريقين الفريق الآمن في محل الأمن والفريق الآمن في محلّ الخوف ، فإيثار ما عليه النظم الكريم على أن يُقال : فأئنا أحقّ بالأمن أنا أم أنتم ؟ لتأكيد الإلجاء إلى الجواب الحقّ بالتنبيه على علة الحكم ، والتفادي عن التصريح بتخطئتهم لا لمجرد الاحتراز عن تزكية النفس (5) .

* ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ الجملة تعليل لما قبلها ، وفي وضع الرب مضافاً إلى ضميره U موضع نون العظمة بطريق الالتفات في تضاعيف بيان أحوال إبراهيم U إظهاراً لمزيد لطفٍ وعناية به (6) .

ويرى الألوسي أن إبراهيم U لو صدع بالحق من أول الأمر لتنادوا في المكابرة والعناد ولجّوا في طغيانهم يعمهون ، فإذن تقديم بطلان إلهية الأصنام على ما ذكر من باب الترتي .

(1) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، (661 /2) .

(2) انظر: نفسه ، (662 /2) .

(3) نفسه ، (662 /2) .

(4) انظر: أبا السعود، إرشاد العقل السليم ، (408/2) .

(5) انظر: نفسه ، (408/2) .

(6) نفسه، (410/2)

وفي قوله : ﴿لَا تُحْمَدُونَ مِنَ النُّبُوِّ الضَّالِّينَ﴾ مبالغة منه U في النصفة ، والتعريض بضلالهم هنا أصرح وأقوى من قوله أولاً : ﴿لَا أُحِبُّ الْأَوَّلِينَ﴾ ، وإنما ترقى U إلى ذلك ؛ لأن الخصوم قد أقامت عليهم بالاستدلال الأول حجة فأنسوا بالقدح في معتقدهم ، ولو قيل هذا في الأول فلعلهم كانوا ينفرون ولا يصغون إلى الاستدلال ، فما عرّض لهم U بأنهم على ضلالة إلا بعد أن وثق بإصغائهم إلى تمام المقصود واستماعهم له إلى آخره . والدليل على ذلك أنه ρ ترقى في النوبة الثالثة إلى التصريح بالبراءة منهم والتصريح بأنهم على شرك حين تمّ قيام الحجة عليهم وتبلّج الحق وبلغ من الظهور غايته⁽¹⁾.

* أما استدلال إبراهيم U بالأقول : ففيه " رعاية الإيجاز والاختصار ترقياً من الأدنى إلى الأعلى ، مبالغة في التقرير والبيان على ما هو اللائق بذلك المقام ، ولم يحتج عليهم بالجسمية والتحيز ونحوهما مما يدركه الرائي عند الرؤية في أمارات الحدوث والإمكان اختياراً لما هو أوضح من ذلك في الدلالة وأتم"⁽²⁾ .

أما سيد قطب : فيرى في فطرة إبراهيم U النموذج الكامل للفطرة التي فطر الله الناس عليها ، فلإله في فطرته لا يمكن أن يكون صنماً من حجر ، أو وثناً من خشب ، وإذا لم تكن هذه الأصنام هي التي تخلق وترزق وتسمع وتستجيب - وهذا ظاهر من حالها للعيان - فما هي بالتي تستحق أن تعبد ، وما هي بالتي تتخذ آلهة حتى على سبيل أن تتخذ واسطة بين الإله الحق والعباد ، وإذن فهو الضلال البين تحسه فطرة إبراهيم U للوهلة الأولى⁽³⁾. وسيد قطب في هذا الكلام يرجح أن تكون الحادثة قد وقعت في حال الطفولية ، قبل أن تنزل عليه الرسالة .

ويرى ابن عاشور أن إبراهيم U قال : ﴿هَذَا رَبِّي﴾ على سبيل الفرض جرياً على معتقد قومه ؛ ليصل بهم إلى نقض اعتقادهم فأظهر أنه موافق لهم ليهشوا إلى ذلك ثم يُكّر عليهم بالإبطال إظهاراً للإنصاف وطلب الحق⁽⁴⁾ .

* وفي قوله : ﴿مَلَأْنَا آفَاقَ السَّمَوَاتِ بِرَبِّهِمْ وَأَعْيُنُهُمْ الْغُلُوبُ﴾ أنه عرّض في كلامه بأن له رباً يهديه ، وهم لا ينكرون عليه ذلك لأنهم قائلون بعدة أرباب . وفي هذا تهيئة لنفوس قومه لما عزم عليه من التصريح بأن له رباً غير الكواكب⁽⁵⁾ .

* في قوله : ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أي إنّما لم آمن إرادة الله بي ضراً وإن كنت عبده وناصر دينه لأنه أعلم بحكمة إلحاق الضرر أو النفع بمن يشاء من عباده ، وهذا مقام أدب مع الله تعالى ﴿فَمَا يَأْمُرُ مَخْرَجًا إِلَّا نَزْرًا﴾ [التكوير : 99]⁽¹⁾.

(1) انظر: الألوسي، روح المعاني، (7/ 199-200) .

(2) نفسه ، (7/ 203) .

(3) انظر: قطب، في ظلال القرآن، (3/ 290-291) .

(4) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (7/ 319) .

(5) انظر: نفسه ، (7/ 321) .

ويمكن استخلاص الإشارات التربوية الآتية من أقوال علماء التفسير :

* أولاً : حوار المبطلين ومناظرتهم لإقامة الحجة عليهم يتم ضمن ضوابط وآداب كثيرة ، منها :

1. الاستعانة بالله في درك الحق مع استعجاز النفس .
2. الجدل يكون بالدليل القاطع والحجة دون التقليد .
3. عدم الوحشة من قول الحق مع الثبات عليه .
4. إنصاف الخصم وعدم التعصب للمذهب .
5. في نغمة الصوت أحيانا ما يغني عن التصريح ، واستعمال الإشارة ذو فائدة عظيمة .
6. الاستدراج إلى استماع الحجة مع الملاطفة وإبعاد الخصم عما يوجب العناد .
7. رعاية الإيجاز والاختصار .
8. اختيار الوقت المناسب والأخذ بالتدرج والترقي من الأدنى إلى الأعلى .
9. كثرة الاستدلال بالدلائل المختلفة على المدلول الواحد جارٍ مجرى تكرار الدرس الواحد .
10. الاستدلال على أساس المشاهدة أقوى ؛ إذ ليس بعد العيان ريب .
11. الإلجاء إلى الجواب الحق بالتنبيه على علة الحكم .
12. تفادي التصريح بالخطيئة .

* ثانيا : كل مولود يولد على الفطرة ، ولا يحتاج إلا إلى التنكير .

* ثالثا : مراعاة حسن الأدب مع الله I .

المطلب الثالث : آراء التربويين في خلاصة استنباطات المفسرين :

* أولاً : حوار المبطلين ومناظرتهم لإقامة الحجة عليهم يتم ضمن ضوابط وآداب كثيرة :

اتضح مما مر أن أول ما يلفت النظر في الآيات من الناحية التربوية آداب المناظرة والحوار والنقاش التي تجري بين الخصوم ، وقد ظهرت هذه الآداب من خلال مناظرة إبراهيم U ومحاجته مع قومه ، هذه المناظرة - على قصرها - اشتملت على الكثير من الآداب التي يجدر بالمتناظرين والمتحاورين أن يتحلوا بها .

هذا وقد أكَثَرَ المؤلفون في علم التربية من الكلام عن الحوار ، وفصلوا في الضوابط والشروط المعتبرة لنجاح أية مناظرة أو جدال ؛ وذلك لأهمية الموضوع⁽¹⁾ ، فبالحوار يصل الناس إلى الحق والعلم ، ويكون ذلك بالدليل القاطع ، والحجة القوية ، وليس بالظن ولا بالتقليد ولا بالتعصب للرأي.

ولا بدّ من إلقاء الضوء هنا على بعض ما ورد في بعض المؤلفات من تعريفٍ للحوار وآثاره ، وأهمية أسلوب المناظرة من الناحية التربوية وذلك قبل مناقشة ضوابط الحوار وآدابه التي ظهرت من خلال النص القرآني في مناظرة إبراهيم ؑ قومه.

فالحوار كما ورد عند عبد الرحمن النحلاوي⁽²⁾: أن يتناول الحديث طرفان أو أكثر عن طريق السؤال والجواب بشرط وحدة الهدف ، فيتناقشان حول أمر معين وقد يصلان إلى نتيجة ، وقد لا يُفَنِّع أحدهما الآخر ، ولكن السامع يأخذ العبرة ويُكوِّن لنفسه موقفاً⁽³⁾.

ففي الحوار طرفان يتناقشان في موضوع واحد معين ، كما في هذا المشهد من القصة ، والطرفان هما إبراهيم ؑ وقومه ، واشتمل الحوار بداية على ثلاثة أسئلة ألَّفَاها إبراهيم ؑ عليهم ، فقال : ﴿هَكَذَا رَبِّي؟﴾ في إشارة منه إلى الأجرام الثلاثة الكوكب والقمر والشمس ، وإبراهيم ؑ ما قال ﴿هَكَذَا رَبِّي؟﴾ للأجرام الثلاثة وهو على قناعة بربوبيتها ، لكن كان مناظراً - على الأصح ، وبعد انتهاء الحوار ظهرت النتيجة التي لا مجال للشك فيها ، والتي تتمثل في حقيقة وحدانية الله Y ثم معرفته بصفاته العلية ، فلا مجال للأنداد ولا الشركاء ، وهذه النتيجة يكون للسامع فيها عبرة ، بغض النظر حصلت القناعة بالنتيجة من القوم أو لم تحصل ، أو بعبارة أخرى أقبلَ القوم النتيجة أم أنهم غرقوا في الجدل عناداً واستكباراً .

واعتبر النحلاوي أن للحوار أثراً بالغاً في نفس السامع أو القارئ ؛ وذلك لأسباب كثيرة ، أهمها :

1. أن الموضوع يُعْرَض عرضاً حيويًا إذ يتناوله الخصمان بالأخذ والرد ، الأمر الذي لا يدع مجالاً للملّ ، بل يدفع السامع أو القارئ إلى الاهتمام والتتبع لما يتوقعه من جديد أو من انتصار أحد الخصمين على الآخر .
2. ما فيه من إغراء القارئ والسامع بالمتابعة بقصد معرفة النتيجة ، وهذا أيضا يُبعد الملّ ، ويُجَدِّد النشاط .

(1) من المؤلفات التربوية الحديثة التي اقتصت بهذا الموضوع ، كتاب: فن الحوار ، أصوله- آدابه- صفات المحاور لفصيل عبده قائد الحاشدي ، وقوة المحادثة - مفتاح النجاح مع الناس لجيمس ك. فان فليبيت، وفن التفاوض والإقناع لطفه كاسب الدروبي، وغيرها.
(2) عبد الرحمن النحلاوي: من مواليد دمشق عام 1927م، عمل محاضراً وأستاذاً مساعداً في الكليات العلمية بالرياض، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ويعمل حالياً مديراً لإدارة مؤسسة سعد محمد بن لادن التجارية، كما كان أستاذاً في معاهد العلمية بدمشق، وباحثاً ومشرفاً مدققاً أبحاث في مكتب التربية العربي لدول الخليج، له نشاطات علمية في مناقشة رسائل ماجستير ودكتوراة، وله مؤلفات عديدة عالية المستوى والأداء انظر:

www.furat.com/index.php?page=authorinfo&a_id=1382&PHPSESSID=6...526d8f9dac38ea2492ba1dafa
(3) النحلاوي، عبد الرحمن، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، (ص206) .

3. ما فيه من إيقاظ العواطف والانفعالات ما يُساعد على ترتيبها وتوجيهها نحو المثل الأعلى ، كما يُساعد على تأصل الفكرة في النفس وعمقها .

4. يُعرض الموضوع عرضاً واقعياً بشرياً ، تتبناه فئة مؤمنة وتدافع عنه أو تحكي لنا أثره في سلوكها وحياتها ، ما يجعل لهذا الحوار نتائج سلوكية طيبة⁽¹⁾.

ومن خلال الحوار - أيضاً- تُزرع وتتأصل القيم والأخلاق التي لا تُنسى أبداً ؛ ذلك أن المبادئ التي يُحصّلها الإنسان من خلال الحوار هي الأكثر ثباتاً وإقناعاً وحيوية . والحوار - على هذا - شكل من أشكال الفهم والتفاهم ، فهو ليس سؤالاً وجواباً فحسب ؛ بل هو إضافة كبيرة تستهدف البناء⁽²⁾.

والحوار أيضاً أساس الامتزاج والاندماج ، فلا بد أن يُعطى الخصم فرصة للسمع من خصمه ثم محاورته بهدوء ومنطقية وعقلانية ؛ فقد لا يُعرف الكثير من المعلومات عن سلبيات الأمر الذي وقع فيه ولا إيجابيات تركه ، لأنه لم يُخبر من قبل بذلك ، أو أنه قد نسي ما تعلم ، أو كسل عنه⁽³⁾.

أُعطى قوم إبراهيم U فرصة للسمع والحوار ، وكان إبراهيم U في منتهى الهدوء - كما هي شخصيته ، وكما ظهر في حوارهِ - فما سب صنماً ، ولا شتم كافراً ، بل كان منصفاً في حكمه ، مرناً في أسلوبه ، غير متعصب لرأيه ومذهبه - وإن كان محقاً ، ثم كان حوارهِ بمنتهى المنطقية والعقلانية .

وفي حوار إبراهيم U بهذه الطريقة دليل على عدة أمور :

1. الوصول إلى مستوى مرتفع من النمو العقلائي والمعرفي .
2. الوصول إلى قمة نضج الذكاء التي لا تتوقف .
3. تعدد أشكال التفكير : فمن التفكير المنطقي ⁽⁴⁾، حيث القدرة على ربط المقدمات بالنتائج ، يرتقي عنده أسلوب الحوار ، إلى التفكير الابتكاري الذي يجد فيه رغبة عالية في التطوير والإضافة ، ما يجعله على استعداد مستمر للعطاء⁽⁵⁾.

(1) النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، (ص206) .
(2) الشاش، موسوعة التربية العملية للطفل، (ص 251) .
(3) انظر: خطاب، الإبداع في تربية الطفل، (ص36) .
(4) عرّف المنطق بأنه: "قانون التفكير الصحيح"، فإذا أراد الإنسان أن يفكر تفكيراً صحيحاً فلا بد أن يراعي هذا القانون، وإلا سوف يزلّ وينحرف في تفكيره فيحسب ما ليس بنتيجة نتيجة أو ما ليس بحجة حجة. انظر: محاضرة لإبراهيم الأنصاري، دروس في المنطق على موقع:

فهو على هذا ثابت على قول الحق ، مطمئن القلب ، سائر في طريق دعوته ، غير مبال بعداء قومه ، يحاور ويناظر ، لا يكل ولا يمل ، ويضع بين أيديهم الحجج والبراهين ، وفي كل موقف تجد الجديد من الرأي والحكمة ، ثم هو أخيراً - مستمر العطاء ، وقف مع أبيه ثم قومه وغيرهم عدة مواقف ، فما غير مبدأه ولا تنازل عن عقيدته .

أما أهمية الحوار من الناحية التربوية فإنه يقفز بالمربين إلى قمة البناء والتربية ، ويدرب المرء على طرح كثير من قضاياها بصراحة ، والتعبير عن حقوقه والمشاركة في المجالس عندما يكون قادراً على ذلك ، ولذلك لا يجوز للمرء - لا سيما - الآباء منع أولادهم من الحديث ، أو الإلقاء بأرائهم بصراحة في المجالس المختلفة ؛ وذلك ليستطيع الطفل معرفة الخطأ والصواب ، وتعديل الأخطاء التي يطرحتها . والحوار يشبع ميول الطفل ، وينظم تفكيره ، ويعوده احترام الآخرين وتقبل آرائهم والإصغاء إليهم ، ولذلك ينبغي على المرء أن يهيئ الفرصة لمشاركة الطفل ، ومساهمته بفعالية ، واحترام آرائه ، وتشجيعه وإثارة تفكيره - خاصة - إذا كان الطفل يميل إلى الخجل⁽¹⁾.

أما علي أحمد مذكور⁽²⁾ فتكلم عن أهمية المناظرة وأثرها التربوي ، فقال : " وتعتبر المناظرة من الأساليب التربوية فهي تعتمد على اختلاف الآراء ، واختيار الصحيح منها ، كما تعتمد على المقارنة والموازنة ، وقرع الحجة بالحجة ، وتفنيد الآراء بالعقل والمنطق والأدلة المقنعة . كما لا يمكن إنكار أثر طريقة المناظرة في شحذ الذهن ، وتقوية الحجة والتمرن على سرعة التعبير وإتقانه ، وتعويد المناظرين الثقة بالنفس ، والقدرة على الارتجال " . وأضاف : " وكان العلماء يشجعون تلاميذهم على المناظرة والمناقشة ، بل ويوجبون عليهم ضرورة التمرن عليها ، وكان التلميذ يخالف أستاذه في الرأي أحيانا مع مراعاة التأدب والاحترام⁽³⁾ .

وتتطلب المناظرة وثوقا في المعرفة ، وطلاقة في التعبير ، وجرأة في المواجهة . والمناظرة على هذا المفهوم كانت علما للتدريس ، وأسلوبا للتثقيف ، وطريقة للجدال والإفحام . ولقد كان الطلبة يتعلمون فن المناظرة لاستخدامه أولا في تحصيل العلم ، وثانيا في مناظرة زملاء أو العلماء⁽⁴⁾.

ناظر إبراهيم ص قومه ، وظهر أن كلامه كان مناظرة من قول الله - جل في علاه : ﴿ وَحَاجَةٌ قَوْمُهُ قَالِ أَتَجَاجُوتِي فِي اللَّهِ ... ﴾ [الأنعام : 80-81] ، وقوله : ﴿ وَوَلَكَ حُجَّتْنَا أَتَيْتَنَا إِبرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ ... ﴾ [الأنعام : 83]. ففي الآيات

(1) انظر: الخطيب، وعيد ، تربية الطفل في الإسلام، الدار العلمية الدولية، (ص 136).

(2) علي أحمد مذكور: ولد في مصر، حصل على ليسانس علوم عام 1967م، وعلى دبلوم دراسات عليا عام 1968م، وفي عام 1979 حصل على الدكتوراة في مصر، أما الوظيفة الحالية فهو أستاذ الإرشاد النفسي في معهد الدراسات والبحوث التربوية في مصر. انظر:

www.arabdecision.org/show_cv_5_14_22_1_3_577731498.

(3) مذكور، منهج التربية في التصور الإسلامي، (ص440).

(4) انظر: قمبر، محمود، وزميليه، دراسات في أصول التربية، (ص396)، دار الثقافة، الدوحة، ط(4)، 1995م .

دليل على أن كلام إبراهيم U كان موجهاً إلى قومه ، وأنه كان على طريقة المناظرة والحجاج لهم ، وأن الأمر حصل بين فريقين .

لقد ناظر إبراهيم U قومه - وإن لم يُذكر قولهم - والاكتفاء بقول دون قول دليل التكريم والتشريف لصاحب القول المذكور ، وعدمُ الذكرِ لقولٍ دليلُ التهوينِ والتحقييرِ لصاحبه ؛ فهو كلام لا طائل تحته ، ولا كرامة لقائله .

هذا وقد استنبط علماء التفسير كثيراً من آداب المناظرة وضوابطها من كلام خليل الرحمن - عليه الصلاة والسلام ، وهي المذكورة في المطلب السابق⁽¹⁾ ، أما مؤلفو كتب علم التربية وخبرائهم فقد كتبوا الكثير في هذا الموضوع ، وقد اختيرت بعض المراجع للدلالة على آرائهم والتي في مجملها لا تخالف ما استنبط من قِبَل علماء التفسير ، والتي هي في الأساس منهج رباني موحى به إلى إبراهيم U ، ثم قام هو بتطبيقه في دعوته قومه وحواره معهم .

والخبراء المختصون في علم التربية ينصحون باتباع عدة أمور عند الحوار والاختلاف مع الآخرين وعند الحديث والاستماع ، ومن ذلك :

* يُنصح عند الحوار اختيار الوقت المناسب ، والدقة في الأسئلة المحددة ،... كما ويحتاج المربي إلى أساليب تشويق وإثارة وجذب نحو التعلم ، واستخدام هذه الأساليب يجعل العملية التربوية والتعليمية أسهل ، واستعمال الإشارة - إذا كانت في محلها - مُعين على الفهم ، جاذب للنظر ، طارد للشروء ، يزيد المتابعة في أكثر من حاسة ، فالناظر يسمع الإشارة ويسمع العبارة ويذكر كل منهما بالأخرى⁽²⁾.

كان إبراهيم U مُوقفاً في اختيار الوقت المناسب ، فقد رأى الكوكب والقمر والشمس ، وكان في طلوع كل منها دليل حدوثها ، وفي حركتها وانتقالها دليل آخر ، ولكنه انتظر حتى غابت وأفلت فهذا أنسب الأوقات ؛ ففي الأقول الدليل الأوضح ، والبرهان الأجلى ؛ حيث إن الطلوع وإن كان دليلاً على الحدوث إلا أنه في الجملة أمر إيجابي ، قد يجادل فيه الخصم ويستند إليه ، ولكن الأقول دليل على الحدوث وهو أمر سلبي ؛ لأنه يدل على الذهاب والزوال ، وهذا ما لا يستطيع الخصم أن يجادل فيه ، فإبراهيم U :

1. اختار أقوى الأدلة لإبطال حجة خصمه ، وتجنب الدليل الأضعف .
2. اختصر أمد المناظرة بهذا الاختيار ، وزاد من جلاء نتيجتها .
3. أكسبته قوة الأدلة القوة في الشخصية .

(1) راجع: (ص 99).

(2) انظر: الشاش، موسوعة التربية العملية للطفل، (ص ص 251 و 265 و 267).

وكانت أسئلة إبراهيم U دقيقة ومحددة وواضحة ليس فيها غموض ، بسيطة ليس فيها تعقيد ، والأسئلة هي وسيلة للتعرف على الطرف الآخر ومنزلته ومستواه العلمي والجدلي ؛ حتى نعرف حاله فنستعد له (1). وكانت أسئلة سهلة الإجابة ، والبدء بطرح أسئلة يسهل الإجابة عليها له فوائد ، منها :

1. أن يسترخي المستمع ، ويشعر بالراحة عند الحديث .
2. أن الناس يستمتعون بتقديم الإجابات المؤكد صحتها ؛ لأنها تمنحهم فرصة إظهار معلوماتهم وتشعرهم بالأهمية(2).

أما التدرج فهو من أساليب التربية الموقفة ، وفيه يبدأ المري بالسهل والمألوف والمحسوس ، ولا يثقل بتعليم المسائل العقلانية أو المجردة أو الصعبة ، وهذا يتطلب بصيرة مهنية ومهارة تعليمية من قبل المعلم(3).

وإبراهيم U تدرج وترقى في طريقة عرضه للحوار حتى أنهم سمعوا كل ما أراد إسماعهم إياه ، وهذا دليل مهارته وتفتح بصيرته ، بدأ بالمألوف المحسوس السهل الميسور ، وابتعد عن المسائل العقلانية والصعبة ، ولو عاب آلهتهم - مثلاً - من أول وهلة ما سمعوا منه كلمة واحدة ، واستعمل في أسئلته الثلاث الأولى اسم الإشارة ﴿هَكَذَا﴾ ولا بدّ أنه كان يشير إلى الأجرام الثلاثة في وقت أقولها وفي هذا إعانة على الفهم ، وجذب للنظر ، وطرد للشروء ، وزيادة في المتابعة في أكثر من حاسة ، وهذا يقودنا إلى ذكر تصنيف الوسائل التعليمية ، لنرى كيف سلك إبراهيم U في طريق إقناعهم مسلماً استعمل فيه أكثر الحواس أهمية في عملية التعليم ، وهما حاستا السمع والبصر ، وهذا الكلام بحسب قول من قال بأن التصنيف للوسائل التعليمية يكون بحسب الحواس ، وهذا اتجاه يقسم الوسائل إلى ثلاث مجموعات :

1. الوسائل السمعية : وتضم الوسائل التي تعتمد حاسة السمع عنصراً أساسياً في عملية التعليم واكتساب الخبرات .
2. الوسائل البصرية : وتضم الوسائل التي تعتمد حاسة البصر عنصراً أساسياً في عملية التعلم والتعليم في اكتساب الخبرات .
3. الوسائل السمعية البصرية : وهو ما يعتمد حاستي السمع والبصر عنصراً أساسياً في عملية اكتساب الخبرات ، فيتعلم منها معارف ومهارات كثيرة(4).

(1) انظر: الحاشدي، فيصل عبده قائد، فن الحوار، أصوله- آدابه- صفات المحاور، (ص 89)، دار القمة، دار الإيمان، الإسكندرية، 2003 م.
(2) انظر: فليبيث، جيمس ك. فان ، قوة المحادثة - مفتاح النجاح مع الناس، (ص161) ، مكتبة جرير ، ط(1) ، 2007م .
(3) انظر: قمير، وزميلي، دراسات في أصول التربية، (ص ص 384-385) .
(4) انظر: السيد، محمد علي، الوسائل التعليمية وتكنولوجيا التعليم، (صص69-72)، عمان، ط(5)، 1983م.

والمعتاد غالباً أن لفظ المناظرة ينصرف إلى المناظرات القولية المجردة ، وهنا كان في استدلال إبراهيم U بالشواهد المحسوسة دليل على أن المعاينة أفضل ، " فليس بعد العيان ريب " (1).

* ثم إن هناك مجموعة من الأمور ينبغي أن تُراعى عند الاختلاف مع الآخرين ، منها :

1. الهدوء ؛ فالشعور بالضيق لن يؤدي سوى إلى تطور الأمور إلى الأسوأ .
2. شرح سبب المعارضة ، مع الإيجاز والوضوح .
3. الإنصات عندما يقوم الشخص الآخر بتفسير وجهة نظره عن الموضوع .

فمن الأهمية بمكان أن تكون المعارضة بأسلوب هادئ ؛ لأن ذلك يزيد من فرص إنصات الشخص الآخر ، كما قد تكون هذه هي الفرصة الوحيدة للتغيير .

ثم إن الشخص يفقد حق التعبير عن نفسه إذا أصابه الضيق أو أصبح عدوانياً ، أو حتى إذا كان على وشك أن يفقد السيطرة على نفسه ، فإن الفرصة تتضاءل أمامه في إقناع الآخرين برأيه (2).

فلو لم يكن إبراهيم U هادئاً في حوارهِ أو أبدى شعوراً بالضيق أو فقد السيطرة على نفسه ، لتطورت الأمور إلى الأسوأ ، ولقُلت الفرصة أمامه للنجاح في حوار قومه – بل ربما لفقد حقه في متابعة الحوار والإقناع ، ولكنه ضمناً بملاحظته إياهم استدراجهم للإنصات له ، ويُعدّهم عن عناده ، كما أن في الإيجاز والوضوح ضماناً لتمام الإنصات ، والإنصات المتبادل من الطرفين دليلٌ نجاح المناظرة والتقيد بآدابها ، مع ملاحظة أن الإنصات لم يُذكر من ضوابط الحوار وآدابه سابقاً ، ولكنه يُفهم ضمناً ، فإبراهيم ما استطاع مناقشتهم وهو يرفض الإنصات لهم ، لا شك أنه كان U يسمع في مجالسهم الكفر البواح ولم يمنعه ذلك من دعوتهم ، ومحاولاته المتكررة معهم دليلٌ على أنه كان ثابتاً في دعوته ، غير مستوحشٍ من قول الحق مهما كانت النتائج .

وفي كثير من الحالات يعتقد بعض المناظرين ورجال الإقناع أن كثرة الكلام تؤدي إلى القيام بتوصيل الرسالة إلى الطرف الآخر ، وشرح الموضوع محل التفاوض والإقناع ، كما أن بعضهم قد يرى أنه كلما أكثر في كلامه أعطاه

(1) انظر: القشيري، لطائف الإشارات، (301/1).

(2) انظر: بيرك، وهيرون، تربية الأطفال بالفطرة السليمة - دليل مجرب ومفصل خطوة بخطوة لتنشئة أطفال مسؤولين وبناء أسر سعيدة، (ص190).

ذلك نوعاً من السيطرة على حلقة التفاوض والنقاش ، إلا أن ذلك خطأ كبيراً ، فكلما بالغ الطرف المفاوض في كثرة كلامه ، أدى ذلك إلى كثرة الأخطاء والمشاكل⁽¹⁾.

فالإيجاز - مرة أخرى - هو سبيل للحوار وطريق للنجاح ، وليس أقل إيجازاً من قول إبراهيم ﷺ : ﴿مَكَارِمُ رِيٍّ﴾⁽²⁾ للدلالة على معاني كثيرة⁽²⁾.

* وفي الحديث عن صياغة الألفاظ ، من المهم صياغة الألفاظ من وجهة نظر من يستمعون إليك ، أي باختصار تخيل نفسك مكان المستمع .

وهذا ينطبق على فرض ترجيح الرأي الثاني من آراء العلماء في تفسير قول إبراهيم ﷺ : ﴿مَكَارِمُ رِيٍّ﴾⁽³⁾ ، فقد صاغ ﷺ ألفاظه من وجهة نظر من يستمعون إليه ، فهي بهذا تحتاج إلى تقدير محذوف : هذا ربي على قولكم ، أو بزعمكم⁽⁴⁾ ، فهو بهذا يضع نفسه مكان المخاطبين ، وينظرهم بكلماتهم ؛ حتى يستطيع أن يجذبهم إلى دينه.

* ومما قيل أيضاً : من الضرورة بمكان أن يتجنب المرء سلوك السخرية والتهمك والاستهزاء والتصغير والتحقير ، وليكن التوبيخ بقليل من الكلام المختصر ، وليكن هادئاً وغير منفعل ، ويوجّه الاستياء إلى السلوك المنافي وليس إلى شخصية المحاور ، فالشخصية بحد ذاتها لا زالت محترمة مقبولة محبوبة⁽⁵⁾.

وإبراهيم ﷺ كان بعيداً كل البعد عن السخرية والاستهزاء في هذا الموقف ، كان هادئاً ، ولم يتعرض لأية شخصية بالذم أو القدح ، وإنما كان هدفه إظهار السلوك السيئ ، وفي هذا إنصاف للخصم ودليل المرونة واللطف ، ما يؤدي حتماً إلى الإنصات والبعد عما يوجب العناد . وإظهار احترام شخصية المحاور قد يكون دليلاً على الاحتراز عن تزكية النفس ، فالاحترام متبادل وليس مطلوباً من طرف واحد .

وكان إبراهيم ﷺ - أيضاً - بعيداً عن كل تصرفات المتعصبين وأخلاقهم ، فالمتعصبون من الناس لهم علاقات غير مستقرة ، وهم بسبب عدم معرفتهم للحق ، غير قابلين للتغيير والتأثر ، ولا يندمون في حالة الخطأ ، سلوكهم مع الآخرين يحمل طابع العداوة ، وفي بعض الأحيان يصل الأمر إلى النزاع والعراك ، يحترقون الآخرين ولا يعتمدون على أي شخص حيث ينظرون إلى الأفراد نظرة سيئة ، ويسعون دائماً أن تبدو كراحتهم للآخرين ، وعلى هذا

(1) انظر: الدروبي، فن التفاوض والإقناع، (ص152).

(2) انظر: (ص 94) .

(3) انظر: لاوندس ، كيف تجذب الناس كالمغناطيس، (صص26و91).

(4) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (7/26-27) .

(5) انظر: ديماس، كيف تغير سلوك طفلك، (ص 50) .

الأساس فهم على الدوام يبحثون عن عيوب الآخرين ، فلا ينسجمون معهم ، ويحسبون أنفسهم بأنهم أرفع درجة منهم ، ويطمحون إلى قبول الآخرين آرائهم ونظراتهم بدليل أو بدون دليل⁽¹⁾.

وقد أوصى علي الحمادي⁽²⁾ عدة وصايا ذهبية للتربية على الإبداع ، يتضح بعد النظر فيها أنها كانت بمجملها من آداب إبراهيم U في حوارهِ ، ما يدل على أنه U كان مبدعاً في الحوار ويربي الناس على الإبداع ، يحاول رفع المستوى الفكري والمعرفي عند قومه . وهذه الوصايا⁽³⁾ تُذكر هنا ، وبعد كل وصية يكون التعقيب عليها من قصة إبراهيم U :

* ا لربط بإبداعات الله العظمى في خلقه وفي كونه .

وإبراهيم U قد ربط قومه بأعظم المخلوقات وأبدعها وهي الأجرام السماوية الكبرى ، عرف ربه Y بقلبه ، فزادت معرفته له بدلائله ، فربط الخلق بالخالق بمعرفة المخلوق .

* التشجيع على التأمل والتخيل .

وقد فتح لهم هذا الباب وفتح أنظارهم عليه ، لما سألهم **﴿مَسْأَلَةً﴾** ، وكأنه يقول لهم : انظروا ، تأملوا ، هل تصلح هذه الأجرام للربوبية ؟ أم أنها عاجزة قاصرة فقيرة تحتاج إلى من يدبر أمرها ؟ ثم تخيلوا لو كانت هذه الأجرام هي الآلهة وهي لا تسمع ولا تبصر ولا تضر ولا تنفع ، فما هو المتوقع منها وماذا يمكن أن تكون حالة من يعبدها من دون الإله الحق ؟ ووقت غيابها من يدبر أمر المخلوقات ومن الذي يرعاهم ؟

* العلم بلبن هناك أكثر من حل صحيح ، وأن عليهم التفكير الدائم بالبدائل الأخرى .

التفكير بالبدائل يكون بحق من يقلد غيره أو لا يأخذ دينه أو مبادئه من مصادر موثوقة ، فيُذكر بأن هناك احتمالاتٍ متعددةٍ ، وأكثر من رأيٍ في كل مسألةٍ ، فقد يكون على خطأ وغيره على صواب ، وإبراهيم U ناظر قومه ، وبين لهم أنهم على الباطل ، ودلهم على الحق المبين ، بعد أن عرض عليهم التفكير بخيارات مطروحة : ربوبية الكوكب أو القمر أو الشمس .

(1) انظر: القائي، علي، الأسرة والمشاكل الأخلاقية للأطفال، (صص153-154)، دار النبلاء، بيروت، ط(3)، 2004م
(2) علي الحمادي: مؤسس ورئيس مجلس إدارة مركز التفكير الإبداعي بدولة الإمارات العربية المتحدة، وهو من أشهر من كتب وعُرف بالإبداع وتنمية المهارات الشخصية، ومن أنشط الشخصيات العربية والإسلامية في التأليف في هذا المجال، له عدة مؤلفات باللغة العربية وترجمات. انظر ترجمته كتاب: ما لا نعلمه لأولادنا(ص241)، وموقع :

http://www.bab.com/articles/full_article.cfm?id=3540

(3) انظر: الحسنی، أحمد معاذ الخطيب، وزملاءه، ما لا نعلمه لأولادنا، (ص298)، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، مصر، ط(2)، 2006م.

وكان يمكن لمثل هذا العرض أن يُلجئهم إلى الحقِّ إجمالاً ، وقد نبههم على ال علة والسبب ، لكن أناساً زُبوا على القول: ديننا ودين آبائنا ، ما كانوا ليتنازلوا عما هم فيه وإن ظهر لهم الحق جلياً .

* النرب على المرونة الفكرية والبعد عن التعصب والجمود.

وإبراهيم U يسمع شريك قومه وعبادتهم الأوثان ومع ذلك يتعامل معهم بمرونة ، ويبعدها عن التعصب والجمود الفكري يناقش ويحاور بأدب يظهر في حديثه وفي إنصاته لهم .

* الشجوع على النقد النافع البناء الذي لا إساءة فيه ولا تحطيم لأفكار الآخرين.

لما أراد إبراهيم U أن يخبر قومه بأنهم على ضلال ، استعمل أسلوباً غير مباشر ، فقال : ﴿لَيْنَ لَهُ يَفْعِدِي رَبِّي﴾ **لَا تُؤْمِنُونَ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ** ، مع أنه كان مهتدياً ، وكان المقصود بالضلال هم ، ولكنه عرض حتى لا يسيء إليهم ، وفي ذلك مزيد لطف بهم ، وعدم تصريح بتخطئهم .

* الشجوع على المحاولة والتجريب وعدم اليأس.

المحاولة وتكرار المحاولة وعدم اليأس ، هذه من مبادئ العمل عند إبراهيم U ، ولقد كان من خلاصة استنباطات علماء التفسير ضمن آداب وضوابط المناظرة : أن كثرة الاستدلال بالدلائل المختلفة على المدلول الواحد جارٍ مجرى تكرار الدرس الواحد ، في إشارة منهم إلى سؤال إبراهيم U عن الأجرام الثلاثة ، بثلاثة أسئلة كل على حدة : ﴿هَذَا رَبِّي﴾ .

* النرب على حسن الإنصات لأي فكرة أو رأي مهما كانت.

وآراؤهم كانت تمثل ارتكابهم أكبر الكبائر عند الله I - وهو الشرك - ومع ذلك فهو يحسن الإنصات لها .

* العلم بلبن التوفيق من الله تعالى والاستعانة بالله مع بذل الأسباب.

التوفيق والهداية من الله Y ، وطلب العون لا يكون إلا منه I ، وهذا ظهر في كلام إبراهيم : ﴿قَالَ أَنَا مُؤْمِنٌ بِي﴾ **اللَّهُ وَكَذَلِكَ هَدَانِي** فهو يستعين ربه ويستعجز نفسه .

كما أشار الحمادي في حديثه عن التفكير الإبداعي إلى ضرورة تنمية الطلاقة اللفظية لدى من يتوقع له مستقبل إبداعي ، كما ويرى أن الاستماع إلى المبدعين ، والتعامل مع أفكارهم وآرائهم ، والنظر في سلوكهم وتصرفاتهم ، بالإضافة إلى محاورتهم ، كل ذلك مدعاة لسمو التفكير ونمو الإبداع ؛ ذلك أن استحضار الكلمات ، وانتقاء أدق

العبارات ، لهو فن يحتاج إلى تربية وتدريب⁽¹⁾.

وإبراهيم U كان مبدعا في حوارهِ ، إلا أن قومه ما وجدوا لحوارهِ الأثر البالغ المرجو منه ؛ فقلب الكائن البشري أحيانا يكون محلا للعقل ، وأحيانا يقسو ويُطبع عليه فلا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا . وبالمقابل تجد من يسمع أو يقرأ قوله يسمو تفكيره ويبدع أكثر ، يتعلم من إبراهيم U كيف يستحضر الكلمات وينتقي العبارات .

ويبقى الكلام عن الجدل وأنه يكون بالدليل القاطع والحجة دون التقليد فيبين علي أحمد مذكور كيف اهتم الإسلام بتربية الطاقات العقلانية - وهي جزء من تربية الإنسان بشكل عام - وكيف اعتمد في منهجه على الأدلة القطعية دون الظنية ، وكيف رفض مبدأ التقليد وعاب على أهله ، فيقول : " ويحدد الإسلام مجال النظر العقلي ، فيرى أن طريق العقل في معرفة الله وفي الوصول إلى الحق هو تدبر الظاهر للحس والمدرك بالعقل دون إغراق في الغيبات ... ، ويدرب الإسلام الطاقة العقلية عن طريق الاستدلال المثمر والتعرف على الحقيقة ، ويصل إلى ذلك بطريقتين ، الطريقة الأولى : هي وضع المنهج الصحيح للنظر العقلي ، والطريقة الثانية : هي تدبر نواميس الكون وتأمل ما فيها من دقة وارتباط"⁽²⁾.

ثم يبين مذكور المنهج في الطريقتين ، فيقول : أ ما بالنسبة للطريقة الأولى وهي وضع المنهج الصحيح للنظر العقلي ، فالإسلام يحقق ذلك عن طريق وضع مجموعة من التدريبات وإرساء مجموعة من الأسس للنظر العقلي ، فهو يبدأ أولا بتفريغ العقل من كل المفردات السابقة التي لم تقم على دليل يقيني ، وإنما قامت على مجرد التقليد أو الظن ، فيزعي على المقلدين ، ويزعي على الذين يتبعون الظن ، ويأمر بالثبوت من كل شيء قبل الاعتقاد به واقتنائه.

والطريقة الثانية لتربية العقل وهي تدبر نواميس الكون : فالنواميس الكونية تجري في دقة عجيبة ، ونظام لا يختل ، والتدبر والفكر في هذه النواميس يرشد العقل إلى تقوى الله الصانع ال م دبر ، فإذا كان العلم هاما في تنمية الشخصية الإنسانية فإن الأهم من العلم في الحقيقة هو منهج التفكير ؛ لأن منهج التفكير - إن صح - أدى إلى العلم الحقيقي ، وإلى الثقافة العميقة ، وإلى النظام الشامل ، وإلى حسن النظر في الأمور ، ثم - باختصار - إلى معرفة الله وتقواه .

(1) انظر : الحسني ، وزملاءه ، ما لا نعلمه لأولادنا، (ص290).

(2) مذكور، منهج التربية في التصور الإسلامي، (ص ص 342 - 343) .

فالمسلم يجب أن يتربى على تمحيص الحقيقة ، وعدم التأثر بمقررات سابقة ، ولا مقررات ذاتية لا برهان عليها ، ولا بمجرد الظن⁽¹⁾.

ومنهج إبراهيم U هو منهج الإسلام بمفهومه الشامل ، فهو يرى أن من طرق الاستدلال على وجود الخالق ومعرفته الطريق العقلاني ، ويكون ذلك بتدبير الظاهر للحس والمدرک بالعقل منها ، فعن طريق الاستدلال المثمر يصل إلى النتيجة .

ويظهر بجلاء أن الطريقتين المذكورتين آنفاً متضمنتان في دعوة إبراهيم U قومه ؛ فقد وضع في حوار المنهج الصحيح للنظر العقلاني ، فبدأ بتفريغ العقل من كل المفردات السابقة التي لم تقم على دليل يقيني من ريبية للأجرام السماوية الثلاثة ، وطالب بالبعد عن التقليد واتباع الظن ؛ فأمر العقيدة لا يكون إلا بالدليل القطعي، وأمر بالثبوت من كل شيء قبل الاعتقاد به، يظهر هذا بشكل أوضح من خلال نصوص أخرى في دعوة إبراهيم U قومه ، منها: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُحْمَةً مِنْ قَبْلِهِ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ [51] إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلَ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاجِزُونَ ﴿52﴾ قَالُوا وَبَدْنَا آبَاءَنَا لَمَّا كَانُوا هَدًى لَنَا مَا بَدِينُ ﴿53﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿54﴾ قَالُوا أَمِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتُمْ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴿55﴾ قَالَ بَلْ رُحْمَةٌ رَبِّي الْمَعَاوَاهِ وَالْأَرْضِ الْحَدِيدِ فَكَلَّمَنَّ وَإِنَّا كَلَّمْنَا مِنْ الْقَامِرِينَ ﴿56﴾ ، وسيتم التعليق على هذا النص وما شابهه في المبحث اللاحق - بإذنه تعالى .

والتدبير والفكر في هذه نواميس الكون يرشد العقل إلى الله جل في علاه ، ويؤدي إلى العلم الحقيقي في معرفته I ، والبدائية كانت من الله بتفسير رؤية إبراهيم U ملكوت السماوات والأرض فكان من الموقنين ، الذين عرفوا ربه بالدليل اليقيني ، ثم جادل قومه ليدهم عليه ، فبدأ بالاستدلال ، فلما رأى الكوكب أشار إليه ليتأمل فيه ، وطلب من القوم التأمل أيضا ، وبقي كذلك حتى غاب ، عندها أعلنها إبراهيم U عالية مدوية فقال : لا أحب من كانت هذه صفاته من غياب وحركة ، ثم كان التأمل برؤيته للقمر والشمس ، إلى أن وصل إلى النتيجة التي لا مجال للتراجع عنها عنده ، فقد ثبت بالدليل اليقيني أن إلهه هو خالق هذه الأجرام ، وهذا هو العلم الحقيقي بالنسبة له ؛ لذلك لما حاجه قال : ﴿إِنَّمَا جِئْتُمُنِي فِي اللَّهِ وَقَدْ صَدَّقَ وَلَا أَمَانَةَ مَا تَفْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ رَبِّي سَبِيلَنَا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ .

* ثانيا : كل مولود يولد على الفطرة ، ولا يحتاج إلا إلى التنكر :

(1) انظر: مذكور، منهج التربية في التصور الإسلامي، (ص ص 343 و 373- 374) .

السلوك الإنساني ذهنياً كان أو معرفياً أو وجدانياً لا بدّ له من دوافع تحركه نحو غايات يحققها ، ونظريات علم النفس قد اختلفت في تفسير دوافع السلوك باختلاف الفلسفات المؤمنة بها ، والمنطلقات التي تبدأ منها ، فنظرية تُسمى بنظرية الغرائز (instincts) ، وهي التي ترى أن الغرائز هي المحركات الأولى لكل نشاط حركي أو عقلائي أو وجداني ، فردي أو جماعي ، وهي لا تزود الإنسان بالقوة الدافعة فقط ، بل تحدد غايات سلوكه أيضاً⁽¹⁾. ونظرية الغرائز قديمة ، يحاول بعض علماء النفس الحد منها ومن مدلولاتها وحتى إلغائها ، في حين أن هناك آخرين لا يزالون يميلون إليها ويهتمون بها⁽²⁾.

وتُعرّف الغرائز بأنها المصادر التي تستمد منها الشخصية ما يلزمها من طاقة لأداء أعمالها ، وهي التي توجه العمليات النفسانية ، ومصدر الطاقة النفسانية مشتق من حالات الإثارة العصبية الفسيولوجية⁽³⁾.

ونظرية الغرائز التي تعتمد هذه الأفكار أ قرب النظريات إلى علم النفس الإسلامي - في هذه الجزئية ؛ بسبب تأكدها على أن الغرائز هي دوافع فطرية موروثية لا تُكتسب ، إلا أنها لم تقل بلن الله Y هو الذي غرزها في النفس الإنسانية ، وإنما تقول : هي مغروزة في الإنسان بحكم الطبيعة ، والإسلام يقول : إن الله قد أودعها في خلق النفس ، وفطرها⁽⁴⁾.

وهناك سؤال هو مثار جدل كبير يدور حول طبيعة الأطفال عند الولادة ، وقد قيل في الجواب عليه : إن الأطفال يولدون وعندهم نوازع للشر والكرهية ، وقيل : إن الأطفال يولدون أختياراً طبيين بطبيعتهم ، يحبون الناس ويودون أن يحبهم الآخرون ، وقيل إن قُوى الخير والشر في الإنسان متعادلة⁽⁵⁾.

والذي يؤكد علماء المسلمين المختصون في التربية وغيرهم أن الأطفال يولدون أختياراً طبيين بطبيعتهم ، فهم يولدون على الفطرة ، والفطرة هي الحق وهي الخير الموجود في النفس البشرية أصلاً . وهذه طائفة من الأقوال التي تؤكد هذا الأمر :

* "الطفل الوليد يعتبر من أضعف الكائنات بيولوجياً ، إلا أنه يملك من الاستعدادات الفطرية الموروثة ما يمكنه من تطوير قواعد السلوك"⁽⁶⁾.

فقد خلق الله Y الإنسان أضعف الكائنات ، وأودع فيه من الفطرة ما يؤهله ليكون الأفضل - على الإطلاق .

(1) انظر مذكور، منهج التربية في التصور الإسلامي، (ص 154).

(2) ناصر، مقدمة في التربية، (ص45) .

(3) أحمد، أساليب تربية الطفل بين النظرية والتطبيق، (ص 81).

(4) انظر: مذكور، منهج التربية في التصور الإسلامي، (ص 157).

(5) انظر: عبد الله ، عادل فتحي، افهم طفلك تنجح في تربيته، (ص 11)، دار الإيمان للنشر والطبع والتوزيع، ط(1)،

(6) حوامدة، باسم علي، وزميليه، تربية الأطفال في الإسلام، (ص78)، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، ط(1)، 2005م.

* "من الأمور المسلّم بها لدى علماء التربية والأخلاق أن الطفل حين يولد فإنه يولد على فطرة التوحيد ، وعقيدة الإيمان بالله ، فإذا تهيأت له التربية المنزلية الواعية ، والخلطة الاجتماعية الصالحة ، والبيئة التعليمية المؤمنة ، نشأ الولد على الإيمان الراسخ والأخلاق الفاضلة"⁽¹⁾.

فالأصل فطرة التوحيد وعقيدة الإيمان بالله ، ولكن من يقوم على التربية المنزلية والتعليمية ، ثم رفاق الدرب ، هم الذين يؤثرون على الفطرة الصحيحة ، ومن ثم يحصل الانحراف .

* " الفطرة هي الحق وهي الخير ، والإسلام دين الفطرة ، واعترافنا بهذا لا يعني بأي حال إهمال دور التربية ، أو كون الإنسان ليس لديه قدرة على الشر ، كلا وإنما جانب الخير عنده يغلب جانب الشر ، إلا إذا تدخلت يد خبيثة في تربيته أو بيئة فاسدة "⁽²⁾.

ومرة أخرى فالإشارة إلى التربية والبيئة باعتبارهما سببين من أسباب تغيير الفطرة .

* "الانحراف بفطرة الصبي من فعل شياطين الإنس والجن ولا سبيل للمحافظة على الفطرة إلا بإقامتها على الإسلام الذي دعا إليه الأنبياء والمرسلين"⁽³⁾.

وهذه إشارة أخرى إلى أسباب الانحراف ، فالانحراف لا يكون إلا بفعل فاعل .

* وتشير بلقيس داغستاني⁽⁴⁾ إلى أن كلمة القابلية أكثر مناسبة للدلالة على إمكانات الفطرة الإنسانية والطاقة الكامنة فيها ، وتقول : " وهكذا خلق الله فطرة الإنسان لتكون مستعدة ليقظة وعي شاملة ، يقظة كونية مجاوزة لحدود الزمان والمكان"⁽⁵⁾.

وعودة إلى إبراهيم U ، ووقفه مع العلماء الذين اعتبروا ما قام به دليلاً على أن الإنسان مخلوق على الفطرة الصحيحة ، وأن الإنسان إذا انحرف عن طريقها لا يحتاج إلا إلى مَنْ يُذَكِّرُه حتى يستطيع العودة إلى ما كان عليه في أصل الخلق⁽⁶⁾، إبراهيم قد فطره الله I على فطرة التوحيد والإيمان ، وجعل قابليته للتدين مثل باقي المخلوقات، وكان يمكن للبيئة الفاسدة التي عاش فيها ورُبي على قيمها ومبادئها أن تحرف فطرته ، ويبعد الأصنام كما عبدها أبوه وقومه ، ولكن شاء الله Y أن يحمي هذا الإنسان من كل أسباب الانحراف ، وأن يحفظ عليه فطرته، فلم تتأثر

(1) علوان، تربية الأولاد، (152/1) .

(2) عبد الله ، افهم طفلك تنجح في تربيته، (ص11).

(3) عبد العظيم، سعيد، الإشكالية المعاصرة في تربية الطفل المسلم، (ص 83) .

(4) بلقيس إسماعيل داغستاني: الأستاذ المساعد بقسم التربية ورياض الأطفال بجامعة الملك سعود، انظر :

<http://www.alriyadh.com/2006/03/08/article136267.html>

(5) انظر: داغستاني، التربية الدينية والاجتماعية للأطفال، (ص 20 - 22) .

(6) انظر كلام ابن كثير: (ص 95)، والبقاعي: (ص 96)، وسيد قطب: (ص 98) .

بتربية أم ، ولا بتعليم أب ، ولا برفقة درب ، بل سار في طريق الإيمان غير ملتفت لمنهج الباطل والكفران ، فبدأ التأمل بشيء يجده في نفسه قبل أن يوحى إليه ، يذكر قومه بما هو مركز في فطرتهم ، وبما تشهد له كل الآيات الكونية ، وضرب لهم الأمثلة بالكوكب والقمر والشمس ، ولما أثبت بالدليل العقلاني أنها لا تصلح للربوبية ، اتجه إلى خالقها ومبدعها الذي عرفه بآياته معلنا التوجه إليه ، وترك ما سواه .

* ثالثاً : مراعاة حسن الأدب مع الله :

هذه الإشارة التربوية لم تجد الباحثة من تعرض لها عملية البحث ، مع أن أهميتها تفوق أهمية الكثير مما دُرس وبحث ، فالتربية تهتم بعلاقات الناس بعضهم مع بعض - على الأكثر ، مع أن العلاقة مع خالق الناس وإلههم يجب أن تكون هي الأهم ، فهو سبحانه رب الناس - أي مربيهم والقائم على أمورهم ، ومن كان كذلك فهو يستحق منهم حسن الأدب مراعاة لحقوق كثيرة ، ومنها حق التربية .

وإبراهيم U أظهر في مواقف من دعوته حسن أدبه مع مربيه ومولاه ، الذي رعاه في صغره وحماه ، وأسبغ عليه من نعمه في كبره واصطفاه ، وهو في هذا الموقف يُظهر هذا الأمر بقوله: **﴿وَلَا تَخَافُهَا مَا تَشْرِكُونَ بِاللَّهِ إِنَّ يَهَاءَ رَبِّي هَبْطًا وَسَعَةً رَبِّي عَلِيمٌ عَلِيمٌ﴾** ، فهو لا يخاف الأصنام ولا مسّها مطلقاً ، ولكن إذا قدر الله Y له شيئاً من الشر أو المكروه ، فهذا يكون بمشيئة الله I لا بمشيئة الأصنام ، والله تعالى أعلى وأعلم بما سيصيبه وما سيلاقيه في هذه الحياة ، فهو لا يخاف على نفسه من الأصنام إنما يخاف الله Y .

المبحث الثاني

دعوة إبراهيم U الصريحة قوم هرومجادلهم

دعوة إبراهيم الخليل U قومه مرت بمراحل ، وقد ذكر لنا القرآن الكريم مجموعة من المواقف التي وقفها U والتي تدل على دلالات كثيرة ، ويؤخذ منها إشارات تربوية عديدة ، وبعد استقصاء الآيات الموجودة في القرآن الكريم - والخاصة بدعوة إبراهيم U الصريحة قومه ، اختيرت عدة مواقع لتكون شاهداً على هذه المرحلة من حياة إبراهيم U ، ومن ذلك ما ورد في سورة الأنبياء - عليهم السلام - وقول الله Y : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ ... وَأَنَا عَلَىٰ خَلْقِهِ مِنَ الْقَامِدِينَ﴾ [الآيات من 51- 56] .

وفي سورة الشعراء قول الله Y : ﴿وَإِذْ أَخْبَرْنَا نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ...إِلَّا مِنْ أَمْرِي اللَّهُ بِقَلْبِهِ سَلِيمٌ﴾ [الآيات من 69- 89].

وفي سورة العنكبوت قول الله Y : ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ائْتِبُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ خَلِقْتُمْ خَيْرَ لَكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ... أُولَئِكَ يَتُوبُونَ إِلَيَّْ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآيات من 16- 23] .

وفي سورة الصافات قول الله Y : ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفِرْقًا مِّنْ هَبْعَةٍ لِّإِبْرَاهِيمَ ... فَمَا ظَنَنْتُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الآيات من 83- 87].

هذا وقد قُسم هذا المبحث إلى مطلبين ، تضمن الأول استنباطات علماء التفسير للإشارات التربوية من الآيات ، والثاني في آراء التربويين فيما استنبطه المفسرون .

المطلب الأول : استنباطات المفسرين للإشارات التربوية في الآيات الخاصة بدعوة إبراهيم U قومه :

* أما الموضع الأول وقوله I : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ 51﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿52﴾ قَالُوا وَبَدْنَا آبَاءَنَا لَمَّا كَانُوا هَادِينَ ﴿53﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ فِي سُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿54﴾ قَالُوا اجْتِنْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتُمْ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴿55﴾ قَالَ بَلْ رَضُوا رَبَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُمْ وَأَنَا عَلَىٰ خَلْقِهِ مِنَ الْقَامِدِينَ﴾ [الأنبياء: 51- 56] فقد ذكر المفسرون فيها عدة أمور تربوية ، منها ما ذكره القشيري من إحالة إبراهيم U قومه إلى النظر في خلق السموات والأرض والاستدلال بالخلق على الخالق ، فبين أنه U لما طالبوه بالبرهان إلى ما دعاهم إليه من الإيمان قال : ﴿بَلْ رَضُوا رَبَّهُمْ ... الْقَامِدِينَ﴾ ، فأحالهم إلى النظر والاستدلال⁽¹⁾.

(1) انظر: القشيري، لطائف الإشارات، (296/2) .

وذكر الزمخشري أن في قول إبراهيم U : ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ﴾ تجاهلاً لهم وتغاضياً ؛ ليحقر آلهتهم ويصغر شأنها ، مع علمه بتعظيمهم وإجلالهم لها⁽¹⁾. ثم ذكر التقليد فقال : " ما أقبح التقليد والقول المتقبل بغير برهان ، وما أعظم كيد الشيطان للمقلدين حين استدرجهم إلى أن قلدوا آباءهم في عبادة التماثيل وعفروا لها جباههم ، وهم معتقدون أنهم على شيء ، وكفى أهل التقليد سبّة أنّ عبدة الأصنام منهم"⁽²⁾.

وفي الموضوع نفسه - موضوع التقليد - بين البيضاوي أنه " إن جاز فإنما يجوز لمن علم في الجملة أنه على حق"⁽³⁾.

ولقد أسهب سيد قطب فيه عند الكلام على قولهم : ﴿وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا لِعَابِدِينَ﴾ فقال : "وهو جواب يدل على التحجر العقلي والنفسي داخل قوالب التقليد الميتة ، في مقابل حرية الإيمان ، وانطلاقه للنظر والتدبير ، وتقويم الأشياء والأوضاع بقيمتها الحقيقية لا التقليدية . فالإيمان بالله طلاقةً وتحرُّرٌ من القداصات الوهمية التقليدية ، والوراثات المتحجرة التي لا تقوم على دليل ... ﴿قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ وما كانت عبادة الآباء لتكسب هذه التماثيل قيمة ليست لها ، ولا لتخلع عليها قداسة لا تستحقها . فالقيم لا تتبع من تقليد الآباء وتقديسهم ، إنما تتبع من التقويم المتحرر التطبيق"⁽⁴⁾.

وقال الرازي : " أجابهم إبراهيم U بقوله: ﴿لَقَدْ كُنْتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ، فبين أن الباطل لا يصير حقاً بسبب كثرة المتمسكين به . وذكر أن قوم إبراهيم U رأوه ثابتاً على الإنكار ، قوى القلب فيه ، وكانوا يستبعدون أن يجري مثل هذا الإنكار عليهم مع كثرتهم وطول العهد بمذاهبهم . وأنه أظهر لهم أنه مُجَدِّ في إظهار الحق الذي هو التوحيد وذلك بالقول أولاً⁽⁵⁾.

وبين النيسابوري كيف عدل إبراهيم U عن مجرد التنبيه إلى إثبات الدعوى بالبينة والدليل ، وجاهدهم أولاً باللسان ، قائلاً : ﴿بَلْ رَكَّبْتُمْ ... فَطَرْتُمْ﴾⁽⁶⁾ .

وقال السعدي في قول إبراهيم U : ﴿بَلْ رَكَّبْتُمْ ... مِنَ الْعَاكِفِينَ﴾ قال : " جمع لهم بين الدليل العقلي ، والدليل السمعي"⁽⁷⁾.

(1) انظر: الزمخشري، الكشاف، (119/3) .
(2) نفسه ، (119/3) .
(3) البيضاوي، أنوار التنزيل، (72/2) .
(4) قطب، في ظلال القرآن، (544/5) .
(5) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، (182/22) .
(6) انظر: النيسابوري، غرائب القرآن، (29/4) .
(7) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص(554).

والدليل العقلاني يؤخذ من النظر والتفكر في خلق السموات والأرض ، فكل ما فيها يشهد بوحداانية خالقها ، والدليل السمعي يؤخذ من الوحي ، ويكون مبنيا على الحجة والبرهان .

وذكر سيد قطب كيف واجههم إبراهيم U بطلاقة وصراحة ، حتى راحوا يسألون : ﴿ قَالُوا آمِنَّا بِالْحَقِّ أَمْ أَنهَ مِنْ
الْأَعْيُنِ ﴾ وهو سؤال المزعزع العقيدة ، معطل الفكر والروح بتأثير الوهم والتقليد ، فهو لا يدري أي الأقوال حق ،
والعبادة تقوم على اليقين لا على الوهم المزعزع الذي لا يستند إلى دليل⁽¹⁾ .

وقال ابن عاشور : "لما ذكروا له آباءهم ، شرّكهم في التخطئة بدون هوادة بعطف الآباء عليهم في ذلك ؛ ليعلموا
أنهم لا عذر لهم في اتباع آبائهم ، ولا عذر لآبائهم في سن ذلك لهم ؛ لمنافاة حقيقة تلك الأصنام لحقيقة الألوهية
واستحقاق العبادة"⁽²⁾.

خلاصة استنباطات علماء التفسير للإشارات التربوية من آيات سورة الأنبياء :

- * قبح التقليد إلا أن يكون المقفد أهلا لذلك .
- * الشجاعة ، والثبات ، وقوة القلب في الحق .
- * إنكار السلوك السيئ يكون باللسان أولاً .
- * الجمع بين الدليل العقلازي والدليل السمعي .
- * التخطئة بدون هوادة لمن لا عذر له .
- * استعمال أسلوب التجاهل والتحوير قد يفيد أحيانا .

* وموقف ثانٍ يبين فيه الله Y دعوة إبراهيم U قومه ، وهو : ﴿ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ رَبِّي يَا إِبرَاهِيمَ ﴾ ﴿ 69 ﴾ إِذْ قَالَ لِأبيه وَقَوْمِهِ
مَا تَعْبُدُونَ ﴿ 70 ﴾ قَالُوا نَعْبُدُ آبَاءَنَا مَا قَدَرُوا لَهَا مَا كَانُوا ﴿ 71 ﴾ قَالَ مَنْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿ 72 ﴾ أَوْ
يَنْهَوْنَكُمْ أَوْ يَشْرُونَ ﴿ 73 ﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿ 74 ﴾ قَالَ أَفَأَنتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿ 75 ﴾
أَنتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿ 76 ﴾ فَإِنَّمَا تَدْعُوا لِي إِلا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿ 77 ﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهوَ يَهْدِينِ ﴿ 78 ﴾ وَالَّذِي
هُوَ يُعَلِّمُنِي وَيَسْمَعُنِي ﴿ 79 ﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهوَ يَشْفِينِ ﴿ 80 ﴾ وَالَّذِي يُعِيمُنِي إِذْ تُخْرِجُنِي ﴿ 81 ﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن
يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿ 82 ﴾ رَبِّ هَبْ لِي خُفًا وَأَلْبِئْسَ بِالصَّالِحِينَ ﴿ 83 ﴾ وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي
الْآخِرِينَ ﴿ 84 ﴾ وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿ 85 ﴾ وَأَنْهِنِي لِأبي إِذْهَ كَانَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿ 86 ﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ
يُنْعَمُونَ ﴿ 87 ﴾ يَوْمَ لَا يُنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿ 88 ﴾ إِلا مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ بِحَقِّهِ سَلِيمًا ﴿ الشعراء 69 - 89 ﴾ .

(1) قطب، في ظلال القرآن، (544/5) .
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (95/17) .

وقد استنبط المفسرون منها عدة أمور تربوية ، منها ما ذكره الزمخشري عن قوم إبراهيم U وأنهم لما أجابوه جواب المقلدين لأبائهم بيّن لهم أن التقدّم والأولية لا يكون برهاناً على الصحة ، وأن الباطل لا ينقلب حقاً بالقدم⁽¹⁾.

ثم ذكر أن في قول إبراهيم U : ﴿مَرَاتِمُهُ حُدُودٌ لِي﴾ تصويراً للمسألة في نفسه ، على معنى : أي فكرت في أمري فرأيت عبادتي لها عبادة للعدوّ ، فاجتنبتها وآثرت عبادة من الخير كله منه ، فلأوهم بذلك أنها نصيحة نصح بها نفسه أولاً وبني عليها تدبير أمره ، لينظروا فيقولوا : ما نصحنّا إبراهيم إلا بما نصح به نفسه ؛ ليكون أدعى لهم إلى القبول ، وأبعث على الاستماع منه ، ولو قال : فإنه م عدوّ لكم ، لم يكن بتلك المثابة ، ودخل في باب من التعريض ، وقد يبلغ التعريض للمنصوح ما لا يبلغه التصريح ؛ لأنه يتأمل فيه ، فرىما قاده التأمل إلى التقبل⁽²⁾ .

وبيّن الزمخشري أن في استغفار الأنبياء - عليهم السلام - تواضعاً منهم لربهم ، وهضمأ لأنفسهم ، ويدل عليه قوله : ﴿أَلْمَعْ﴾ ولم يجزم القول بالمغفرة . ثم ذكر أن إبراهيم U لما أراد الثناء على ربّه Y أضاف إليه الخير المحض ؛ لأنه لو قال : «أمرضني» لعدّ قومه ذلك عيباً⁽³⁾.

واستنبط الرازي من جواب القوم : ﴿وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَمَالًا يُعْمَلُونَ﴾ فساد التقليد فقال : "وهذا من أقوى الدلائل على فساد التقليد ووجوب التمسك بالاستدلال ، إذ لو قلبنا الأمر ، فمدحنا التقليد وذمنا الاستدلال لكان ذلك مدحاً لطريقة الكفار التي ذمها الله تعالى وذمأ لطريقة إبراهيم U التي مدحها الله تعالى"⁽⁴⁾.

أما الآلوسي فذكر أن العلو في الأدب اقتضى أن ينسب المرض إلى نفسه باعتبار السبب الذي لا يخلو منه⁽⁵⁾ ، في إشارة منه إلى حسن الأدب الذي ظهر من إبراهيم U مع خالقه جل في علاه ، فالمرض قد ينسب في الحقيقة إلى الله Y ؛ فهو الذي يقدّر الأسباب والمسببات ، ثم قد ينسب إلى الإنسان مجازاً ؛ فهو المسبب لمرضه بتقصيره في أمور صحته .

وفي دعاء إبراهيم U : ﴿رَبِّهِ سَبْدٌ لِي حُضّاً﴾ قيل : المراد بالحكم كمال القوة العلمية بأن يكون عالماً بالخير لأجل العمل به . والمراد بقوله : ﴿وَالْحَقِيقِيُّ وَالطَّالِعِينِ﴾ طلب كمال القوة العملية . وقدم الدعاء الأول على الثاني لأن القوة العلمية مقدمة على القوة العملية ؛ لأنه يمكن أن يعلم الحق وإن لم يعمل به وعكسه غير ممكن ؛ ولأن العلم صفة الروح والعمل صفة البدن، فكما أن الروح أشرف من البدن كذلك العلم أشرف من العمل⁽⁶⁾.

(1) انظر: الزمخشري، الكشاف، (309/3)

(2) انظر: نفسه ، (309/3) .

(3) نفسه، (310/3) .

(4) الرازي، مفاتيح الغيب، (143/24)

(5) انظر: الآلوسي، روح المعاني، (96 /19) .

(6) الآلوسي، روح المعاني، (98 /19) .

ثم في دعائه U : ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ حَقٍّ فِي الْأَجْرِينَ﴾ قال : " لا بأس بأن يريد تخليد ذكره بالجميل ومدحه بما كان عليه U في زمانه ؛ ولكون الثناء الحسن مما يدل على محبة الله تعالى ورضائه "(1). ثم ذكر أن الإمام مالكاً(2) استدل بهذه الآية على أنه لا بأس أن يحب الرجل أن يُنتى عليه صالحاً(3).

واستتبط سيد قطب مواقف تربوية أخرى ، وهي في قول إبراهيم U : ﴿إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ قال : " فقد يكون من آبائهم الأقدمين من عبد الله ، قبل أن تفسد عقيدة القوم وتحرف ، وقد يكون من عبد الله ولكن أشرك معه آلهة أخرى مدعاة ، فهو الاحتياط إذن في القول ، والدقة الواعية في التعبير ، الجديران بإبراهيم U في مجال التحدث عن العقيدة وموضوعها الدقيق"(4).

أما ابن عاشور فاستتبط عدة أمور تربوية ، منها :

لما كان آخر مقال إبراهيم U في الدعوة إلى الدين الحق متضمناً دعاء بطلب المغفرة ، تخلص منه إلى الدعاء بما فيه جمع الكمال النفساني بالرسالة وتبليغ دعوة الخلق إلى الله ... وكان حينئذ في حال قرب من الله ؛ لأنه عقب الانتهاء من أقدس واجب وهو الدعوة إلى الدين ، فهو ابتهاج أرجى للقبول كالدعاء عقب الصلوات وعند إفطار الصائم ودعاء يوم عرفة ، وكلها فراغ من عبادات . وذكر أن إبراهيم U ابتداء بنفسه في أعمال هذا الدين ؛ فلأوليات في الفضائل مرتبة مرغوبة . وبين أن إبراهيم U كان حين دعا نبياً فكان السؤال طلباً للازداد ؛ لأن مراتب الكمال لا حد لها . ثم إنه سأل بقاء الذكر الحسن في الأمم والأجيال الآتية من بعده ، وهذا يتضمن سؤال الدوام والختام على الكمال وطلب نشر الثناء عليه ، وهذا ما تتغذى به الروح من بعد موته ؛ لأن الثناء عليه يستعدي دعاء الناس له والصلاة عليه والتسليم جزاء على ما عرفوه من زكاء نفسه(5).

وقد اقتصر على السليم في صفة القلب ؛ لأن السلامة باعثه على الأعمال الصالحة الظاهرية ، وإنما تثبت للقلوب هذه السلامة في الدنيا باعتبار الخاتمة فيأتون بها سالمة يوم القيامة بين يدي ربهم(6).

خلاصة استنباطات علماء التفسير للإشارات التربوية من آيات سورة الشعراء :

-
- (1) انظر: نفسه ، (98 /19) .
(2) مالك : هو الإمام مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي المدني، إمام دار الهجرة، أبو عبد الله، مولده على الأصح في سنة 93هـ، نشأ في صنون ورفاهية وتعلم. وطلب العلم وهو حدث، ذكر عبد الرزاق أنه المقصود بحديث: (يوشك الناس أن يضربوا أكباد الإبل في طلب العلم فلا يجدون عالماً أعلم من عالم المدينة). وقال فيه الشافعي: إذا ذكر العلماء فمالك النجم. مات سنة 179هـ، وله 84 سنة. انظر: (ابن الجوزي، صفة الصفوة، (177 /2) و(الذهبي، سير أعلام النبلاء(382/7) و(الزركلي ، الأعلام، (257 /5) .
(3) انظر: الألوسي، روح المعاني، (99/19) .
(4) انظر: قطب، في ظلال القرآن، (218/6) .
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (144-146) .
(6) نفسه، (150/19).

* الباطل لا ينقلب حقاً بالقدم .

* قد يبلغ التعريض في النصيحة ما لا يبلغه التصريح .

* من حسن الأدب مع الخالق : إضافة الخير المحض إليه والتواضع وهضم النفس .

* فساد التقليد ووجوب التمسك بالاستدلال .

* العلم أشرف من العمل ومقدم عليه .

* لا إشكالية في حب الثناء .

* الاحتياط في القول ، والدقة الواعية في التعبير .

* الدعاء عقب الانتهاء من أقدس الواجبات أرجى للقبول .

* مراتب الكمال لا حد لها .

* سلامة القلب باعث الأعمال الصالحة الظاهرية .

* للأوليات في الفضائل رتبة مرغوب فيها .

* الشجاعة في النطق بكلمة الحق .

* وموقف ثالث وقفه الخليل إبراهيم U في دعوته قومه ، ذكره الله Y في سورة العنكبوت ، واشتمل على إشارات

تربوية أخرى ، يقول الله - جل في علاه : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ انْمُتُوا لِلَّهِ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿16﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَاتَّبِعُوا مَنَدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَانْمُتُوا وَاهْتَصِرُوا لَهُ إِلَٰهٍ تُرْجَعُونَ ﴿﴾ [العنكبوت : 16-17] .

فاستنبط القشيري من قول إبراهيم U : ﴿ فَمَاتَّبِعُوا مَنَدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَانْمُتُوا ﴾ أن الرزق مقدم على الأمر بالعبادة ؛ لأنه لا يُمكنه القيام بالعبادة إلا بعد كفاية الأمر ؛ فبالقوة يمكنه أداء العبادة ، وبالرزق يجد القوة⁽¹⁾ .

ووصف سيد قطب هذا المشهد من دعوة إبراهيم U قومه بقوله : " دعوة بسيطة واضحة لا تعقيد فيها ولا غموض ؛ وهي مرتبة في عرضها ترتيباً دقيقاً يحسن أن يتملاه أصحاب الدعوات " (2) ، ثم فصل الأمر فذكر أن إبراهيم U بدأ ببيان حقيقة الدعوة التي يدعوهم إليها ، ثم تثنى بتحبيب هذه الحقيقة إليهم ، وما تتضمنه من الخير لهم ، وفي الخطوة الثالثة بين لهم فساد ما هم عليه من العقيدة من عدة وجوه ، ثم في الخطوة الرابعة قام بتوجيههم إلى الله ليطلبوا منه الرزق ، الأمر الذي يهمهم ويمس حاجتهم ، فللرزق مشغلة النفوس ، وفي النهاية يهتف بهم إلى واهب الأرزاق المتفضل بالنعيم ، ليعبدوه ويشكروه ، وأخيراً يكشف لهم أنه لا مفر من الله ، فمن الخير أن يثوبوا إليه

(1) القشيري، لطائف الإشارات، (454/2)

(2) قطب، في ظلال القرآن، (398/3) .

مؤمنين عابدين شاكرين ، هكذا يأخذهم خطوة خطوة ، ويدخل إلى قلوبهم من مداخلها ، ويوقع على أوتارها في دقة عميقة⁽¹⁾.

وخلاصة الاستنباطات التربوية لآيات سورة العنكبوت :

* تقديم طلب الرزق على الأمر بالعبادة .

* أهمية البساطة والوضوح والترتيب والدقة في عرض المبادئ .

* وفي سورة الصافات مشهد آخر من مشاهد دعوة إبراهيم U قومه ، قال الله I : ﴿وَإِنَّ مِنْ هِيبَتِهِ لِبَرَاهِيمَ ۗ ﴿83﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِحُجَّتِهِ عَلَيْهِ ۗ ﴿84﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ۗ ﴿85﴾ أَيُّهَا أَلَمَّةٌ حُونَ اللَّهُ تُرِيدُونَ ۗ ﴿86﴾ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۗ ﴿الصافات: 83- 87﴾ .

وقد استنبط المفسرون من الآيات عدة أمور تربوية ، منها ما أشار إليه القشيري في قول إبراهيم U : ﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۗ﴾ فقال : " أي : إذا لقيتموه - وقد عبّدتكم غيره . . فما الذي تقولون له ؟ وكيف بكم في مقام الخجلة مما بين أيديكم وإن كنتم اليوم - غافلين عنه ؟ " في إشارة منه إلى الحث على الحياء بين يدي الله Y وحسن الأدب معه⁽²⁾.

وذكر الزمخشري أن معنى : ﴿مِنْ هِيبَتِهِ﴾ ممن شايعه على أصول الدين وإن اختلفت شرائعها . أو شايعه على التصلب في دين الله ومصابرة المكذبين . وهو ما يدل على ثبات إبراهيم U وصبره في تبليغ دين الله - جل في علاه - إلى قومه ، وإن كان القوم معاندين⁽³⁾.

أما الرازي فقد ذكر المراد بالمجيء بالقلب السليم وهو " عاش ومات على طهارة القلب من كل دنس من المعاصي ، فيدخل فيه كونه سليماً عن الشرك وعن الشك وعن الغل والغش والحقد والحسد "⁽⁴⁾.

وذكر البقاعي أن في سؤال إبراهيم U قومه : ﴿مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ تحقيراً لأمرهم وأمر معبوداتهم . ثم ذكر شجاعة إبراهيم وثباته على الحق وبين أنه U كان - في أقواله - غير مكترث بكثرتهم ، ولا هائب لقوتهم ، ولا مراع لميل الطبع البشري إلى مودتهم⁽⁵⁾.

(1) انظر: قطب، في ظلال القرآن، (399/3) .

(2) القشيري، لطائف الإشارات، (91/3) .

(3) انظر: الزمخشري، الكشاف، (46/4) .

(4) الرازي، مفاتيح الغيب، (147/26) .

(5) انظر: البقاعي، نظم الدرر، (322 /26) .

وبيّن سيد قطب أن المجيء بالقلب السليم هو صورة عن الاستسلام الخالص . والتعبير بالسلامة تعبير موح مصور لمدلوله مع أنه يتضمن صفات كثيرة من البراءة والنقاوة ، والإخلاص والاستقامة ، إلا أنه يبدو بسيطاً غير معقد ، ويؤدي معناه بأوسع مما تؤديه هذه الصفات كلها مجتمعاً ، وبهذا القلب السليم ، استنكر ما عليه قومه واستنبهه⁽¹⁾ .

وقال ابن عاشور : " مكارم الأخلاق قابلة للزيادة ، فكان حظ إبراهيم منها حظاً كاملاً لعله أكمل من حظ نوح ؛ بناء على أن إبراهيم أفضل الرسل بعد محمد ρ ، وادخر الله منتهى كمالها لرسوله محمد ρ "⁽²⁾ .

خلاصة الإشارات التربوية المستنبطة من آيات سورة الصافات :

* الحث على الحياء .

* الشجاعة والرسوخ والثبات على الحق .

* استعمال أسلوب التحقير قد يفيد أحيانا .

* سلامة القلب جماع مكارم الأخلاق .

* مكارم الأخلاق قابلة للزيادة .

أما مجموع الإشارات التربوية المستنبطة من الآيات الدالة على دعوة إبراهيم ρ الصريحة لقومه - بعد حذف المتشابه - فهي :

1. قبح التقليد إلا أن يكون المقّلد أهلاً لذلك .
2. الشجاعة ، والثبات ، والرسوخ ، وقوة القلب في الحق .
3. إنكار السلوك السيئ يكون باللسان أولاً .
4. الجمع بين الدليل العقلازي والدليل السمعي (النظر والاستدلال).
5. التخطئة بدون هودة لمن لا عذر له .
6. استعمال أسلوب التجاهل والتحوي قد يفيد أحيانا .
7. الباطل لا ينقلب حقاً بالقدم .
8. قد يبلغ التعريض في النصيحة ما لا يبلغه التصريح .
9. حسن الأدب مع الخالق : بإضافة الخير المحض إليه ، والتواضع ، وهضم النفس .
10. العلم أشرف من العمل ومقدم عليه .

(1) انظر: قطب، في ظلال القرآن، (59/7).

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (138 /23) .

11. لا إشكالية في حب الثناء .
12. أهمية البساطة والوضوح والاحتياط والترتيب في القول ، والدقة في عرض المبادئ وفي التعبير .
13. الدعاء عقب الانتهاء من أقدس الواجبت أرجى للقبول .
14. مراتب الكمال لا حد لها .
15. سلامة القلب باعث الأعمال الصالحة الظاهرية .
16. للأوليات في الفضائل مرتبة مرغوبة .
17. تقديم الرزق على الأمر بالعبادة .
18. الحث على الحياء .

المطلب الثاني : آراء التربويين فيما استنبطه المفسرون من إشارات :

في هذا المطلب يتم التعرف على آراء التربويين بما توصل إليه المفسرون ، وذلك بالنظر إلى مجموع الإشارات التربوية المستنبطة - والتي ذُكرت قبل قليل - والتعليق عليها بندا بندا :

* أولاً : قبح التقليد إلا أن يكون المقلد أهلاً لذلك :

التقليد هو انتقال السلوك من كائن حي إلى كائن حي آخر يكون غالباً من نفس النوع ، فالولد يقلد أبويه في الكلام ، والمشية ، وأسلوب المعيشة ، وغير ذلك⁽¹⁾ . وتعتبر شدة التقليد تربوياً من الخصائص المميزة للطفل ، فهو يقلد الوالدين والمدرسين في الحسن والقبح⁽²⁾ . فهو أداة من أقوى الأدوات التعليمية ، يبرع الأطفال في التعلم باستخدامها غاية البراعة ، وتتضمن : المراقبة ، والاستماع ، ثم المحاكاة . فعقل الطفل يشبه الإسفنجة التي تنتسب كل قطرة من المعلومات في طريقها ، وقدرته على الاقتداء أمرٌ مدهشٌ ورائعٌ ، ويتعلم الأطفال طريقة التفاعل مع الناس من خلال الاقتداء ، شاملاً طريقة اللعب وتبادل الأدوار ، والمشاركة ، كما يتعلمون من المواقف ويكتسبون القيم وبعض الأمور والعادات الشخصية المفضلة من خلال القدوة ، بالإضافة إلى كيفية التعرف على ماهية مشاعرهم وكيفية توجيهها ، وفي الواقع فهم يكتسبون كثيراً من تصرفاتهم وسلوكهم عن طريق ملاحظة سلوك وتصرفات الناس من حولهم ومحاكاتهم⁽³⁾ .

وطريقة التعلم بالتقليد (Learning by Imitation) له مسميات عديدة، منها: التعلم بالملاحظة (Observation learning)، أو التعلم الاجتماعي (Social learning) ، أو التعلم بالتمجدة (modeling)، ويُعدّ العالم البرت

(1) القوصري، أسس الصحة النفسية، (ص74) .

(2) انظر: مرسي، محمد سعيد، فن تربية الأولاد في الإسلام، (ص14)، دار التوزيع الإسلامية، القاهرة، ط(1)، 1998م.

(3) انظر: سيفير، كيف تكون قدوة حسنة لأطفالك في مرحلة ما قبل الدراسة، (ص80) .

بانديورا⁽¹⁾ صاحب هذا الاتجاه ، إذ يرى أن أي شيء يمكن تعلمه بالنيابة أو العوض (Vicariously) عن طريق ملاحظة الآخرين ، هذا التعلم من شأنه أن يختصر عملية التعلم ، إذ ليس من الضروري أن يمر الفرد بالخبرة كي يتعلم ، بل من خلال ملاحظة الآخرين أثناء قيامهم بالسلوك⁽²⁾.

ولو كان المقلد يأخذ الحسن فيقلده ، وينظر إلى القبيح فيتركه ، لكان الأمر مقبولاً ولا غبار عليه ، ولكن أن يكون التقليد لكل ما يُرى فهذا يكون الإشكالية وتكون الخطورة ، خاصة إذا كان التقليد للمبادئ الأساسية والأمور العقائدية ، هذه الأمور التي لا يجوز أن تؤخذ من غير علم – وإلا كان الخلل عظيماً والنقص كبيراً .

ويرى النحلوي أن التقليد يركز على ثلاثة عناصر ، هي :

- 1 – الرغبة في المحاكاة : فالطفل أو الفتى مدفوع برغبة خفية لا يشعر بها نحو محاكاة من يعجب به في لهجة الحديث ، وأسلوب الحركة والمعاملة والكتابة ، ومعظم عادات السلوك ، دون أن يقصد .
- 2 – الاستعداد للتقليد .
- 3 – الهدف : فكل تقليد هدف قد يكون معروفاً لدى المقلد وقد لا يكون ، والهدف الحيوي (الغامض) الأول من غريزة التقليد والانقياد لدى الأطفال والجماعات هو غرض دفاعي ، إنه الدفاع عن الكيان الفردي ، وكأنه انضواء في ظل الشخص القوي المرموق⁽³⁾ .

فأما العنصر الأول فهو موجود عند الجميع ، وأما الثاني فهذا مقبول عند بعض الناس مرفوض عند آخرين ، ومن يقبل به يكون له هدف وهو الانضواء في ظل شخص قوي يقوم بتقليده ، وقوم إبراهيم ﷺ ما قلدوا آباءهم إلا لرغبة شديدة ، واستعداد كامل ، وهدف معروف ، فهم يرون في آباءهم القوة والعقل ، ولا يجدون في أنفسهم إلا الجهل والضعف . وظاهرة التقليد كما يقال : تقترن بالجهل وقلة العقل ، وتكمن خطورتها في العمل بصور الشر والفساد ، ولذلك قالوا: من سعادة الحدث إذا نسك أن يوفق لصاحب سنةٍ يحمله عليها⁽⁴⁾. ويرى علوان⁽¹⁾ أن في تقليد السلوك

(1) قد يكون البروفيسور البرت بانديورا أستاذ علم النفس الاجتماعي في جامعة ستانفورد من أوائل الباحثين في موضوع تأثير المواد الإعلامية على المشاهدين وبالذات الأطفال . وكانت أبحاثه التي أجراها على مجموعة من الأطفال بداية لكتابته نظرية التعلم الاجتماعي أو نظرية النموذج أو نظرية القدوة، وتدور أبحاث بانديورا في إحضاره لمجموعتين من الأطفال، ثم عرض فيلم يحتوي على مظاهر عنف وقتل واستخدام أسلحة على مجموعة واحدة. بينما المجموعة الأخرى يعرض عليها فيلماً عادياً لا يحتوي على هذه الظاهرة. وبعد انتهاء المادتين لاحظ أن الأطفال الذين تعرضوا أو شاهدوا فيلم العنف كانوا أكثر عنفاً من نظرائهم الآخرين ، بل إنهم مارسوا العنف مع بعضهم البعض أثناء اللعب مقلدين أبطال الفيلم، ولاشك وإن كانت أبحاث بانديورا تعطي مؤشراً لتأثير القدوة لتشكيل أذهان المتلقي، إلا أن منتقبيه كانوا يركزون على أن الموروث الموجود لدى تربية الأطفال من العمق يدرجه كبيرة إلى درجة يصعب فيها أن يتغير سلوك الأطفال بمجرد مشاهدة فيلم ، ويقولون: إن سلوك الأطفال سلوك مرحلي وفتي، وحصل أثناء اللعب وليس عملاً مستمراً إلا إذا كان الطفل لديه استعداد كبير للعنوان. انظر:

<http://www.alsaibeh.com/coverage.php?articleid=537>

(2) انظر: أبو حميدان، يوسف، تعديل السلوك النظرية والتطبيق، (ص 171-172)، مركز يزيد، الكرك دار المدى عمان، ط (1) 2003م.

(3) انظر: النحلوي، أصول التربية الإسلامية، (ص 258 – 260) .

(4) عبد العظيم، الإشكالية المعاصرة في تربية الطفل المسلم، (ص51) .

، والأخلاق ، والعادات ، والتقاليد ، وجميع المظاهر الأجنبية عنا ، والأوضاع المنافية لخصائص أمتنا ، ومقومات أخلاقنا يرى فيها مساوئ كثيرة لكونها تؤدي إلى فقدان الذات ، وذوبان الشخصية ، وهزيمة الروح... (2).

وهذا ما نراه واضحاً في قصة إبراهيم U ، فقومه قلدوا آباءهم ، وعبدوا الأصنام ، وما استطاعوا أن يُدّلوا بحجة أو برهان لما سئلوا عن سبب هذه العبادة ، فقالوا : وجدنا آباءنا ، ففقدوا ذواتهم وذابت شخصياتهم ، وظهرت هزيمتهم الروحانية .

وهذا الكلام لا يعني الذم المطلق للتقليد ، فقد ذُكرت بعض الأقوال الدالة على مكانة التقليد من الناحية التربوية ، وهنا يُشار إلى أقوال أخرى ، يظهر من خلالها أن التقليد جازز لمن علم أنه على حق ، مما يدل على أهمية العلم لكل عمل مهما كان :

" ولأهمية عنصر القدوة في حياة البشر ، ولكون الإنسان بطبيعته يحتاج لمن يراه على المبدأ حتى يسير خلفه ، ويصدق به ، من أجل ذلك بعث الله الرسل للناس ليكونوا لهم قدوات صالحة تُحتذى ، فيرون الأقوال أفعالاً ، ويرون الأخلاق تمشي على الأرض" (3).

" الأطفال يتأثرون بالقدوة أكثر من الوعظ أو التعليم بأنواعه ، وهم يتأثرون بنا ويقلدونا في طريقتنا في التعامل" (4).

" والطفل مهما كان استعداده للخير عظيم ، ومهما كانت فطرته نقية سليمة طاهرة فإنه لا يستجيب لمبادئ الخير والأخلاق الفاضلة التي يحاول أن يغرسها فيه المحيطون من حوله من آباء وأمهات ومعلمين ما لم يرَ المربي في ذروة الأخلاق والقيم والمثل العليا" (5).

"إن التربية بالقدوة من أعظم وسائل التربية في الإسلام ، وأكثرها تأثيراً ، فالطفل الذي يرى كل من حوله ، والمعلمين والأصدقاء والجيران الصالحين فهو بلا شك سيتشرب مبادئ الخير منهم ، وينطبق على ما هم عليه من أخلاق" (1).

(1) علوان: عبد الله، ولد بمدينة حلب سنة 1928م، نال شهادة كلية أصول الدين سنة في الأزهر 1952، ثم نال الماجستير سنة 1954، والدكتوراه بعد مدة من جامعة السند في باكستان. عمل منذ عام 1954م مدرساً لمادة التربية الإسلامية في ثانويات حلب وكان مربيّاً ومعلماً وواعظاً في المدرسة والمساجد، وحين اشتدّ البلاء لوحق فخرج من حلب سنة(1979م) وأقام عدة أشهر في الأردن، ثم توجه إلى السعودية، وتابع عمله الدعوي مع عمله أستاذاً في جامعة الملك عبد العزيز في جدة، إلى أن لقي ربه عام 1987م في جدة ونقل إلى مكة ودفن فيها. انظر :

<http://abdullahelwan.net/serah.php>

(2) انظر: علوان، تربية الأولاد في الإسلام، (183/1).

(3) عبد الله، كيف تصبح أبا ناجحاً، (ص 56) .

(4) بدري، اللمسة الإنسانية، (ص 19) .

(5) الحداد، كيف نربي أولادنا ؟ نصائح وتوجيهات إسلامية، (ص 64).

" من غير المعقول أن نعتقد أن الأطفال يمكن أن يتعلموا أي شيء بدون أن يتمثل أمامهم نموذج مادي إيجابي
"(2).

هذه الأقوال وغيرها الكثير تُظهر أن التقليد من أهم الأساليب التربوية وأكثرها نفعاً - لكن إذا اقترنت بالعلم الذي
يُثبتها وينفي ضدها .

* ثانياً : الشجاعة ، والثبات ، والرسوخ وقوة القلب في الحق :

كان إبراهيم ٧ شجاعاً في طرحه للدين ، فلم يكن متأرجحاً ولا مذبذباً ، ولا غيّرت مبادئه الظروف والأحوال ، ولا
تنازل عن شيء من عقيدته لتقريب وجهات النظر ، ولا ساوم ولا داهن ، بل ظل ثابتاً على الحق قوي القلب فيه ،
شأنه شأن الرسل جميعهم - عليهم السلام ، الذين ساروا على طريق الجنة بلا انحراف ، الصراط المستقيم ، وكان
غيرهم يبعثونها عوجاً ، منهجهم هو منهج إلههم وسيدهم ومولاهم رب العالمين ، الذي يعلم من خلق وما يصلحهم ،
وصالحهم عند الله ٧ يكون بالثبات على المبدأ ، وهذا ما قرره التربويون عامة في مصنفاتهم ، فقد أكدوا أن من
أهم الأمور المفيدة والمتفق عليها من الناحية التربوية الثبات وعدم التنازل مهما كانت الظروف ، فقد اعتُبر الأطفال
كالبناء ، يفيدهم تعلم مبدأ الثبات والنظم الروتينية اليومية ؛ لأنها تقلل من المشاكل والاضطرابات بالنسبة للبناء ،
وتساعد الآباء على الحد من الصعوبات ، وتجعل الحياة المنزلية تسير بصورة أكثر سلاسة (3). والثبات على المبدأ
يحقق نتائج طيبة ، وعندما يغيب الثبات على المبدأ عن أسلوب التأديب في أسرة ما ، يشعر الأطفال بشيء من
الانزعاج وعدم الأمان ، والتردد ، والحيرة ، وعدم التوازن (4) .

ومما قيل في هذا المجال : " إن عدم الالتزام بنمط تربوي محدد يجعل الأطفال يقامرون بسوء السلوك ، مثل
المقامر المندفع الذي يظل يقامر حتى لو خسر كل ما يملك ، ويحدث هذا لأنهم ينتظرون المكسب الذي لا يأتي
أبداً ، وتلك العشوائية تزيد من الخيالات التي تجعله يظن أن الحظ سيبتسم له في المرة القادمة التي سيلقي فيها

(1) حوادة، وزميلاه، تربية الأطفال في الإسلام، (ص15).

(2) بيلي، الأطفال: سهل حينهم صعب تهيئهم - 7 مهارات أساسية لتحويل الصراع إلى تعاون، (ص 79).

Bailey, Easy to love Difficult To Discipline - The Seven Basic Skills for Turning Conflict into Cooperation

(3) انظر: بيرك، وهيرون، تربية الأطفال بالفطرة السلمية، (ص88)

BURKE & HERRON, Common Sense PARENTING

(4) انظر: ساليغان، كيف تقول "لا" وأنت تعنيها - مهارات لا غنى عنها للآباء، (ص 18).

Sullivan , How to Say ' No' and MEAN It – Survival Skills For Parents

النرد ، والفرق الوحيد بين المقامر المندفع والطفل في تلك الحالة هو أنه بينما تنفذ أموال المقامر في النهاية لا تنفذ طاقة الأطفال أبداً⁽¹⁾.

وقيل أيضاً : " إن الثبات على المبدأ أهم من ذرف قطرات من الدموع ، أو التعرض لبعض الإحراج . أصعبُ أمرٍ في الثبات على المبدأ هو التزامه طوال الوقت ، فالبقاء عليه بنسبة 90% من الوقت لا يكفي لمعظم الأطفال ، فإذا استسلمت مرة كل فترة فإنهم ينالون مرادهم ، وهذا يجعلهم منتهزين للفرص ، ومن ثم يتعلمون العناد على نحو سلبي ، إن الثبات على المبدأ يعني المتابعة والتعامل مع سوء السلوك في نفس الوقت الذي يصدر فيه⁽²⁾.

وقيل أيضاً : " إن تكرار القواعد ، والتعليمات ، والأوامر ، والتوقعات ، هو أمر هام وضروري في عملية التأديب ، إن الدماغ يحتاج إلى التكرار كي يساعده في تثبيت العادات الجيدة وتشكيلها ، إلا أن الآباء والمعلمين قد يملون من تكرار الطلب ذاته من الأطفال ، بل الأدهى من ذلك والأمرُّ أن المراهقين بخاصة قد يصبحون متمرسين جدا بعدم المبالاة ، مما يزعج الكبار ويحبطهم جدا . إن الثبات والتصميم على البقاء على الرأي والصمود في وجه كافة التحديات ، هو بحد ذاته أمر رائع ونقطة قوة من مزايا الشخصية القوية⁽³⁾.

كان إبراهيم U رائعا في ثباته قويا في شخصيته ، ولقد اكتسب هذه الصفات من ثباته على مبادئه ، الذي التزمه طوال الوقت ، ولو استسلم مرة لنالوا منه مرادهم .

* ثالثا : إنكار السلوك السيئ يكون باللسان أولاً :

أول ما يحتاجه المربي من أمور تربوية هو معرفته كيفية التعامل مع السلوك السيئ ، فبعض المربين يبدأون مباشرة بالتقييح أو الضرب أو الشتم ... وغيرها من أساليب العنف ، وينسون أو يغفلون أساليب هي أكثر جدوى وأعظم فائدة ، فقد يصل المربي باللين والرفق إلى ما لا يصل إليه مع الشدة والعنف ، وإبراهيم U بمنهجه في دعوته عرف الطريق الصحيح عندما أنكر سلوكهم وتصرفاتهم باللسان أولاً ، وما استعمل أسلوبا من الأساليب القاسية بعد - مع تكرار الدعوة مرة بعد مرة ، وهذا الذي سار عليه إبراهيم U هو ما قُرر وأكد عليه من الناحية التربوية ، حتى قيل : "إن الهدف الذي نسعى لتحقيقه مع أطفالنا الصغار هو تعليمهم أن يتحدث أقوى من الضرب والركل"⁽⁴⁾. نعم

(1) روزموند، جون، 6 خطوات لتنشئة أطفال سعداء وأصحاء، (ص 71)، مكتبة جرير، الرياض، ط(21)، 2005 م.
Rosemond K, John , SIX-Point Plan For Raising Happy Healthy Children
(2) انظر: سيفير، كيف تكون قدوة حسنة لأطفالك في مرحلة ما قبل الدراسة، (ص ص 134 و135 و140)
SEVERE, How to Behave So Your Preschooler Will Too!
(3) انظر: ديفينا، كيف تودب طفلك - في 5 خطوات بسيطة، (ص ص 161 و192).
Divinyi , Original Title Discipline That Works 5 Simple Steps
(4) بيلي، الأطفال: سهل حبه صعب تهيئهم - 7 مهارات أساسية لتحويل الصراع إلى تعاون، (ص 106) .
Bailey, Easy to love Difficult To Discipline - The Seven Basic Skills for Turning Conflict into Cooperatio

فالحديث والأخذ والرد هو أقوى وأنفع من الضرب وما شابهه من الركل بالأرجل أو حتى الشتم والتقييح ، هذا الأمر الذي يستحق أن يعتبر هدفاً ينبغي السعي لتحقيقه والعمل به والتزامه.

وترى كاثرين توبين⁽¹⁾ وجوب استخدام الكلمات ، والاعتماد على القوة الذهنية وليس على القوة البدنية ، فأية مشكلة يمكن حلها دون اللجوء إلى العنف إذا فكر الإنسان فيها جيداً⁽²⁾ ، وقد يكون هذا الكلام صحيحاً في كثير من الحالات ، ولكن لا يمكن أن يكون الكلام حلاً لكل المشكلات ، وهذا ما نراه بالواقع ، فإن الكثير من المشكلات مستعصية ولا تُحل بالكلام ، بل تحتاج إلى الشدة ، وخير مثال على ذلك هو ما حدث مع إبراهيم U حيث استعمل الكلام لحل المشكلة أولاً ، فبدأ بإنكار السلوك المنكر السيئ باللسان ، ثم كرر الأمر مراراً ، وبعدها لم يكن بد من استعمال أسلوب آخر ، وهو الاعتماد على القوة البدنية ، فقام بتحطيم الأصنام .

* رابعاً : الجمع بين الدليل العقلازي والدليل السمعي (النظر والاستدلال) :

تحقيق القيم الروحانية يستلزم عادة المزج بين تكوين الاعتقاد السليم وتكوين الثقافة العقلانية الواسعة ؛ ذلك لأن غرس التدين الذي هو أساس القيم الروحانية ، يكون عن طريق النظر والبحث والتأمل والاستنباط ، ولأن الاستدلال على وجود الله سبحانه يكون عن طريق العقل والعلم . ومتى امتزجت التربية الروحانية بالتربية العقلانية نشأت عن ذلك قوة الشخصية ؛ لأن العقل ينمو فيستفيد الإنسان في حياته ومعيشته وقدراته ، وتسمو الروح وتقوى فتكون عاصماً من الزلل والخطأ ، ولو استطعنا أن نجعل الناشئة تعقل الأشياء بقلوبها وتحب الحياة بعقلها لخرج من الناشئة نماذج تبهر وتروع⁽³⁾.

وإبراهيم U حاول غرس الإيمان بالله Y عن طريق المزج بين الدليل العقلازي والدليل السمعي ، ويكون العقلازي عن طريق النظر والتأمل في مخلوقات الله Y العظيمة التي تدل على عظمة فاطرها ومبدعها ، والسمعي هو الدليل من طريق الوحي ، والجمع بين الدليلين ينتج عنه قوة الشخصية ؛ وذلك لنمو العقل - أولاً - ما يحقق فائدة في حياة الإنسان ومعيشته ، وسمو الروح -ثانياً - ما يكون عاصماً له من الزلل . وإذا حقق ما يُصلح حياته بعيداً عن الزلل وصل إلى أعلى مستوى يصله بشر .

* خامساً : التخطئة بدون هودة لمن لا عذر له :

(1) كاثرين توبين: طبيبة أطفال أمريكية، مؤلفة عدة كتب تربوية، منها: كتاب الحلول التي يمكن للوالدين اللجوء إليها لتساعدكم على حل مشكلاتهم، انظر:

<http://www.nour-atfal.org/news/wmview.php?ArtID=26>

(2) انظر: توبين، حلول عملية لمشكلات الآباء في تربية الأبناء، (ص 112) .

TOBIN, THE PARENT'S PROBLEM SOLVER

(3) انظر: محفوظ، التربية الإسلامية للطفل والمراهق، (ص ص 197، 196) .

وهذه إشارة تربوية أخرى لم تعثر الباحثة للتربويين فيها على رأي خلال عملية البحث ، مع أن الحاجة إليها كبيرة ، فسلوك بعض الناس السيئ وأخطاؤهم قد تعظم فلا يستطيع من يقوم بالتربية أن يعض الطرف عنها ، وفي كثير من الحالات لا بدّ من الشدة والمواجهة بالخطأ بالتصريح لا بالتلميح - وبدون هوادة ، فمن يقوم بالإخلال بالقواعد السلوكية أو الآداب العامة ، أو تسوء علاقاته مع من حوله ، أو يتمادى فتسوء علاقاته مع ربه الذي خلقه ورزقه وأنعم عليه من نعمه ، مثل هذا لا يُتغاضى عن خطئه ، قد يوجّه ويُستعمل معه أسلوب الترغيب ثم أسلوب الترهيب ، فإن أصر على ما هو عليه ، لم يكن له إلا المواجهة بالتخطئة ، وبدون هوادة .

وإبراهيم U استعمل مع قومه عدة أساليب ، فلما أخفقت هذه الأساليب في الإصلاح ، لم يكن بدّ من أسلوب مواجهتهم بالخطأ وبشدة ، فبعدما بيّن لهم الصحيح من الخطأ ، والحق من الباطل ، ولم يجد لهم عذراً يُقبل ، ولا فيهم خيراً يُرجى ، بادر إلى استعمال هذا الأسلوب . والمشهد المذكور في آيات سورة الأنبياء يبين أنه U سألهم لما رأهم عاكفين على أصنامهم ، فقال : ﴿ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلَ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا كَاكِفُونَ ﴾ فأجابوه بمنتهى السخف والحماسة : ﴿ وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا كَاكِفِينَ ﴾ ، فلما ذكروا له أن سبب عبادة الأصنام واتخاذها آلهة هو تقليد آبائهم - لا لقناعة شخصية ، ولا لحجة واضحة جلية ، بادر إلى تخطئتهم وتخطئة آبائهم - بدون هوادة ، فقال : ﴿ لَقَدْ كُفِرْتُمْ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ فِيهِ خَلَالِ مُبِينٍ ﴾ ؛ ليعلموا - كما قال ابن عاشور⁽¹⁾ : " أنهم لا عذر لهم في اتّباع آبائهم ، ولا عذر لأبائهم في سنّ ذلك لهم ؛ لمنافاة تلك الأصنام لحقيقة الألوهية واستحقاق العبادة " .

* سادسا : استعمال أسلوب التجاهل والتحقّي قد يفيد أحيانا :

يعتقد كثير من الآباء والأمهات أن غرس السلوك إنما يتم من خلال الأمر والنهي ، ومن خلال العقوبة والتأديب ، وهذه لا تمثل إلا جزءاً يسيراً من وسائل تعليم السلوك ، وهناك وسائل وأساليب كثيرة تساعد في غرس السلوك الحسن ، أو تعديل السلوك السيئ ، ومن هذه الأساليب التجاهل ، فعندما يعمد الطفل - مثلاً - إلى أساليب غير مرغوبة لتحقيق مطالبه ، كالصرخ والبكاء وإحراج الأم أمام الضيوف ، فلأسلوب الأمتل في معالجته ليس الغضب أو القسوة على الطفل ، إنما هو تجاهل هذا السلوك وعدم الاستجابة للطفل ، وتعييده على أن يستعمل الأساليب المناسبة والهادئة في التعبير عن مطالبه ، وباستعمال هذا الأسلوب يمكن أن تخفني الكثير من السلوكيات الضارة عند الطفل أو على الأقل التخفيف من حدتها⁽²⁾.

ويمكن إعمال هذا الأسلوب في حالات ، منها :

(1) انظر قول ابن عاشور: (ص 116) .
(2) انظر: خطاب، الإبداع في تربية الطفل، (ص 320 - 321)

1- إذا كانت الرغبة التي تحرك السلوك السلبي متعلقة بالأهل ، كلفت أنظارهم أو كسب اهتمامهم أو قطع نشاط يقومون به ؛ وذلك لشعوره بملل نتيجة انشغالهم عنه .

2 - إذا كانت الرغبة المحركة لسلوك ما - كالسلوك العدوانى مثلا - هي حاجة الطفل لإغاطة الأهل وإثبات قوته ومقدرته على الصمود أمامهم .

فالإهمال يجب أن يكون هو الحل الفوري من ناحية ، ولكن من ناحية ثانية فينبغي أن يكون السلوك السيئ بمثابة ضوء أحمر يفتح الأعين على رغبات الطفل وحاجاته ، ومعالجة المشكلة من أساسها ، بحيث يتمكن من تحقيق رغباته دون اللجوء إلى السلوك السيئ . ومحاولة التفهم لرسالة أو فكرة يحاول الابن نقلها للأهل ، وعلى أساسها فينبغي تصحيح التعامل وتوطيد العلاقة معه ، أما إذا اغتاض الأهل لسلوك ولداه المزعج وردوا العدوان بعدوان مصاد فإنهم بذلك يكونون قد دخلوا طرفا في لعبة حدد الابن قوانينها ، ويكونون قد استجابوا لرغباته بوساطة سلوكه السلبي ، الأمر الذي يجعله يعيد ذلك السلوك كلما أحس برغبة في إغاطتهم⁽¹⁾.

فأسلوب التجاهل قد يفيد في بعض الأحيان ، وهو مقبول تربوياً ، ولكن هناك أسلوباً آخر لم أجده خلال عملية البحث في الكتب التربوية ، وهو أسلوب التحقير - وإن كان يُحقق أحيانا ما لا يحققه اللين واللفظ - مثلا ، أو غيرهما من الأساليب ، ولو أخذنا من قصة إبراهيم ؑ المثل فإننا نجد في سؤاله قومه : **﴿لَمَّا سَأَلَهُ النَّبِيُّ أَن تَبُوءَ لِمَا تَكْفُرُونَ﴾** استعمالا لأسلوب التحقير لهم ولآلهتهم ، مع علمه بتعظيمهم وإجلالهم لها ، فمن يصر على أن يعكف على عبادة صنم لا يضر ولا ينفع ، ولا يسمع دعاء ولا نداءً ، ثم هو يغلق عقله وقلبه عن التأمل والتدبر ، ويصم سمعه ويعمي بصره ، فهذا لا يستحق - حقيقة - إلا التحقير ، مع ملاحظة ضرورة البدء بالأساليب الأخرى المعروفة تربوياً .

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن في سؤال إبراهيم ؑ قومه : **﴿لَمَّا سَأَلَهُ النَّبِيُّ﴾** ما يفيد التجاهل أيضاً ، فإنه يعرفها ويعرف ما هم عليه ، ولكنه يسأل عنها سؤال المجهول الذي لا يستحق أن يُذكر ، و يسألهم في موقف آخر سؤالا يستعمل فيه أسلوب التجاهل ، فيقول لأبيه وقومه : **﴿لَمَّا تَعْبُدُونَ﴾** ، والتجاهل ظاهر من أسلوبه ، فأبوه هو الذي يصنعها ، وهو يعلم أنهم يعبدونها ، فهو يعرفها تمام المعرفة .

* سابعا : الباطل لا ينقلب حقاََ بالقدم :

لم تعثر الباحثة في كتب التربية التي وقعت تحت يديها على أي شيء يختص بهذه الإشارة - على أهميتها - أيضاً ، ويمكن القول : إن بعض الناس يظن أن الباطل ينقلب حقاََ مع الزمان ؛ وذلك لتغير المفاهيم والتصورات من وقت

(1) انظر: دويري ، مروان، المزيد عن التعامل مع مشاكل أولادنا ، (ص 92)، مطبعة البطوف ، عرابية ، 1998م .

إلى وقت ، أو للجهل بالحق حتى يصبح الباطل هو المعروف المشهور ، والحق هو المنكر الغريب ، أو لغير ذلك ، وقوم إبراهيم U - لرؤيتهم آباءهم على الشرك ، ولطول عهدهم بهذا الموضوع - ربما ظنوا أن الباطل قد صار حقاً ، وأن الحق قد انقلب باطلاً ؛ ولذلك لما سألهم إبراهيم U عن عبادتهم ، فقالوا ﴿وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَفَالًا يُعَلِّمُونَ﴾ [الشعراء : 74] ، واستدلوا بعمل الآباء الأقدمين على صحة ما هم فيه ، بين لهم U أن هذا الظن لا يمكن أن يكون صحيحاً ، فالحق حق ، والباطل باطل - وإن تقادم الزمن ، فقال : ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ ﴿75﴾ أَأَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿76﴾ فَإِنَّكُمْ تَخْذُلُونَ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء : 75-77] .

* ثامنا : قد يبلغ التعريض في النصيحة ما لا يبلغه التصريح :

في إشارة إلى النصائح التي يتبع أصحابها الحكمة بأشكالها المختلفة وبيان الفائدة المرجوة منها ، قيل : " إن النصائح التي لا تكون الغاية فيها الملامة السيئة المرة ، بل الإرشاد إلى مستقبل حسن تُبعث غالبا من شعور أرقى وأسمى ، وتأتي بالنتائج الصالحة إذا أنارتها الحكمة " ⁽¹⁾ . فنصائح غايتها الإرشاد لا اللوم ، وعن طريق الحكمة والموعظة الحسنة - ومنها التعريض في النصيحة - تصل إلى أفضل النتائج ، ويصل المرابي فيها إلى أرقى وأسمى شعور .

والتعريض في النصيحة يُعد من أهم الأساليب التربوية لتصحيح السلوك ؛ وذلك لأسباب ، منها أنه :

1. يعطي المرابي الفرصة لمراجعة سلوكه وتصحيح أخطائه .
2. يصحح أخطاء تربوية موجودة في أطفال آخرين .
3. يحفظ شخصيته عند إخوانه وأصحابه ، ولا يقلل من شأنه عندهم ؛ وبذلك لا يصاب بالإحباط الذي يترتب عليه العقد النفسانية .
4. وبالتعريض تزيد روابط الثقة والمحبة بين المرابي والمرابي ؛ لأن معالجة أخطائه دون فضحه أمام إخوته أو أقرانه يجعله يشعر بالطمأنينة والاستعداد النفسي والفكري لتصحيح هذه الأخطاء ⁽²⁾ .

على أن التعريض لا يصلح إلا للبيب الذي يفهم بالإشارة ، أما إذا كان المرابي قليل الفهم والإحساس ، فليق المرابي يضطر إلى مصارحته ، وللتصريح عندئذ درجات ، ففي أول الأمر ينهاه سرا ، فليق لم ينته نهاه جهرا ، ويغلف القول إذا اقتضاه الحال ، فليق لم ينته فلا بلس حينئذ بطرده والإعراض عنه إلى أن يرجع ⁽³⁾ .

(1) توما، فيلكس، التربية في العائلة - زلات الوالدين، (ص64)، مؤسسة عز الدين، بيروت، ط(1)، 1986 م.
(2) انظر: ديماس، كيف تغير سلوك طفلك، (ص ص 44-45)، والشاش، موسوعة التربية العملية للطفل، (ص ص 348 - 349).
(3) انظر: شهلا، وزميلي، الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية، (ص ص 196-197).

وإبراهيم U في تعريضه بالنصيحة وقوله عن الأصنام : ﴿إِنَّهُمْ حَدَوْنِي﴾ ، ولم يقل عدو لكم أعطى القوم فرصة للتأمل والنظر لمراجعة أنفسهم وتصحيح أخطائهم ، وبهذا حفظ لهم مكانتهم وشخصياتهم بعضهم أمام بعض ، ولم يقل من شأنهم ، وكان يمكن أن يؤدي هذا التعريض إلى زيادة روابط الثقة والمحبة بينه وبينهم ؛ لأنه عالج أخطاءهم دون فضحهم ، ما يجعلهم يشعرون بالطمأنينة ، ويمكن أن يولد لديهم الاستعداد النفساني والفكري لتصحيح هذه الأخطاء ، ولكن شيئاً من هذا لم يحصل ، وهذا له دلالة واحدة ، وهي أن هؤلاء القوم طُبع على قلوبهم ، فلم ينتفعوا بشيء مما نصحهم به إبراهيم U ، مع استعماله الأساليب الصحيحة والمنطق عليها حتى بين خبراء التربية .

ويؤكد هذا أيضا على أن القوم كانوا قليلي الفهم والإحساس ، فلم ينفعهم التعريض ، ما اقتضى الإغلاظ لهم والإعراض عنهم - فيما بعد .

* تاسعا : حسن الأدب مع الخالق : بإضافة الخير المحض إليه ، والتواضع وهضم النفس :

مر الكلام عن مثل هذه الإشارة في مبحث سابق ⁽¹⁾ . ويمكن إضافة بعض الأمور المختصة بحسن الأدب مع الخالق في دعوة إبراهيم U قومه ، فأدبه مع ربه ظهر جلياً واضحاً في قوله لهم وقد وصف لهم ربه سبحانه : ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهوَ يَهْدِينِ﴾ (78) ﴿وَالَّذِي هُوَ يُعِيمُنِي وَيَسْقِينِي﴾ (79) ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي﴾ (80) ﴿وَالَّذِي يُعِيمُنِي ثُمَّ يُخِينِي﴾ [الشعراء : 78-81] ، فهو قد نسب أمر الخلق والهداية والإطعام والسقاية والموت والحياة إلى الله تعالى ، فهو فاعلها ومُرِيدها حقيقة ، ونسب المرض إلى نفسه ، تأديبا مع الله - جل في علاه ؛ فإنه وإن كان I هو المسبب له حقيقة ، فإن كل إنسان قد يكون له يد في مرضه ؛ وذلك بتقصيره في اتباع قواعد الصحة العامة ، ما يعرضه للمرض ، إذن إبراهيم U لم يرضَ لنفسه إن ينسب المرض إلى ربه ، وإن كانت النسبة صحيحة ، مبالغة في التأدب مع ربه Y بإضافة الخير المحض إليه .

أما أدبه مع ربه Y الذي ظهر بالتواضع وهضم النفس فهو في قوله : ﴿وَالَّذِي أَلْمَعَ أَنَّ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ (82) ﴿رَبِّ سَبِّ لِي حُكْمًا وَالْإِحْسَنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [الشعراء : 82-83] ، وفيه أنه أظهر طمعه بغفران ربه له ، ولم يجزم ، وهذا من تواضعه وهضمه نفسه ، واعتبر أن له خطيئة ، وهو يدعو ربه أن يغفرها له ، ثم يطلب من ربه I أن يلحقه بالصالحين ، ومنزلته أعلى من منزلة الصالحين ، ثم ظهر التواضع أيضا في قوله U : ﴿وَلَا تُخْزِينِي يَوْمَ يُنْعَمُونَ﴾ [الشعراء : 87] ، فهو يخاف الخزي يوم القيامة ، فيطلب من ربه I أن يبعده عنه .

* عاشرا : العلم أشرف من العمل ومقدم عليه :

(1) انظر: (ص 113) .

مما لا شك فيه أن الطريق المستقيم لا يُتوصل إليه بغير العلم ، وأن العلم مقدم على كل عمل (1)، وهذا ما عرفه إبراهيم U قبل آلاف السنين ، فدعا ربه أن يهب له حكماً ، قبل أن يدعو أن يلحقه بالصالحين ، أي أنه دعا أن يؤتى العلم قبل أن يؤتى العمل ، وفي علم التربية يُطلب من المربين تقليل الأوامر والنواهي ؛ فالتعليم يأتي قبل التوجيه أو التوبيخ ، وقد دلت الدراسات أن هنالك ما يقارب من (2000) أمر أو نهى يتوجه للطفل يومياً ؛ لذا فعلى المربين أن يقللوا من التحذيرات ، ومن التوجيهات ، ومن الممنوعات ، ومن التوبيخ التلقائي ، فللطفل ليس آلة يبرونها حسب ما يريدون (2).

* حادي عشر : لا إشكالية في حب الثناء :

الإنسان - كبيراً كان أو صغيراً - مفطور على حب الثناء ، ولا إشكالية في ذلك ، ولأهمية الثناء من المفيد تربوياً التركيز على جوانب يُبحث فيها عن فرص للثناء على الأطفال ، منها :

1. الأشياء التي يفعلونها على نحو جيد في الأحوال العادية .
2. التحسن الذي يطرأ على سلوكهم .
3. المحاولات الإيجابية لتعلم مهارات جديدة (3).

مثل هذه الأمور يكون الوضع مناسباً والفرصة مواتية للثناء على الأطفال ، ومن ثمَّ الحصول على آثار إيجابية تؤثر على شخصية الطفل .

وفي دعاء إبراهيم U : ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ حَقٍّ فِي الْأَحْرِبِ﴾ طلب - على علو منزلته وعظم مكانته - الثناء الحسن الذي قد يكون بتخليد المكانة ، أو اجتماع الأمم عليه (4)، وهذا لا ينافي الصلاح ، ولا إشكالية فيه ، بل هو مما جُبِلَ عليه كل إنسان من حبِّ للثناء على أي عمل جيد قام به ، أو أي تحسن يطرأ على سلوكه .

* ثاني عشر: أهمية البساطة والوضوح والاحتياط في القول والترتيب فيه ، والدقة في عرض المبادئ وفي التعبير:

حتى تكون الإجابات على الأسئلة مناسبة للأطفال من الناحية التربوية فإنها يجب أن تتسم بأمر عديدة ، منها أن تكون :

(1) انظر: الديب، التربية على الحماس غير المتزن، (ص 57) .

(2) انظر: خطاب، الإبداع في تربية الطفل، (ص 28) .

(3) انظر: بيرك، وهيرون، تربية الأطفال بالفطرة السليمة، (ص54) .

(4) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (112/13).

1. دقيقة علمياً ؛ فلا تحمل أفكاراً خاطئة أو خرافية .
2. بسيطة المفردات والتراكيب اللغوية حتى يُستطاع فهمها .
3. مناسبة للتفكير ، بعيدة عن الأفكار المجردة وتقديمها في صور وأمثلة محسوسة من البيئة .
4. مقنعة من خلال الحوار والمناقشة المبسطة.
5. غير متناقضة ؛ بمعنى ألا يقدم المرئي إجابة ثم ينقضها في وقت آخر ، بل إن قدم إجابة خاطئة ، فعليه أن يتدارك الخطأ بتصحيحه بشكل مقنع .
6. قصيرة ومحددة من دون الدخول في التفاصيل ؛ لكي تسد الطريق للدخول في أسئلة أخرى ، ولا يشتمل التفكير بالمعلومات الكثيرة المتداخلة⁽¹⁾ .

فالدقة في البند الأول ، والبساطة في الثاني والسادس ، والوضوح في الثالث والرابع ، والاحتياط في الخامس ، وهذه الأمور مجتمعة تدل على الترتيب في عرض الأفكار ، وهي أمور اجتمعت في كلام إبراهيم ﷺ ودعوته لقومه وإجاباته لهم . فقد كانت إجاباته وكلماته ﷺ دقيقة فلم تحمل أفكاراً خاطئة أو خرافية ، وكانت بسيطة المفردات والتراكيب محددة قصيرة يستطيع كل شخص أن يفهمها ، وكانت واضحة مناسبة لتفكيرهم مقنعة من خلال الحوار والمناقشة ، كل هذا يظهر في مجموعة الآيات التي دعا فيها إبراهيم ﷺ قومه ، ثم تمثل الاحتياط بأقواله لما تبرا من جميع ما يعبدونه ولم ينس أن يستثني رب العالمين I ممن يعبد ؛ فلعل بعض القوم أو آباءهم قد عبده - سبحانه - مع إشراك غيره ، فاحتاط كل الاحتياط في براءته . وأخيراً فإنه لا يستطيع الجمع بين هذه الأمور كلها إلا من كان مُرتباً في أفكاره ، مُدركاً لكل ما حوله من ملايسات .

* ثالث عشر : الدعاء عقب الانتهاء من أقدس الواجبات أرجى للقبول :

فائدة الدعاء التربوية مما قرره التربويون⁽²⁾، وتبقى الإشارة إلى أنه لا بدّ للمربي أن يستشعر أنه لا حول ولا قوة إلا بالله ، وأن الأسباب التي يأخذ بها في تربية الأولاد هي من فضل الله ، وتحتاج إلى توفيق ورحمة لكي تؤتي ثمارها، ولا أفضل من الدعاء في تذلل وخضوع ليحفظ الذرية ، ثم لا بدّ من الحرص على الأخذ بأسباب إجابة الدعاء : كتكرير الدعاء ، والإلحاح على الله بالطلب ، وتقديم الثناء على الله ، والاعتراف بالذنب والتقصير على النفس ، وأن يتحين وقتاً من أوقات الإجابة : كالسجود ، ودبر الصلاة ، وثالث الليل الآخر ، وبين الأذان والإقامة ، وفي الساعة الأخيرة من يوم الجمعة⁽³⁾.

(1) انظر: الشاش، موسوعة التربية العملية للطفل، (ص281)

(2) مر الكلام في هذا الموضوع، انظر: (ص71).

(3) انظر: عبد العظيم، الإشكالية المعاصرة في تربية الطفل المسلم، (ص65) .

وما قرره التروبيون هو نفسه منهج إبراهيم U في دعائه ، فقد اختار وقتاً من أشرف الأوقات للدعاء ، وهو عقب الانتهاء من واجب الدعوة إلى الله Y وإلى دينه ، فابتهل وتضرع وتذلل بين يدي مولاه لِمَا يعلم من شرف المقام ، دعا الله رجاءً لما عنده ، فأعطاه الله من أفضل ما أعطى خلقه ، واستحق هذا العطاء بما قدم بين يديه من عمل صالح .

* رابع عشر : مراتب الكمال لا حد لها :

هذه إشارة أخرى لم تعثر الباحثة على شيء يختص بها خلال عملية البحث ، وهي تجتهد فيها رأيها ، فنقول : عَرَفَ علماء المسلمين التريية بأنها : تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً (1) ، فهي محاولة للوصول إلى الكمال بالتدرج ، ولكن الكمال مراتب ، يسعى إليها ويصل إلى نهاية طريقها بعض الناس ، ولم يصلها أكثر الناس - وإن اجتهدوا ، فهي بالنسبة إلى هؤلاء الذين لم يصلوا كأنها لا حد لها ، والذين وصلوا هم الذين قال فيهم رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا : أَسِيَةُ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ ، وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ) (2) . والذين وصلوا مرتبة الكمال من الرجال هم الأنبياء - عليهم السلام - ومنهم إبراهيم ، وهؤلاء ترقوا في مراتب الكمال - مرتبة مرتبة - من أول حياتهم إلى النهاية ، فما ماتوا حتى وصلوا ، وإبراهيم U حين دعا ربه : ﴿رَبِّ اجْعَلْ لِي حُكْمًا وَأَلْبَسْنِي إِسَاطِينًا﴾ كان نبياً ورسولاً ، وهذه أعلى مرتبة يصلها بشر ، ولكنها - أيضا - مراتب ، فكان سؤاله طلباً للزيادة من هذه المراتب التي لا حد لها - كما يراها . ثم إنه U سأل الذكر الحسن في الأمم من بعده ، فقال : ﴿وَأَجْعَلْ لِي لِمَانَ حَذَقٍ فِي الْأَحْرَبِينَ﴾ ، وهذا يتضمن سؤال الدوام ، والختم على الكمال .

* خامس عشر : سلامة القلب باعث الأعمال الصالحة الظاهرية :

مر الكلام على هذه سلامة القلب في هذه الرسالة (3) ، ويبقى التعليق على بعض آثار سلامة القلب على دعوة إبراهيم U قومه - كما ظهرت في النصوص ، فقد انطلق U في دعوته - بعدما حقق سلامة القلب - مُطْلَقًا لنفسه العنان ، فلم تقف أمامه أية قوة من قوى الأرض ، سار في دعوته وهو يأمل أن يعم الخير جميع الناس ، ولم يقابل الإساءة بإساءة ولا العدوان بعدوان ، بل ظل صابراً محتسباً على طريق الحق ، فما ضمه قلبه من أسرار ظهر على جوارحه بالأعمال ، وأعماله الصالحة دليل على صلاح قلبه وسلامته .

* سادس عشر : للأوليات في الفضائل رتبة مرغوب فيها تدعو إلى المنافسة:

(1) انظر: (صفحة ق) من الرسالة.
(2) أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، ح(3411)، ومسلم، فضائل الصحابة، ح(2431).
(3) انظر: (ص 55).

اعتاد البشر على التنافس ، ورغبوا فيه ، واعتبروا السابق إلى أمر هو المقدم فيهم ، وهو صاحب المكان الأول ، والرتبة العليا ، حتى قيل : "إن المنافسة جزء من الحياة ، فكل طفل يحتاج إلى معرفة الكيفية التي يتعامل بها مع الزملاء والأصدقاء المنافسين"⁽¹⁾ . وبما أنها جزء من الحياة فإنه لا يمكن الاستغناء عنها ، ولولاها لقعد الناس عن طلب المعالي ، ولرضوا بالراحة والكسل ؛ فبالتنافس تعمر الحياة وتزدهر الحضارات .

ولكن التنافس نوعان : محمود ومذموم ، والمحمود : هو الذي يكون فيه التنافس والتسابق في أمور الآخرة بأي نوع من أنواع العبادات ، والمذموم يكون في الدنيا ومن أجلها دون النظر إلى الآخرة أو اعتبارها ، أما التنافس الذي يحدث في أمور الدنيا من أجل نفع المسلمين ، مثل التنافس في الابتكارات العلمية ، أو إثراء الاقتصاد ، أو تدعيم القوة وغيره ، فذلك يعتبر من التنافس المحمود لتعلقه بالآخرة من وجه ، والمذموم هو التنافس الدنيوي البحت العاري عن التفكير في الآخرة وطرحها من اعتبار المتنافس⁽²⁾ .

ولو نظرنا إلى حال إبراهيم U في دعائه ربه I لعلنا أن تنافسه من النوع المحمود ، فهو يقدم نفسه في الدعاء ، ويطمع في مغفرة الله - جل في علاه ، ويطلب هبة الحكم ، واللاحق بالصالحين ، والذكر الحسن في الدنيا ، وورثة الجنة ، ثم يدعو بالمغفرة لأبيه ، ويطلب من الله I ألا يخزيه أمام الناس ، فهذا يظهر حبه في أن يكون هو الأول ، والسابق ، والمقدم في كل الأمور ، ولقد أجاب الله Y دعاءه فقدمه على كل البشر - إلا نبينا محمداً p ، فإنه المقدم في الدنيا والآخرة⁽³⁾ .

تبقى الإشارة إلى أن للمنافسة فوائد تربوية كثيرة ، منها :

1. أنها تزود الإنسان بالدافعية للعمل .
2. تزود الإنسان بالتحفيز اللازم لإكمال مهمة معينة .
3. تحث الإنسان على بذل قصارى الجهد⁽⁴⁾ .

* سابع عشر : تقديم الرزق على الأمر بالعبادة :

(1) انظر: ساليغان، كيف تقول "لا" وأنت تعنيها - مهارات لا غنى عنها للآباء، (ص233).
Sullivan , How to Say ' No' and MEAN It – Survival Skills For Parents
(2) انظر: الديب، محمد بن مصطفى، التربية على التنافس المذموم، (ص ص 9-10)، دار الرضا للنشر والتوزيع، مصر، ط (1)، 2006م
(3) ورد أن النبي p قال : (ويجاء بكم حفاة عراة غرلا ، ... فأقوم عن يمين الله عز وجل مقاما يغبطني فيه الأولون والآخرون ويشق لي نهر من الكوثر إلى حوضي) . أخرجه الحاكم في المستدرک ، كتاب التفسير ، ح(3385) ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، وعثمان بن عمير (أحد رواة الحديث) هو ابن اليقظان ا.هـ . قال الذهبي : لا والله ، فعثمان ضعفه الدارقطني والباقون ثقات .
(4) انظر: ساليغان، كيف تقول "لا" وأنت تعنيها - مهارات لا غنى عنها للآباء، (ص233).
Sullivan , How to Say ' No' and MEAN It – Survival Skills For Parents

دعا إبراهيم U قومه إلى الله Y ، وبأن من خلال دعوته أن الدعوة الدينية لا تنفصم عن الحياة ، فالمؤمن بالله يستطيع أن يمارس حياته العامة بشكل جيد - ولكن مع بعض الضوابط ، وفي نداء له وجهه إلى قومه قال :

﴿فَابْتَغُوا مِنْدَ اللَّهِ الرَّزْقَ وَالْخَيْرَ﴾ ، فقدم ابتغاء الرزق على العبادة . وفي التربية الحديثة يتم تشجيع الطلاب على اختيار أعمال مفيدة وذات قيمة تربوية يمارسونها ، ويفخرون بإتقانها ، وحول هذه الأعمال يمكن أن نتسير بقية الدروس ، كالأجابات الدينية والأخلاقية والحساب واللغة ... ، وفي ممارسة هذا العمل ينمو الشعور بالمسؤولية ، فلطفل الذي يبلغ سن الرشد دون أن يتعلم كيفية العمل الجاد المنتج يكون قد فشل في واحدة من أخطر المهام النمائية ، وعلى الرغم من أن الاستعداد للعمل واختيار الحرفة يتم في سن المراهقة إلا أن عادات الطفل في العمل مهمة بالنسبة لمستقبله وعمله المقبل⁽¹⁾.

واليوم يرى الكثير من الناس ممن يتعلمون ويدخلون الجامعات في سبيل إيجاد عمل أو منصب اجتماعي يُؤمّن لهم الرزق ، وهذا الهدف مشروع ، ولكن قصر التربية عليه يُضيّق من آفاقها ، ويحرم الإنسان من الرقي الخلفي والفكري والحضاري ، وقد يصبح عبداً لشهواته ، همه جمع المال ، والترف والرفاهية ؛ لذلك فالتربية الإسلامية وجّهت هذا الهدف ولم تقل بكتب هذه الغريزة - غريزة جمع المال ، وإنما نظمتها⁽²⁾ .

* ثامن عشر : الحث على الحياء :

يُعرّف الحياء بأنه " انقباض النفس عن فعل الرذائل والقبائح⁽³⁾ ، وارتفاعها عن الدنيا والصغائر⁽⁴⁾ ، فإذا عُرّي الإنسان منه وعطل عن التحلي به فلا تسل عما سيقترفه من رذائل ، ولا تعجب مما سيرتكبه من حماقات ؛ فقليل الحياء لا يأبه بدنو همته ، ولا يبالي بسفول قدره ، ولا يجد ما يبعثه للفضائل ، ولا ما يقصره من الرذائل⁽⁵⁾ .

والحياء ذو ثلاث شعب : حياء من الله ، وحياء من الناس ، وحياء المرء من نفسه . فأما الحياء من الله Y - وهو المقصود في هذا الباب - فيتمثل في استدامة مراقبته ، واستشعار جلاله وعظمته ، وتوقير أمره ، ونبذ كل أسباب البعد عنه ، فلا يجعل نظره متجهاً إلى رقابة البشر ، حريصاً على الإفلات من القيود كلما أمكنه ذلك ، وإنما يراقب

(1) انظر: أبشعيرة، خالد، التربية المهنية بين الفكر التربوي الإسلامي والفكر التربوي الحديث، (ص 132-133) دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2006م.
(2) انظر: النحلوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، (ص 123) .
(3) عرّف الراغب الأصفهاني الحياء بأنه: " انقباض النفس عن القبائح وتركه لذلك "، انظر: المفردات، (ص140).
(4) انظر: القادري، أحمد رشيد، وأبا شريح، شاهر ذيب، الفكر التربوي الإسلامي، (ص 147)، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، ط(1)، 2005م
(5) انظر: الحمد، سوء الخلق مظاهره- أسبابه- علاجه، (ص 36) .

مولاه ، ويعلم أنه لا يستحق من عمله شيء من الله ، وهو إن أفلت من عقابه في الدنيا فلن يفلت من عقاب الآخرة (1).

ولقد تضمنت دعوة إبراهيم ٥ قومه الحث على الحياء من الله - جل في علاه- فقال : **﴿وَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾** ، أي : ماذا تقولون له إذا لقيتموه ؟ بماذا تجيبونه إذا سألكم ماذا أجبت المرسلين ؟ كيف يكون حالكم وأنتم تعتبرونه أهون الناظرين إليكم ؟ ما ظنكم به ؟ ألا تستشعرون جلاله وعظمته ؟ ما لكم لا ترجون لله وقارا؟ إنكم إن أفلتتم من عقابه في الدنيا فلن تستطيعوا ذلك في الآخرة .

(1) انظر: طاهر، علوي عبد الله ، الأنموذج القيادي التربوي الإسلامي، (ص 237)، دار المسيرة، عمان، ط(1)، 2007م .

المبحث الثالث

رفض إبراهيم U مشاركة قومه وإعراضهم عزم على تكسير أصنامهم ، وبيئت الأمر في نفسه ، ثم انتظر اليوم الذي

يخرجون فيه من المعابد - يوم عيدهم - لينفذ عزمته ، فلما دعوه للمشاركة في مراسيم العيد رفض الدعوة ، وقدم لهم العذر ليتسنى له تنفيذ ما خطط له ، روى ابن أبي حاتم عن الحسن قال : "خرج قوم إبراهيم U إلى عيد لهم ، وأرادوا إبراهيم U على الخروج ، فاضطجع على ظهره " فقال إني سقيم " ، لا أستطيع الخروج ، وجعل ينظر إلى السماء ، فلما خرجوا أقبل على آلهتهم فكسرها "(1) ، قال الله Y مخبراً عن هذا الحدث في محكم تنزيله : ﴿ تَنْظُرْ كَظُلْمَةِ يَوْمِ النَّجْوِ ﴾ [88] ﴿ قَالِ إِنِّي سَمِيعَةٌ ﴾ [89] ﴿ قَوْلُوا عَمَّا كَذَبْتُمْ ﴾ [الصافات : 88 - 90] .

وقد ثبت أن رسول الله p قال : (لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ U إِلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ تَنْتَهِنُ مِنْهُنَّ فِي ذَاتِ اللَّهِ Y ، قَوْلُهُ : ﴿ إِنِّي سَمِيعَةٌ ﴾ [الصافات : 89] ، وَقَوْلُهُ : ﴿ قَوْلُوا عَمَّا كَذَبْتُمْ ﴾ [الأنبياء : 63] ، وَقَالَ بَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ وَسَارَةٌ ، إِذْ أَتَى عَلَى جَبَّارٍ مِنَ الْجَبَابِرَةِ ، فَقِيلَ لَهُ إِنَّ هَذَا هُنَا رَجُلًا مَعَهُ امْرَأَةٌ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَسَأَلَهُ عَنْهَا ، فَقَالَ : مَنْ هَذِهِ ؟ قَالَ : أُخْتِي ، فَأَتَى سَارَةَ ، قَالَ : يَا سَارَةُ لَيْسَ عَلَيَّ وَجْهَ الْأَرْضِ مُؤْمِنٌ غَيْرِي وَغَيْرِكَ ، وَإِنَّ هَذَا سَأَلَنِي فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّكَ أُخْتِي فَلَا تُكَذِّبِي ...)(2).

وقد تم تقسيم هذا المبحث إلى مطلبين ، الأول : استنباطات المفسرين للإشارات التربوية من الآيات الكريمة ، والثاني : آراء التربويين فيما توصل إليه المفسرون .

المطلب الأول : استنباطات المفسرين للإشارات التربوية من الآيات الكريمة :

استنبط العلماء من الآيات الكريمة مجموعة من الإشارات التربوية ، ومن ذلك أن الزمخشري بيّن الحالات التي يجوز فيها الكذب(3) ، ثم وضّح أن ما قام به إبراهيم U ليس كذباً ، وإنما ذكره تعريضاً ، فقال : " والصحيح : أن الكذب حرام إلا إذا عرّض وورّى ، والذي قاله إبراهيم U معارض من الكلام ، ولقد نوى به أن من في عنقه الموت

(1) ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، (3220/10) .
(2) أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، ح (3358)، ومسلم، كتاب الفضائل، ح (2371)، والترمذي، كتاب تفسير القرآن، ح (3166)، وأحمد، (403/2) ح (9230) .
(3) المراد بالحالات التي يجوز فيها الكذب هي: المكيدة في الحرب والثقة، وإرضاء الزوج، والصلح بين المتخاصمين والمتهاجرين، وهذا ما ورد في أحاديث مرفوعة إلى رسول الله p، منها: (رخص النبي p من الكذب في ثلاث: في الحرب، وفي الإصلاح بين الناس، وقول الرجل لامرأته. (و في رواية): وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها). قال الألباني في السلسلة الصحيحة : "أخرجه الإمام أحمد(404/6) ... وهذا إسناد على شرط الشيخين، ولم يخرجاه من هذا الوجه وإنما من وجه آخر " . انظر: (83/2).

سقيم⁽¹⁾ . والتورية : هي أن يريد الإنسان شيئاً فيظهر غيره ، ويستر خبره ، ولا يخبر عن قصده ، قال القرطبي :
" التورية : هي التعريض بالشيء والكتمان لغيره ... من غير تصريح وإيضاح"⁽²⁾.

وذكر الرازي أن إبراهيم U لما سمع كلماتهم المتفرقة نظر فيها كي يستخرج منها حيلة يقدر بها على إقامة عذر لنفسه في التخلف عنهم ، فلم يجد عذراً أحسن من قوله : ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ ، والمراد : أنه لا بدّ من أن أصير سقيماً ، كما تقول لمن رأيتَه على أوقات السفر: إنك مسافر⁽³⁾ . ويُؤخذ منها جواز اتخاذ الأعذار للتخلص من مواقف غير مرغوب فيها .

وقال ابن كثير : " ليس هذا من باب الكذب الحقيقي الذي يذم فاعله ، حاشا وكلا"⁽⁴⁾ ، وذلك في إشارة منه إلى أن من الكذب ما يذم فاعله ، ومنه ما لا يذم .

وعلى سيد قطب سبب قول إبراهيم U : ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ بأنه U كان لا طاقة له بالخروج للاحتفال بالعيد ، فإنما يخرج إليه طلاب اللذة والمتاع ، أخلياء القلوب من الهم والضيق ، وقلب إبراهيم U لم يكن في راحة ، ونفسه لم تكن في استرواح ؛ فإين الضيق يمرض ويسقم ذويه⁽⁵⁾ .

ومما نُكر في هذه الآية - ويستفاد منه من الناحية التربوية - قضية التخطيط في كسر إبراهيم U أصنام قومه⁽⁶⁾ ، فمتابعة أحداث القصة نجد أن إبراهيم U كان يخطط لكل خطوة يخطوها .

خلاصة الإشارات التربوية المستنبطة من كلام المفسرين :

- * لا مداهنة على حساب المبادئ .
- * الكذب يذم فاعله ، ويجوز لمقصد ديني شرعي ، ويُستغنى عنه بالتعريض والتورية .
- * جواز التحايل واتخاذ الأعذار إذا كان ذلك يحقق مصلحة راجحة .
- * الضيق يُمرض ويُسقم صاحبه .
- * أهمية التخطيط لأي عمل هادف .

(1) الزمخشري، الكشاف، (47/4) .
(2) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (5/4) .
(3) الرازي، مفاتيح الغيب، (149/26) .
(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (13/4) .
(5) انظر: قطب، في ظلال القرآن، (ص 60/7) .
(6) انظر: مكانسي، من أساليب التربية في القرآن الكريم، (ص285) .

المطلب الثاني : آراء التربويين في خلاصة الاستنباطات التربوية من الآيات :

* أولاً : لا مدهانة على حساب المبادئ :

تعني كلمة المدهانة المصانعة واللين ، وقيل : المدهانة إظهارُ خلاف ما يُضمر ، والإدهانُ الغش ، ودَهَن الرجلُ إذا نافق (1). وبالمدهانة يلقي الفاسق المعطن بفسقه فيؤلفه ، ولا ينكر عليه ولو بقلبه ، أو يرى منكراً ويقدر على دفعه ولم يدفعه حفظاً لجنب مرتكبه ، أو جانب غيره ، ويترك بعض ما هو عليه من أمر الدين مما لا يرضاه الناس مصانعة لهم (2).

ويوضح لنا كتاب (قوة المحادثة) (3) طريقة بناء علاقات قوية متينة ومستدامة عن طريق الثناء ، لا المدهانة ، ويبين أن المدهانة تعني الثناء على الآخر بما لا يستحق ، فهي الكذب ، والصدق يعني الصراحة والنأي عن أي ادعاءات وخداع . وباختصار فالفرق بين المدهانة والثناء هو أن المدهانة هي الثناء على المرء لشخصه لا لعمله ، أما الثناء فهو تهنئة المرء على عمله ، لا على شخصه (4).

ولما كانت المدهانة : هي إظهار الرضا بالمنكر ، وهي بلادة في النفس ، واستكانة للهوى (5)، لم يرض إبراهيم U أن يدهن قومه ولا أن يجاملهم ، فرفض مشاركتهم في عيدهم ، والمشاركة في العيد دليل الرضا عما هم فيه من المنكر ، وهي دليل البلادة والضعف في النفس ، والاستكانة والخضوع للأهواء ، وحاشاه U أن يتصف بهذه الصفات .

* ثانياً : الكذب يذم فاعله ، ويجوز لمقصد ديني شرعي ، ويستغنى عنه بالتعريض والتورية :

تعد ظاهرة الكذب - من الناحية التربوية - من أكثر الاضطرابات السلوكية خطورةً ، وهي إحدى مظاهر السلوك غير الاجتماعي والتي تنعكس آثارها السلبية على كل من الفرد والمجتمع ، وقد يتولد من هذا السلوك العديد من المشكلات التي لها علاقة بمصير الأفراد وحياتهم ومستقبلهم (6).

(1) انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، (4/434) ، مادة (دهن) .

(2) انظر: الحاشدي، فن الحوار، أصوله- آدابه- صفات المحاور، (ص 238) .

(3) كتاب يقدم الأساليب الموثوقة لاستخدام قوة المحادثة للسيطرة على سلوك الآخرين في مناسبات من المواقف العلمية والاجتماعية، ويوضح كيفية كسب الدعم والاحترام الكاملين من الآخرين، وكيفية إسكات الألسن الناقدة والتغلب على معارضة الآخرين للأفكار، وكيفية إلقاء خطبة ناجحة، وكيفية استخدام علم نفس كمحادثة لإقامة صداقات جديدة بسرعة مدهشة وبدء محادثة مع الغرباء، وتوظيف مهارات المحادثة في تسريع عملية التقدم العلمي، انظر:

http://www.furat.com/index.php?page=bookinfo&b_id=19205&PHPSESSID=6...526d8f9dac38ea2492ba1da

(4) انظر: فليبيت، قوة المحادثة - مفتاح النجاح مع الناس، (ص 34) .

Fleet , CONVERSATIONAL POWER- The Key to Success With People

(5) الحاشدي، فن الحوار، أصوله- آدابه- صفات المحاور، (ص 238) .

(6) انظر: الزغول، عماد عبد الرحيم، الاضطرابات الانفعالية والسلوكية لدى الأطفال، (ص 195)، دار الشروق، عمان، 2006م .

والكذب عند الأطفال دون سن المدرسة أحياناً يكون لرغبتهم الشديدة في الحصول على شيء ما ، ويلجأ الأطفال الأكبر سنّاً إلى الكذب لتجنب العقاب ، أو لإرضاء آبائهم ، أو لحل المشكلات المختلفة⁽¹⁾. وقد يكذب الطفل تحدياً لوالديه اللذين يعاقبانه بشدة ، فهو يكذب هرباً من العقاب أو قد يكذب عدواناً على أخيه الأصغر مثلاً ، لأنه يغار منه بسبب التفرقة في المعاملة بين الأخوة ، وقد يكذب مازحاً مع أصدقائه بغية الفكاهة ، وقد يكذب الطفل الذي يشعر بالنقص لكي يستدر عطف المحيطين به ...⁽²⁾ . ولا يبعد أن يكون الكذب عند الأطفال ناشئاً عن الخوف ، والغرض الأساسي منه حماية النفس⁽³⁾ .

ويمكن أن يرتبط سلوك الكذب بشكل عام بلسباب كثيرة ، منها :

- 1- الدفاع عن النفس وتجنب العقاب.
- 2- الإنكار والرفض للذكريات والخبرات المؤلمة.
- 3- التفاخر والمباهاة. (وهو الكذب الادعائي)
- 4- تعويض مشاعر النقص والدونية .
- 5- الغيرة والانتقام والحقد والعداء.
- 6- الشعور بالخوف وعدم الأمان. (وهو الكذب الدفاعي)
- 7- النمذجة والتقليد للآخرين .
- 8- المجاملة والمسايرة للآخرين ولا سيما الجماعة التي ينتمي لها.
- 9- تحقيق أهداف وغايات ومكاسب شخصية.
- 10- التخيل النفسي وعدم وضوح الواقع. (وهو الكذب الالتماسي)
- 11- عدم الثقة بالطفل وتصديقه من قبل الكبار ، فهذا يدفعه إلى الكذب كرد فعل معاكس لعدم الثقة به⁽⁴⁾.

ولو نظرنا في هذه الأسباب ، وتأملنا حال إبراهيم ﷺ لعرفنا أنه ما كذب - حقيقة - للدفاع عن النفس وتجنب العقاب ، ولا لإنكار الذكريات والخبرات المؤلمة ورفضها ، ولا للتفاخر والمباهاة ، ولا لتعويض مشاعر نقص ، ولا للغيرة ، ولا للانتقام ، ولا للحقد ، ولا للعداء ، ولا للشعور بالخوف وعدم الأمان ، ولا لتقليد الآخرين ، ولا لهجاملتهم ولمساييرتهم فيما هم عليه ، ولا لتحقيق أهداف شخصية ، ولا لعدم وضوح الواقع ، ولا لعدم ثقة به ، ... فهذه الأسباب لا يعرفها ، وما كانت لتخطر له على بال ، والذي دفع إبراهيم ﷺ للكذب هو طلب مصلحة قومه ومحاولته

(1) انظر: توبين، حلول عملية لمشكلات الآباء في تربية الأبناء، (ص ص 199 - 200)
TOBIN, THE PARENT'S PROBLEM SOLVER

(2) انظر: باشا، كيف تربي أبنائك في هذا الزمان، (ص117) .

(3) انظر: القوصري، أسس الصحة النفسية، (ص339).

(4) انظر: الزغول، الاضطرابات الانفعالية والسلوكية لدى الأطفال، ص (197)، وانظر: القوصري، أسس الصحة النفسية، (ص ص 350-341) .

إقناعهم ، فقد كان حريصاً على إيصال دعوته لهم بشتى الوسائل والأساليب ، فكانت خطته التي سلكها لتكسير الأصنام – وما صاحبها من كذب – إحدى هذه الأساليب . وعلى هذا فإن هذا الكذب من الكذب غير المذموم ، بل هو من الكذب الجائز شرعاً ؛ لما تضمنه من مصلحة شرعية . وعليه فالكلام الذي يذكره التربويون لعلاج مشكلة الكذب⁽¹⁾ لا ينطبق على حال إبراهيم U ؛ فإن العلاج يكون لمن يعاني من مشكلة الكذب ، وإبراهيم U كذب ثلاث كذبات ، ومع ذلك فلا يطلق عليه أنه كان كذاباً ولا أنه يعاني من مشكلة سلوكية .

* ثالثاً : جواز التحايل واتخاذ الأعداء والذرائع إذا كان ذلك يحقق مصلحة راجحة :

يقال : إن قدرتنا على تقديم الأعداء قدرة فطرية طبيعية ، فلسنا بحاجة لتعلم كيفية تقديم الأعداء ، فنحن نولد ولدينا المواد الخام اللازمة لإعداد أعداء تلقائية ، ومناسبة ، وبارعة ، وفورية ، وذلك جزء من فطرة الحماية الذاتية في المخ ، وهذا أمر لا علاقة له بوجود أفكار شريرة ، فإذا وُضع شخص في موقف قد تكون فيه الحقيقة مؤلمة ، فهنا يبدأ التفكير في تقديم عذر⁽²⁾.

هذا وقد ألفت كريستيانا آيزلر – ميرتس⁽³⁾ كتاباً فيه مخزون كبير من المعاذير التقليدية والحافلة بالخواطر ، من أجل أشد المواقف تعقيداً ، وفيه أمثلة كثيرة توضح كيف يتخلص المرء ببراعة من المشاكل ، ويتجنب أشراك التعثر والزلات ، تقول فيه : "من الخير للإنسان أن يستعمل الجواب اللطيف الذي لا حرج فيه ، والذي هو صحيح على نحو استثنائي ... فجوابه اللطيف يسمى بالعذر والذريعة ... أما أن يكذب المرء كذباً مباشراً – فلا ؛ إذ لا يجمل به ذلك ، فحبل الكذب قصير ، ومن يكذب مرة لا يُصدق بعدها"⁽⁴⁾.

-
- (1) يذكر علي القاسمي عدة نقاط لوقاية الطفل من الكذب ، وهي :
- يجب أن يُهيئ للطفل بيئة ومحيط مناسبان ؛ حتى لا يشعر أنه يحتاج للكذب.
 - يجب أن يتمتع الطفل بالاحترام الكافي والقبول في محيط العائلة .
 - يجب أن لا ينسى الأب بأنه قدوة بالنسبة للطفل ، فلا يكذب حتى مازحاً .
 - لا يُؤاخذ الطفل من أجل الهفوات الصغيرة والتوبيخ والمحاسبة باستمرار .
 - يُطلب من الطفل أن يكون شجاعاً وجريئاً بشكل دائم وأن يقول الحق بأي صورة من الصور .
 - إبعاد الطفل عن العوامل المؤثرة في إحساسه بالحقارة والعجز والخوف .
 - من خلال المعاملة الحسنة والمحبة، يجب أن يدرك الطفل أنه بغير الصدق لا يمكنه الوصول إلى هدفه .
 - يُبعد الطفل عن أجواء التربية السيئة، وبالأخص مرافقة أصدقاء السوء فإنه عامل مهم في فساد الطفل .
- انظر: الأسرة والمشاكل الأخلاقية للأطفال، (ص120) .
- (2) انظر: بليتش، جيمس إم، وموتشلر، ديفيد جي، دليل الخبراء الرسمي - أعطني نتائج لا أعذاراً، (ص 28) مكتبة جرير، ط(1)، 2006م.

Bleech , James M.& Mutchler. David G. Official Know-it-all Guide- Let,s get results Not excuses

(3) كريستيانا آيزلر – ميرتس: ولدت في براغ ، وهي تعمل مذيعة ، وتتولى إعداد النصوص والإشراف عليها في كل المؤسسات الإذاعية الألمانية الكبرى ، وتلقي محاضرات دورات في إدارة الحوار ولغة الفئات والإيماءات، وكذلك في فن تعبير الوجه. انظر :

<http://www.obeikanbookshops.com/more.php?product=6001108>

(4) آيزلر- ميرتس، كريستيانا، براعة التخلص من كل إحراج ، (ص ص6-7)، نقله إلى العربية: محمد جديد، مكتبة العبيكان (بالتعاقد مع mvg فارلغ- ألمانيا)، الرياض، ط(1)، 2005م .

Eisler-Mertz , Christiane , Perfekte Ausreden fur jede Gelegenheit

وتُعرّف الذريعة بأنها تعني: " أن يتخلص المرء من مسألة ، أو ذنبٍ يعلّق به ، أو سلوكٍ خاطئٍ ، وذلك في الحقيقة بطريقة لا يتعرض معها الطلاب للماع الساطع لخدش أو تلوث ، والذريعة تتضمن أيضا الفن الرفيع ، وتعني فن الصمت عن الرأي الخاص وإخفاء الموقف الخاص " (1).

فاتخاذ الأعدار وتقديمها شيء فطري ، والإنسان لديه المواد الخام اللازمة لإعداد أعذار تلقائية ، ومناسبة ، وبارعة ، وفورية ، وذلك كجزء من فطرة الحماية الذاتية - كما قيل ، والصمت عن الرأي الخاص وإخفاؤه فن كما ترى كريستيانا ، بل هو فن يُؤلف فيه ويُتعلّم ، فلا يُلام من استعمل هذا الأسلوب ، ولو كان الخليل إبراهيم - عليه أفضل صلاة وأتم تسليم ، فقد استعمل أسلوب التحايل على قومه ، واعتذر عن مشاركتهم الاحتفال في مراسم العيد بقوله : **﴿إِنِّي سَعِيدٌ﴾** ، ولم يظهر لهم رفضه الواضح الصريح في المشاركة ، وإن كان على قناعة تامة أنه لا يجوز له المشاركة في مثل هذه الأمر .

* رابعا : الضيق يمرض ويسقم صاحبه :

يُنصح في حالة الاختلاف مع رأي أو قرار شخص آخر بالهدوء ؛ فالشعور بالضيق لن يؤدي سوى إلى تطور الأمور إلى الأسوأ(2).

وقد يصل الأمر إلى القلق : وهو إحساس بترقب ، وخوف غير مريح ، يصحبه زيادة في نشاط الجهاز العصبي اللاإرادي والمغذي لكل الجسم : مثل الدورة الدموية والأوعية ، والقلب والمعدة والقولون والمصران ، وحتى الجلد والرئة والعيون ، فالقلق هو ترجمة لأعراض جسدية(3). ويعتبر القلق ظاهرة عامة لا تقتصر على المرضى النفسيين وحدهم ، وإنما تمر بكل الناس عندما يواجهون ظروفًا معينة ، وهو بمفهومه العلمي والاجتماعي المباشر صفةً ينفرد بها البشر ؛ ذلك أنها تتطلب خصائص نفسانية متطورة ، والعقل البشري بما له من وظائف الوعي والإدراك والتفكير والتمييز والتخيل والتذكر والتعلم والتبصر ، يُمكن صاحبه من خلق تصورات وتوقعات لأشياء لم تحدث بعد على أرض الواقع استنباطاً واستنتاجاً مما سبقها من مقدمات ، وبقدر ما تكون هذه التوقعات ذات أهمية في الحياة يكون الاهتمام بها والقلق في انتظارها ، ويزداد القلق لظهما ازدادت تلك الاحتمالات(4).

(1) آيزلر- ميرتس، براعة التخلص من كل إحراج، (ص46) .

Eisler-Mertz , Perfekte Ausreden fur jede Gelegenheit

(2) انظر: بيرك وهيرون، تربية الأطفال بالفطرة السليمة، (ص190).

BURKE, & HERRON, Common Sense PARENTING

(3) انظر: عبد المنان، عكاشة، دع القلق وعش سعيدا، (ص3)، دار الإسراء، عمان(ط1)، 1996م

(4) انظر: السباعي، زهير أحمد، وعبد الرحيم، شيخ إدريس ، القلق وكيف تتخلص منه، (ص 11)، دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت، ط(3) 1999م

قد تتطور الأمور حقيقة عندما يفقد المرء هدوءه فيصل الحال به إلى المرض والسقم أو - حتى القلق ، وإبراهيم U في هذا المشهد من القصة يبدو أنه كان يشعر بالضيق من حالة قومه ومن كفرهم، وما هم فيه من الزيغ والضلال ، فعبّر عما شعر به من الضيق بالسقم ، فقال : **إِنِّي سَقِيمٌ** ، وهذا على أحد التأويلات الواردة⁽¹⁾.

وإذا كان الذي حدث له U هو القلق ، فلقلق " ظاهرة عامة لا تقتصر على المرضى النفسيين وحدهم ، وإنما تمر بكل الناس عندما يواجهون ظروفًا معينة " ، وعقله بما له من وظائف الوعي والإدراك والتفكير والتمييز والتخيل والتذكر والتعلم والتبصر ، مكنه من خلق توقعات عن أمور مستقبلية قد تحدث - وخاصة أنه كان يخطط في هذه المرحلة لتحطيم الأصنام ، وهذا الأمر من الأهمية بمكان ، ما يجعل عقله وكل جسده مشغولاً بما ستكون عليه النتائج .

* خامسا : أهمية التخطيط⁽²⁾ لأي عمل هادف :

تساعد الخطة بشكل جازم في الوصول إلى الهدف ، وتؤلف الخطة من جملة من الأفعال ، وتنظم حسب الوقت وحسب الأهمية وفقا لتسلسل معين وضروري⁽³⁾ ، والخطة لا تكون لها أهمية إلا إذا جاءت نتيجة لعملية مصممة بعناية ، وفيما يتعلق بالنتائج فإن التنفيذ الجيد الدقيق لخطة غير مفهومة بشكل جيد يبدو تماما مثل التنفيذ السيئ لخطة مفهومة فهماً جيداً ؛ لذلك فإن من المهم التأكد أن الخطة معدة بشكل سليم ؛ لأن هذا وحده هو ما يزيد من احتمالات تنفيذها بشكل سليم أيضا⁽⁴⁾.

ويمكن تلخيص أهم الأمور الواردة في النقاط الآتية :

1. الخطة تساعد على الوصول للهدف .
2. تأتي الخطة نتيجة لعملية مصممة بعناية .
3. تؤلف الخطة من جملة من الأفعال .
4. التسلسل ضروري في تنفيذها .
5. التنفيذ الجيد الدقيق للخطة يأتي بالنتائج الجيدة .

(1) راجع كلام سيد قطب الوارد في هذا المبحث(ص 139).
(2) التخطيط : نشاط إنساني منظم ، شامل ومستمر لتحقيق الأهداف المحددة في إطار الإمكانيات المادية والبشرية . انظر :

<http://www.ishraf.gotevot.edu.sa/reading/ep.doc>

(3) انظر: راببورتس، هاينز، التدريب نحو النجاح - طريقك للوصول إلى أهدافك الشخصية والمهنية، (ص 77)، تعريب: سامر نصري، مكتبة العبيكان، ط(1)، 2004 م

Training Zum Erfolg

(4) بليتشر، وموتشر، دليل الخبراء الرسمي - أعطني نتائج لا أعذارا، (ص111).

Bleech & Mutchler , Official Know-it-all Guide- Let's get results Not excuses

وفي مجال التدريس - مثلاً - وهو مجال تربية وتعليم - فإن حاجة المعلم للخطة كحاجة المحامي إلى تخطيط وإعداد مرافعته أمام القضاء ، وحاجة المهندس إلى تخطيط مشروعاته . ويعد التخطيط نقطة البدء المنطقية للتدريس ، وتعني إجادته الكثير من المهارات ، ويمكن إبراز أهمية تخطيط التدريس في الأمور الآتية :

1. يجنب المعلم الإرباك ، وتمكنه من تنظيم عناصر الموقف التعليمي وتنظيم تعلم الطلبة.
2. يساعد المعلم على مواجهة المواقف التعليمية المحرجة بثقة عالية وروح معنوية ، وتجنبه الوقوع بمشاكل محرجة.
3. يمكن المعلم م من تحديد الأولويات في العمل.
4. يمكن المعلم من تحقيق الأهداف المنشودة وإعطاء الطلبة فرصة للوصول إليها.
5. يوجه جميع العناصر المؤثرة في المواقف التعليمية نحو الأهداف ⁽¹⁾المخطط لها⁽²⁾.

وقد قام إبراهيم U بالتخطيط لكسر الأصنام فأعد خطة ، وصممها بعناية ؛ لتساعده على الوصول إلى أهدافه ، ولتحقق له أفضل النتائج ، وكانت خطته مؤلفة من عدة أفعال متسلسلة : التفكير في الأمر ، العزيمة عليه ، رفض المشاركة في مراسم العيد ، تكسير الأصنام إلا الكبير منها ، محاجة قومه في بطلان ما هم عليه ، ثم لما قام بالتنفيذ الجيد كانت النتائج على نحو ما أراد ، فأقام الحجة عليهم حتى إنهم نكسوا رؤوسهم ، واعترفوا بجهلهم ، ولكن المكابرة حالت بينهم وبين الإيمان ، فقرروا إحراقه بالنيران .

المبحث الرابع

إعلان إبراهيم U البراءة من قومه

لما رأى إبراهيم U إعراض قومه عن منهج الله Y وتكذيبهم له تبرا من هم ، وقد ذكر الله تعالى ذلك في مواضع ، منها قوله جل شأنه : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿ 26 ﴾ إِنْ لَآ إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيُحْيِينِي ﴿ الزخرف : 26-27 ﴾ ، وقوله : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءٌ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ... ﴾ [المتحنة : 4] .

هذا وقد تم تقسيم هذا المبحث إلى مطلبين ، الأول : براءة إبراهيم U من قومه والإشارات التربوية المستفادة منها من كلام المفسرين ، والثاني : آراء التربويين فيما استنبطه المفسرون .

(1) يُعرّف الهدف التربوي : بأنه النتيجة النهائية لتعليم ناجح . انظر : أبا حويج ، مروان ، المناهج التربوية المعاصرة ، (ص 11) ، دار الثقافة ، عمان ، ط (1) ، 2006 م .

(2) الفتلاوي، سهيلة محسن كاظم، المدخل إلى التدريس، ص(192)، دار الشروق، الأردن، ط(1)، 2003 م.

المطلب الأول : براءة إبراهيم ﷺ من قومه والإشارات التربوية المستفادة منها من كلام المفسرين :

استنبط المفسرون عدة أمور تربوية من آيات سورة الزخرف منها : ما ذكره الرازي أن المقصود من الآية ذكر وجه آخر يدل على فساد القول بالتقليد ، وتقريره من وجهين ، الأول : أن الله تعالى بين أن إبراهيم ﷺ تبرا عن دين آبائه بناءً على الدليل . والثاني : في بيان أن ترك التقليد والرجوع إلى متابعة الدليل أولى في الدنيا والدين ، فإبراهيم ﷺ لما عدل عن طريقة أبيه إلى متابعة الدليل لا جرم جعل الله دينه ومذهبه باقياً في عقبه إلى يوم القيامة ، وأما أديان آبائه فقد اندرست وبطلت⁽¹⁾.

وبيّن ابن عاشور أن إبراهيم ﷺ قال قولاً صريحاً في ال تبرؤ من عبادة الأصنام ، ثم قال : " وَخُصَّ أَبُو إِبْرَاهِيمَ بِالذِّكْرِ قَبْلَ ذِكْرِ قَوْمِهِ وَمَا هُوَ إِلَّا وَاحِدٌ مِنْهُمْ اهْتِمَامًا بِذِكْرِهِ ؛ لِأَنَّ بَرَاءَةَ إِبْرَاهِيمَ مِمَّا يَعْبُدُ أَبُوهُ أَدْلُّ عَلَى تَجَنُّبِ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ بِحَيْثُ لَا يُسَامَحُ فِيهَا وَلَوْ كَانَ الَّذِي يَعْبُدُهَا أَقْرَبَ النَّاسِ إِلَى مَوْحَدِ اللَّهِ بِالْعِبَادَةِ مِثْلَ الْأَبِ"⁽²⁾.

ويمكن استخلاص الإشارات التربوية الآتية من الآيات كما يراها المفسرون :

- * فساد القول بالتقليد ، وأن ترك التقليد والرجوع إلى متابعة الدليل أولى في الدنيا والدين ، ولو جاز لكان لأفضل الأعلام .
- * جواز التصريح بالبراءة من الفعل السيئ المنكر ، ولا يُتسامح فيه ولو كان صاحبه أقرب الناس إلى المرءي .

أما قول الله تعالى : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ أَسْوَةَ حَسَنَةٍ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالْحَبِيبِ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لَقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَلْنَا رَبَّنَا وَبَدَلْنَا عِبَادَتَهُ وَالْبَغْيَاءِ أَجْمَعِ تَلْمِذُوا بِاللَّهِ وَحَدَّةٌ...﴾ [الممتحنة : 4] ، فقد استنبط منها المفسرون عدة أمور تربوية أخرى ، منها :

ما ذكره الألوسي من أن الآية جاءت ل تأكيد أمر الإنكار والتخطئة في موالات الكفار بقصة إبراهيم ﷺ ومن معه ؛ ليُعلم أن الحب في الله تعالى والبغض فيه سبحانه من أوثق عُرى الإيمان ، فلا ينبغي أن يغفل عنهما ، وأن الأسوة تطلق على أمرين :

- 1- الخصلة التي من حقها أن يؤتسى ويقتدى بها .
- 2- على نفس الشخص المؤتسى به⁽³⁾.

(1) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، (208/27). والبقاعي، نظم الدرر، (21/6).

(2) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (192/25).

(3) انظر: الألوسي، روح المعاني، (69 /28) .

ووضح ابن عاشور الفعل المقتدى به ، ثم ذكر ما قاموا به من ترك المصانعة من أجل المودة ، فقال : " فالمؤتسى به أنهم كاشفوا قومهم بالمنافرة ، وصرحوا لهم بالبغضاء لأجل كفرهم بالله ، ولم يصانعوهم ويغضوا عن كفرهم لاكتساب مودنتهم كما فعل المؤبّخ بهذه الآية"⁽¹⁾.

ويمكن أن يُستخلص من كلام المفسرين إشارات تربوية كثيرة ، منها :

- * أهمية القدوة وأنها تكون في الأشخاص والأفعال .
- * أهمية المحبة في الله تعالى والبغض فيه سبحانه من الناحية التربوية .
- * ترك المداهنة لاكتساب المودة .

المطلب الثاني : آراء التربويين في خلاصة استنباطات المفسرين من آيات البراءة في سورتي الزخرف والممتحنة :

* أولاً : فساد القول بالتقليد⁽²⁾ ، وأن ترك التقليد والرجوع إلى متابعة الدليل أولى في الدنيا والدين ، ولو جاز التقليد لكان للأفضل والأعلم .

مر الكلام عن التقليد ، ويمكن القول : إن المنهج التربوي الإسلامي يدعو العقل إلى الاستقلالية وترك التقليد ، بل وينعى على المقلدين تقليدهم حتى لو كان هذا التقليد للأباء والأجداد ، فإن التقليد غير لائق بالإنسان الذي كرمه الله تعالى بالعقل⁽³⁾.

إذن فغير لائق بالإنسان الذي كرمه الله تعالى بالعقل أن يقلد غيره ، فهذا يدل على أن ترك التقليد أولى في الدنيا ، والتقليد - إن جاز - لا يكون للأباء والأجداد وإنما يكون للأعلم والأفضل ، بغض النظر عن المسميات . وإبراهيم U تيراً من دين آبائه ، فلا هو قلدهم وسار على نهجهم ، ولا هو ترك طريقهم إلى طريق غيرهم ، وإنما سار مع الدليل ، فعبد الله Y وترك دين آبائه وأجداده ، ومن هنا فإن متابعة الدليل هي الأساس ، وهذا يدل على أن ترك التقليد أولى في الدين ، ثم إنه لو جاز التقليد لكان للأعلم والأفضل - وهو إبراهيم U ، فإما أن يُتبع الدليل ، وإما أن يُسار على نهج الخليل .

* ثانياً : جواز التصريح بالبراءة من الفعل السيئ المنكر ، ولا يُتسامح في هولو كان صاحبه أقرب الناس إلى المرئي .

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (144/28) .

(2) انظر: (ص ص 74 و 123) .

(3) انظر: محمود، سلسلة مفردات التربية الإسلامية- التربية الخلقية، (ص139) .

مر الكلام عن البراءة في مبحث سابق⁽¹⁾، وهنا لا بدّ من الإشارة إلى أن إبراهيم U أعلن البراءة من أبيه وقومه - وهم الأهل والعشيرة ، بل هم أقرب الناس ؛ وذلك لفعلهم السيئ الذي أصروا عليه ورفضوا تعديله ، وهو الشرك بالله . Y

* ثالثاً : أهمية القدوة ، وأنها تكون في الأشخاص والأفعال :

تعتبر القدوة من الناحية التربوية خير معلم للنشء الذي يكون في مستهل مرحلة نضجه النفساني والعقلاني ، فهو قابل للتأثر بالقدوة ، لدرجة كبيرة⁽²⁾. وقد مر سابقا الكلام عن القدوة ، وأن التربويين أطلقوا على التعليم بالقدوة عدة أسماء ، منها التعلم بالتمذجة (modeling) - كما مر ، ويمكن الإضافة هنا بأنهم صنفوا النمذجة إلى عدة أشكال ، هي :

- النمذجة الحية (live modeling) : ويقصد بها تقليد سلوك أنموذج واقعي يحدث أمام المتعلم .
- النمذجة المصورة (filmed modeling) : ويقصد بها تقليد لسلوك أنموذج مصور ، مثل النماذج المصورة في الأفلام وبرامج التلفزيون أو برامج الكرتون.
- النمذجة غير المقصودة ، ويقصد بها تقليد سلوك الآخرين ، أو المشاركة مع الآخرين في القيام بأعمال أو نشاطات قد لا يقتنع الفرد بالقيام بها.
- النمذجة المقصودة ، ويقصد بها تقليد سلوك الأنموذج عن رغبة مسبقة ؛ وذلك بهدف اكتساب أنواع جديدة من السلوك .
- النمذجة الفردية ، ويقصد بها تقليد سلوك الأنموذج الفردي حيث تقوم العلاقة هنا بين المقلد والمقلد (النموذج) على أسس فردية.
- النمذجة الجماعية : ويقصد بها تقليد سلوك الأنموذج من قبل مجموعة كبيرة من الناس⁽³⁾.

والقدوة كما تكون في الأشخاص ، تكون في أفعالهم ، بل إن أفعال النموذج القدوة هي خير للمقلد من أقواله ؛ فينبغي أن يبدأ بتهديب أخلاقه ليكون أهلاً لتهديب الآخرين ، فإذا خالفت الأقوال الأفعال فإنها تفقد أثرها في المقلد ، وقد يصل الحال إلى أن يكون لها عكس التأثير الذي توخاه ال نموذج ، فيكون مثله كمثل الطبيب الذي يتناول طعاماً ، وفي الوقت نفسه يزرع الناس عن تناول هذا الطعام بحجة أن فيه سُماً ناعماً ، فيسخر منه الناس ،

(1) انظر: (ص77) .

(2) انظر: محفوظ، التربية الإسلامية للطفل والمراهق، (ص 201) .

(3) انظر: الروسان، فاروق، تعديل وبناء السلوك الإنساني، (ص ص 134-135)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، (ط1)، 2000م .

ويتهمون في قوله ، ويزدادون حرصاً على ما نُهوا عنه ، ويقولون في أنفسهم : لولا أنه من أطيب الأطعمة وأشهاها وأنفعها لما استأثر به دون غيره ، فينقلب النهي إغراءً وتحريضاً⁽¹⁾.

والله تعالى قد جعل إبراهيم U قدوة ، فأمر المؤمنين بالافتداء به وبأفعاله ، ووجود أشخاص في عالم البشر كإبراهيم خير معلم لهم ، وفيه أكبر العون على أن يسلكوا طريقه ، فلقد كان من صنف النمذجة الحية لمن معه وآمن به ، وقد يُقصد تقليد سلوك ه عن رغبة مسبقة وذلك بهدف اكتساب أنواع جديدة من السلوك ، فيأخذ حكم النمذجة المقصودة ، وقد يقوم بتقليد سلوك مجموعة كبيرة من الناس ، فيصنف ضمن النمذجة الجماعية ، ولقد كان واضحاً في تطبيقه منهج الله Y ، فما راعه أن يجهر بكلمة الحق ، ولا بالبراءة من قومه لما عرضوا عن منهج الله سبحانه ، فقالها - واقتدى به من آمن معه - قالها كلمة صريحة قوية مدوية : **إِنَّمَا بُرَأْتُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَمَا بُرئَا بِكُمْ وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ** [المتحنة : 4]، فصارت هذه الكلمة منهجاً ينبغي أن يُتبع ويُقتدى به وبصاحبه في الحالات المشابهة .

* رابعا : أهمية المحبة في الله تعالى والبغض فيه سبحانه من الناحية التربوية :

حرصت التربية الإسلامية على تثبيت العقيدة في نفوس الأطفال منذ نعومة أظافرهم ، فحث الإسلام الآباء على تعليم أطفالهم حب الله سبحانه وتعالى ، ومعرفة النعم التي أنعمها الله على الإنسان ، ودعا المربون المسلمون إلى تذوق حلاوة الإيمان وتعميقه في النفوس⁽²⁾.

وهذا الحب أضافته التربية الإسلامية إلى محبة الأبوين ، وهو ينبوع ثري لا ينضب ، من ينابيع العاطفة الصادقة ، فهو الذي أنعم علينا ، وهو الذي يرحمنا في الشدائد ، وعندما نلجأ إليه وندعوه في المحن يكشف سوء ، وعلى أساس محبة الله يحب المؤمن كل من يشاركه في : الولاء لله ، ومحبة الله وطاعته ، والالتقياد لشريعته ، والاعتزاز بالسير تحت لوائه ، وهذا ما يسمى (الحب في الله) ، وله في النفس أثر عظيم وسعادة نفسانية⁽³⁾. وعلى النقيض من ذلك يكون الكلام عن البغض فيه سبحانه ، فعلى أساس محبة الله Y يحب المؤمن كل من يشاركه في الولاء لله ويبغض من لا يشاركه في الولاء والطاعة .

ومن براءة إبراهيم U من قومه نتعلم كيف يكون الحب لله Y من أوثق العرى ؛ فبه يثبت الإنسان على الدين ، فلا أنساب تجمع ، ولا مشاعر تتدفق إن لم تكن العلاقة قائمة على المبدأ ، فإما علاقة تربط من جميع الجهات ، وإما

(1) انظر: شهلا، وزميله، الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية، (ص ص 194- 196) .

(2) انظر: الخطيب ، وعيد، تربية الطفل في الإسلام، (ص 60) .

(3) النحلوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، (ص 182) .

براءة تقطع كل الصلات . والبراءة تكون نتيجة طبيعية للبغض في الله - سبحانه ، فأبي إنسان خالفك في مبادئك وشافقك عليها فإنه يستحق العدواة والبغضاء .

* خامساً : ترك المداهنة لاكتساب المودة :

مر الكلام على مثل هذه الإشارة ⁽¹⁾، ولكن يمكن الإضافة هنا - وحسب السياق في القصة - أن إبراهيم O لم يستطع - على الرغم من حلمه ورقته - مداهنة القوم والثناء عليهم بما ليس فيهم وما لا يستحقونه ، فترك هذا كله ، وأعلن عن براءته منهم ، وأكد أن هذه البراءة ستكون أبدية ما داموا على كفرهم ، فلن يتنازل حتى ولو كانت النتيجة خسران المودة بينه وبينهم ، كان صادقاً صريحاً بعيداً عن الخداع ، لم ينظر لقومه على أنهم الأهل والعشيرة ، وإنما نظر إلى كفرهم وتكذيبهم ، لم ينظر إلى أشخاصهم ، وإنما نظر إلى أعمالهم .

(1) انظر: (ص 141).

الفصل الثالث

دعوة إبراهيم ن الملك الظالم

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : أسلوب المناظرة

المبحث الثاني : نتائج المناظرة

الفصل الثالث

دعوة إبراهيم ن الملك الظالم

دعا إبراهيم ن أباه وقومه إلى الإسلام ، وعلى الرغم من إعراضهم عما دعاهم إليه إلا أنه لم ييأس ، فحاول توسيع دعوته لتشمل الملك نمرود⁽¹⁾ وهو - كما يقال - أول من وضع التاج على رأسه ، وتجبر في الأرض ، وادعى الربوبية⁽²⁾، كان بالموصل والناس يأتونه ، فإذا دخلوا عليه ، قال : من ريكم ؟ فيقولون: أنت⁽³⁾.

وقد قيل في سبب المناظرة التي جرت بينه وبين إبراهيم ن وذكرها الله Y في قوله : **إِنَّ إِلَهَ نَرٍ إِلَى اللَّهِ حَاجَةٌ** **إِبْرَاهِيمَ نِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُخَيِّرُ وَيُخَيَّبُ قَالَ أَنَا أُخَيِّرُ وَأُمِيرٌ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ** **اللَّهَ يَأْتِي بِالْحَمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْمُرْ بِمَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَخَسِمَ اللَّهُ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** [البقرة : 258] ، أنه أنكر أن يكون ثم إله غيره ، وما حمله على هذا الطغيان والكفر الغليظ والمعاندة الشديدة إلا تجبره ، وطول مدته في الملك ، فطلب من إبراهيم ن دليلاً على وجود الرب الذي يدعو إليه⁽⁴⁾.

وذكر الرازي أن العلماء اختلفوا في وقت هذه المحاجة ، فقيل : إنه عند كسر الأصنام قبل الإلقاء في النار ، وقيل : بعد إلقائه في النار⁽⁵⁾.

هذا وقد تم تقسيم هذا الفصل إلى مبحثين :

المبحث الأول : أسلوب المناظرة

المبحث الثاني : نتائج المناظرة

(1) ويقال: نمرود بضم النون وبالذال المعجمة. انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (3/ 283).
واسمه النمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح، وقيل: نمرود بن فالج بن عابر بن صالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح، وكان أحد ملوك الدنيا. انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، (1/ 172).
(2) البيهقي، معالم التنزيل، (226/1).
(3) الطبري، جامع البيان، (27/3).
(4) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (313/1).
(5) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، (24/7).

المبحث الأول

أسلوب المناظرة

وقف إبراهيم U بين يدي الملك يدعوهُ إلى الله I ؛ عله يجد عنده قبولا ، فضرب له مثلا محسوسا يدركه كل إنسان - محاولا فيه إقناعه ، فقال : ﴿رَبِّيَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ ، وهذا الدليل - على بساطته - كاف لكل ذي عقل لإثبات وجود الخالق I ووحدانيته ، فالذي يملك أرواح البشر ويحكمها ويتصرف فيها بالحياة والموت يستحق أن يُعبد ، وهذا أمر ما ادعاه أحد من الخلق لنفسه - إلا ما كان من نمرود ، حيث زاغ عن الهداية ، وحاد عن الجادة ، وردّ على كلام إبراهيم U بأنه هو أيضا يحيي ويميت ، فلما رأى إبراهيم U منه ذلك ضرب له مثلا آخر قصم فيه ظهره ، فما حار جوابا .

وسيكون الكلام عن أسلوب المناظرة عبر هذين المطلبين ، الأول : استنباطات المفسرين للإشارات التربوية في أسلوب المناظرة ، والمطلب الثاني : آراء التربويين فيما استخلصه المفسرون في هذا المجال .

المطلب الأول : استنباطات المفسرين للإشارات التربوية من أسلوب المناظرة :

ذكر القرطبي أن في هذه الآية ما يجل على إثبات المناظرة والمجادلة وإقامة الحجة ؛ لأنه لا يظهر الفرق بين الحق والباطل إلا بظهور حجة الحق ودحض حجة الباطل⁽¹⁾.

وبيّن الشوكاني كيف كان أسلوب إبراهيم U في المناظرة ، فذكر أن نمرود لما ردّ على الحجة الأولى لإبراهيم U - وهي الإحياء والإماتة - رداً فيه حماقة ومغالطة ، كانت الحجة الثانية - طلوع الشمس من المشرق - لا مجال للمكابرة فيها - مطلقا ، فقال : "فلو قال له - أي إبراهيم U : ربه الذي يخلق الحياة والموت في الأجساد ، فهل تقدر على ذلك ؟ لبهت الذي كفر باديء بدء وفي أول وهلة ، ولكنه انتقل معه إلى حجة أخرى تنفيساً لخناقه ، وإرسالاً لعنان المناظرة ، فقال : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالْحَمِي...﴾ ؛ لكون هذه الحجة لا تجري فيها المغالطة ، ولا يتيسر للكافر أن يخرج عنها بمخرج مكابرة ومشاعبة"⁽²⁾.

ويمكن تلخيص كلام المفسرين بالقول : إن في الآية ما يدل على جواز المناظرة والحوار الجدلي بهدف إقامة الحجة والإقناع .

(1) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (286/3).

(2) الشوكاني، فتح القدير، (1/ 277).

المطلب الثاني : آراء التربويين في ملخص كلام المفسرين :

*** جواز المناظرة والحوار الجدلي بهدف إقامة الحجة والإقناع :**

مر الكلام عن المناظرة والحوار في مبحث سابق⁽¹⁾، أما الكلام عن الإقناع فيأتي في المبحث اللاحق ، ومن الممكن هنا الإضافة على ما ذكر في الموضوع بأن هذا الحوار الوارد في آية هذا المبحث هو من الحوار الجدلي ، ويُعرّف بأنه حوار يجري فيه نقاش أو جدال غايته إثبات الحجة...⁽²⁾. وأهم مزاياه : أنه يربي العقل على التفكير الموضوعي الواقعي ، والارتقاء بالحجج من المشهود المحسوس إلى المطلوب المغيب⁽³⁾.

وإبراهيم U في مناظرته خصمه ظهرت لديه طلاقة في التعبير ، وتميّز بالجرأة في المواجهة ، مع أدب جمّ اتصف به ، فما كان يسعى لشهرة ، ولا لهوى ، ولا لانتصارٍ ، إنما كان يرجو إقناع الخصم ، وإحقاق الحق ، فكان يرتقي بالحجة من المحسوس إلى المغيب ببراعة فائقة ، استطاع بعدها أن يقطع حجة خصمه .

(1) راجع(ص 99) وما بعدها.
(2) انظر: النحلوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، (ص 224).
(3) نفسه، (ص 227) .

المبحث الثاني

نتائج المناظرة

كان من نتائج المناظرة التي جرت بين الخليل U وبين ملك زمانه ما ذكره الله - جل في علاه- أن الملك الظالم بُهت وتحير وما وجد جواباً ، وبذلك انتصر إبراهيم U بهذه المناظرة على الخاصة من قومه - كل ذلك بفضل الله وتوفيقه .

وقد قُسم هذا المبحث إلى مطلبين ، الأول : استنباطات المفسرين للأمور التربوية من النتيجة النهائية للمناظرة ، والثاني : فيما ذكره التربويون حول هذا الموضوع .

المطلب الأول : استنباطات المفسرين للأمور التربوية من النتيجة النهائية للمناظرة :

في نهاية المناظرة لم يُرد إبراهيم U أن يسترسل في جدل حول معنى الإحياء والإماتة مع رجلٍ يماري في تلك الحقيقة الهائلة ، عندئذٍ عدل عن هذه السنة الكونية الخفية ، إلى سنةٍ أخرى ظاهرةٍ مرئيةٍ ، وعدل عن طريقة العرض المجرد للسنة الكونية والصفة الإلهية في قوله : ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُخَيِّرُ وَيُخَيِّبُ﴾ إلى طريقة التحدي ، وطلب تغيير سنة الله لمن يُنكر ويتعنت ويجادل في الله Y ؛ ليريه أن الرب ليس حاكم قوم في ركن من الأرض ، إنما هو مُصَرَّف هذا الكون كله ، وهذا لا سبيل إلى سوء الفهم فيه ، ولا الجدل ولا المراء ، وكان التسليم أولى والإيمان أُجدر⁽¹⁾.

ويمكن استخلاص الإشارات التربوية الآتية :

* ضرورة فهم الطرف الآخر في المناظرة .

* الإقناع فن ينجح فيه من يتحلى بأدابه .

المطلب الثاني : آراء التربويين في الإشارات التربوية المستخلصة :

* أولاً : ضرورة فهم الطرف الآخر في المناظرة :

من المفيد جداً - في أي حوارٍ - فهم الطرف الآخر الذي يُحاول التوصل إلى إقناعه ، وتتم هذه المعرفة إما بشكل مسبق ، أو عن طريق استنتاج ذلك من تبادل الحديث وإعطائه الفرصة للكلام ، فعملية الفهم للطرف الآخر تحمل

(1) انظر: قطب، في ظلال القرآن، (436/1).

في طياتها الحصول على نقاط القوة والضعف الموجودة في الطرف الآخر والتي تخدم عملية الإقناع وتعمل على سرعته ، ويدخل في ذلك الأمور التي تتعلق بالجوانب التي يرغب في الحديث عنها ، وكذلك الأمور التي لا يرغب في الاستطراد فيها ، وأيضاً الاختصار ، بالإضافة إلى سرعة الإنجاز وغير ذلك . وكلما استطاع المناظر الوصول إلى مفاتيح الطرف الآخر ، سهّل ذلك مهمته وأسهم في نجاحها ، وكلما أساء فهمها أدى ذلك إلى عرقلة مهمته⁽¹⁾.

استنتج إبراهيم U من تجاذب أطراف الحديث بينه وبين الملك مفتاح شخصية الملك ، فقد فهم نقاط القوة والضعف عنده ، كما وأدرك الجوانب التي ينبغي الحديث عنها ، والأمور التي لا ينبغي الاستطراد فيها ، ما سهّل عليه النجاح في المهمة في أسرع وقت ، وكانت الدهشة والتحير هي مصير الملك الذي تجبر وتكبر وادعى الربوبية .

* ثانياً : الإقناع فن ينجح فيه من يتحلّى بأدابه :

يقال : إنه من الطبيعي أن ننظر إلى من يعارض أفكارنا على أنه ذلك المعارض الذي علينا أن نتغلب عليه بطريقة أو أخرى ، والصحيح أن ما نريده في الأصل هو إقناعه ودفعه إلى إن يغير رأيه ، لا إلى هزيمته وتحطيمه⁽²⁾.

والإقناع فن له أصولٌ وآدابٌ : فهو يرتكز على افتراض وجود رغبة حقيقية لدى أطرافه في الوصول إلى اتفاق ، وعلى الثقة المتبادلة بينهم والتي من متطلباتها : حسن النية ، والصدق ، والأمانة في التفاوض . ويعد من الأمور التي نتقافى وحسن النية قيامُ أيّ من المتفاوضين بالكذب على الطرف الآخر ، أو استغلال هفوته أو خطئه ، أو سوء فهمه لموضوع ما ، كما يقوض الثقة تصديه له بالهجوم دون استفزاز من جانبه ، أو حمل أي نزاع محملاً شخصياً . ومن المفترض أيضاً أن تسود جَوُّ المفاوضات روحُ التعاونِ والتفهمِ الكاملُ لموقف كلِّ طرف ، والتسليم بشرعية أن يرعى كل طرف مصالحه ، وأن تحتكم الأطراف المتفاوضة إلى المنطق والإقناع ، ودحض الحجة بالحجة⁽³⁾.

ولقد أتقن الخليل U هذا الفن أيّما إتقان ؛ فحاول إقناع خصمه ولديه رغبة حقيقية في الوصول إلى اتفاق ، مع حسن نية ، وصدق ، وأمانة ، فلا كَدَب ، ولا استغل هفوة ولا خطأ ، ولا سراء فهمه ، كما لم يتصدَّ لخصمه بالهجوم ، ولا حمل أي نزاع محملاً شخصياً ، وإنما كان متفهماً تماماً للطرف الآخر - مع مراعاة مصلحته ، وهذا هو الطبيعي ، فبدأ بالمفاوضة وهمه الإقناع بالدعوة ، إلى أن حقق الله Y له ما أراد من النجاح في هذه المناظرة .

(1) انظر: الدروبي، فن التفاوض والإقناع، (ص134) .
(2) انظر: العريمي، أيمن، سلسلة البرمجة النفسية الذهنية - كيف تسيطر على انفعالات الآخرين وتطفئ لهيب غضبهم، (ص 58)، دار الأسرة، عمان، ط(1)، 2006م .
(3) انظر: الدروبي، فن التفاوض والإقناع، (ص9).

الفصل الرابع

نحن أحق بالشك من إبراهيم U

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : ليس الخبر كالمعاينة

المبحث الثاني : حاجة النفس البشرية إلى الطمأنينة

الفصل الرابع

نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ U

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ⁽¹⁾ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ P قَالَ : (نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ : [رَبِّ أَرِنِي تُخَيِّرَ الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِكَ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَى وَلَكِنَّ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي])⁽²⁾.

هذا الحديث الشريف يوضح لنا مغزى الآية الكريمة التي ذكرها الله Y عن إبراهيم الخليل U ، حيث قال : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي تُخَيِّرَ الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِكَ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَى وَلَكِنَّ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جَبْرًا ثُمَّ اخْضَعْهُمْ بِأَيْمَانِكَ صَعْبًا وَأَلْعَلْ أَنَّ اللَّهَ يُخَوِّدُ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة : 260] . فإبراهيم U طلب زيادة طمأنينة القلب لا عن شك لديه ، فلئن كنا نحن لا نشك في قدرة الله - جل في علاه ، فيستحيل الشك على من اصطفاه ربه وجعله إماما للناس . وقد قيل : " إن سبب مسألته ربه ذلك : المناظرة والمحاجة التي جرت بينه وبين نمرود في ذلك "⁽³⁾.

هذا وقد تم تقسيم هذا الفصل إلى مبحثين :

المبحث الأول : ليس الخبر كالمعاينة .

المبحث الثاني : حاجة النفس البشرية إلى الطمأنينة .

(1) أبو هريرة: صاحب رسول الله P قال: كان اسمي في الجاهلية عبد شمس فسميت في الإسلام عبد الرحمن، وإنما كنيته بأبي هريرة لأنني وجدت هرة فجعلتها في كمي فقيل لي: ما هذه؟ قلت هرة، قيل: فأنت أبو هريرة. أسلم عام خيبر. وشهدها مع رسول الله P، ثم لزمه وواظب عليه رغبة في العلم، راضياً بشيعة بطنه، فكانت يده مع يد رسول الله P وكان يدور معه حيث دار ، وكان من أحفظ أصحاب رسول الله P . انظر: (ابن عبد البر، الاستيعاب، (1768/4) و(ابن الأثير، أسد الغابة، (321 /5) و(الذهبي، سير أعلام النبلاء، (175/4) و(ابن حجر العسقلاني، الإصابة، (348/7).

(2) أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، ح(3372)، ومسلم، كتاب الإيمان ، ح (151). وقد قيل في معنى الشك الوارد في الحديث عدة أقوال، منها: إذا لم تشك نحن فإبراهيم U أولى أن لا يشك، أي لو كان الشك متطرفاً إلى الأنبياء لكنت أنا أحق به منهم، وقد علمتم أنني لم أشك فاعلموا أنه لم يشك. وقيل: أراد بقوله نحن أمته الذين يجوز عليهم الشك وأخرجه هو منه بدلالة العصمة. وقيل: معناه هذا الذي ترون أنه شك أنا أولى به لأنه ليس يشك إنما هو طلب لمزيد البيان. وأما الشك المصطلح وهو التوقف بين الأمرين من غير مزية لأحدهما على الآخر فهو منفي عن الخليل قطعاً ؛ لأنه يبعد وقوعه ممن رسخ الإيمان في قلبه فكيف بمن بلغ رتبة النبوة. انظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، (413-412/6).

(3) الطبري، جامع البيان، (49/3) .

المبحث الأول

ليس الخبر كالمعاينة

دعا إبراهيم U ربه وطلب منه أن يريه كيفية إحياء الموتى ، فهو قد آمن أن الله Y يحيي الموتى ، ولكنه أراد أن يعلم عياناً ما كان يعلمه خبراً ، وشتان شتان بين الخبر والمعاينة .

وقد تم الكلام في هذا المبحث ضمن مطلبين ، الأول : استنباطات المفسرين للإشارات التربوية من هذه الحادثة، والثاني : آراء التربويين في خلاصة أقوال المفسرين .

المطلب الأول : استنباطات المفسرين للإشارات التربوية من هذه الحادثة :

أكد المفسرون على عدة قضايا تربوية - مستفادة من الآية - وهي غاية في الأهمية ، أهمها :

أولاً : أن ما عُلم عياناً أفضل مما عُلم خبراً ، قال الطبري : "مسألة إبراهيم ربه أن يريه كيف يحيي الموتى كانت ليرى عياناً ما كان عنده من علم ذلك خبراً" (1). وقال الرازي : "طلب علماً ضرورياً يستقر القلب معه استقراراً لا يتخالجه شيء من الشكوك والشبهات" (2). وقال سيد قطب : "ولقد استجاب الله لهذا الشوق والتطلع في قلب إبراهيم ، ومنحه التجربة الذاتية المباشرة" (3).

ثانياً : أن الإنسان مجبول على حب الاستطلاع ومعرفة المجهول ، قال ابن الجوزي : "وطالب الشيء قلقاً إلى أن يظفر بطلبته" (4) وقال الشوكاني : "وإنما طلب المعاينة لما جُبلت عليه النفوس البشرية من رؤية ما أُخبرت عنه" (5) .. وقال الجزائري (6) : من هداية الآيات ، غريزة الإنسان في حب معرفة المجهول والتطلع إليه (7) .

(1) الطبري، جامع البيان، (49/3) .

(2) الرازي، مفاتيح الغيب، (43/7) .

(3) قطب، في ظلال القرآن، (442/1).

(4) ابن الجوزي، زاد المسير، (236/1) .

(5) الشوكاني، فتح القدير، (281 /1).

(6) الجزائري، أبو بكر جابر: الشيخ العالم المفسر الداعية المصلح، ولد في الجزائر عام 1921م، وفي بلدته نشأ وتلقى علومه الأولية، ارتحل مع أسرته إلى المدينة المنورة، وفي المسجد النبوي الشريف استأنف طريقه العلمي إلى أن خصص له كرسي للتدريس بالمسجد النبوي، للوعظ والإرشاد وبث الوعي في نفوس المسلمين، وظل على ذلك ما يقارب نصف قرن ولا يزال. وقد قام بتأليف عدد كبير من المؤلفات، منها: منهاج المسلم، وعقيدة المؤمن، وهذا الحبيب محمد .. يا محب. انظر:

http://www.islamway.com/?iw_s=Scholar&iw_a=info&scholar_id=37

<http://www.alhawali.com/index.cfm?method=home.showFahras&id=1001277&ftp=Alam>

(7) الجزائري، أبو بكر جابر، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، (253/1)، دار السلام، مصر، ط(4)، 1992م.

خلاصة الإشارات التربوية المستفادة من أقوال المفسرين :

- * إعطاء الفرصة للخبرة المباشرة والتجربة الذاتية ؛ فليس الخبر كالمعاينة .
- * غريزة الإنسان في حب معرفة المجهول والتطلع إليه ؛ فللفؤوس مجبولة على حب رؤية ما أُخبرت عنه .

المطلب الثاني : آراء التربويين في خلاصة أقوال المفسرين :

- * أولاً : إعطاء الفرصة للخبرة المباشرة والتجربة الذاتية ؛ فليس الخبر كالمعاينة:

تُعَرَّف الخبرة المباشرة بأنها : التي يمر بها الفرد بنفسه ، ويكون طرفاً أصيلاً بها (1). وهذه الخبرة لا تزال من أقوى الوسائل في التربية ؛ وذلك لأن المتعلم عن طريق الخبرة المباشرة يواجه الموقف من جميع نواحيه المعرفية والعملية (2) . وهي من قبيل الخبرة المرئية التي يتعلم منها الإنسان ويتأثر بها ، وبذلك تؤثر في ما يستقبله من خبرات ومواقف ، وتصبح بذلك من نسيج شخصيته ، وعاملاً أساسياً في توجيه هذه الشخصية ، ويكون من أثرها أن تنمو هذه الشخصية نمواً مطرداً يحقق نماءها وتحققها لقيمتها الأساسية في المجتمع الذي تعيش فيه (3).

وأما التجربة الذاتية فهي طريقة ووسيلة تربوية عملية تفيد في عدة أمور ، منها :

- 1- تثبيت الفكرة أو الأمر في النفس أو تأكيدها .
- 2- اختبار المرء في أمر ما ، للحكم على مقدرته.
- 3- تعويده على شيء يخافه ليطمئن قلبه ، فلا يخاف استعداداً لما قد يستجد .
- 4- التوصل لأمر جديد لم يكن موجوداً سابقاً (4).

وهذا يعني أن كل تجربة تخوضها تزودك بمعارف جديدة وتسهم في ارتقائك الشخصي (5).

وفي هذه القصة كان التجريب لتثبيت الفكرة في النفس، فأبراهيم ﷺ طلب من الله أن يريه سرا من أسرار الصنعة؛ ليحصل له من يقين المعاينة ما يستقر به قلبه ، فلا يخالجه شك ولا شبهة ، ويحصل له من الخبرة المباشرة ما يواجه به الموقف من جميع نواحيه المعرفية والعملية ، وتؤثر هذه الخبرة فيما يستقبله من مواقف ، فإذا كان السؤال

(1) الميلادي، أصول التربية، (ص 162) .
(2) انظر: مذكور، منهج التربية في التصور الإسلامي، (ص 481) .
(3) انظر: النجيجي، محمد لبيب، مقدمة في فلسفة التربية، (ص 60)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، (ط1)، 1992م.
(4) انظر: مكنسي، من أساليب التربية في القرآن الكريم، (ص 274).
(5) رايبورنس، التدريب نحو النجاح - طريقك للوصول إلى أهدافك الشخصية والمهنية، (ص 181) .

أثير في نفسه بسبب كلام نمرود : أنا أحيي وأميت ، فلن يثار مرة أخرى بعد هذه التجربة ؛ لأنه وصل بهذه التجربة إلى التمييز بين الفارق الكبير بين إحياء وإماتة الخالق Y ، وبين ما يدعيه المخلوق من إماتة وإحياء .

* ثانيا : غريزة الإنسان في حب معرفة المجهول والتطلع إليه ؛ فلنفس مجبولة على حب رؤية ما أخبرت عنه :

تُعرف غريزة حب الاستطلاع على أنها : محبة الإنسان لمعرفة غوامض الأمور ، أو حتى كل الأمور التي تدور حوله ، ما يرى ويسمع ، وهي تنبعث من الإنسان عندما يستظرف شيئا أو يأخذ العجب فيحاول إن يختبره ويستكشف كنهه (1). وهذه الغريزة هي الحافز الأساسي لطلب العلوم ، واكتساب الخبرات الجديدة ، ومتابعة الاكتشافات والاختراعات ، وهي التي تدفع الطفل إلى الفحص عن الأشياء التي تقع تحت نظره ، والتساؤل المتواصل عن حقيقة أمرها (2) ؛ ولهذا تجده يعمد إلى كسر اللعبة ليعرف ما بداخلها ، ويكثر السؤال عن المواقف التي تمر به ، بصورة قد تؤدي بوالديه إلى التضايق من ذلك . ومن المهم أن يفهم الهربون أهمية هذه التصرفات من الطفل فكيفها عن انتهاره أو زجره فضلاً عن عقوبته . كما أنه من المهم أن تُستثمر هذه الحاجة في تنمية التفكير لدى الطفل ، فحين يسأل الطفل عن لوحة السيارة - مثلا ، فبدلاً من الإجابة المباشرة التي قد لا يفهمها ، يمكن أن يسأله والده : لو أن صاحب سيارة صدم إنساناً وهرب كيف تتعرف الشرطة على سيارته ؟ الولد : من رقم السيارة ، الأب : إذن هذا يعني أنه لا بد أن يكون لكل سيارة رقم يختلف عن بقية السيارات . والآن حاول أن تجد سيارتين تعملان رقماً واحداً ، وبعد أن يقوم الولد بملاحظة عدة سيارات سيقول لوالده إن ما تقوله صحيح (3).

جُبلت نفس إبراهيم الخليل U كما جُبلت كل نفوس البشر ، فغريزة حب الاستطلاع دفعته إلى محبة معرفة هذا الأمر الغامض - أمر الإحياء ، فقد سمع بالأمر وما رآه ، حصل له العلم المجرد ، فأراد أن يستكشف الكنه ، ويتعرف على حقيقة الأمر ، فسأل ربه عن الكيفية ، فما أجابه ، وإنما أعطاه فرصة للتجربة الذاتية المباشرة ، التي حصل له منها ما أراد - وزيادة .

(1) انظر: ناصر، مقدمة في التربية، (ص45) .
(2) انظر: شهلا، وزميليه، الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية، (ص83) .
(3) انظر: خطاب، الإبداع في تربية الطفل، (ص316) .

المبحث الثاني

حاجة النفس البشرية إلى الطمأنينة

لما سأل إبراهيم U ربه Y رؤية إحياء الموتى ، سأله ربه - وهو أعلم به: ﴿أَوَلَمْ نُوْمِنْ؟﴾ فرد الخليل : ﴿بَلَىٰ وَآلَيْنَ لِیَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ ، فهو قد علم وآمن ، ولكنه يطلب ما فوق العلم وما فوق الإيمان ، يطلب الطمأنينة، والطمأنينة حاجة في النفس البشرية تحتاج إلى تلبية .

وقد فسّم هذا المبحث إلى مطلبين ، الأول : معنى الطمأنينة في كلام إبراهيم U ، الثاني : آراء التربويين في القول بحاجة النفس البشرية إلى الطمأنينة .

المطلب الأول : معنى الطمأنينة في كلام إبراهيم U :

قيل معنى ﴿الْیَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ : أي ليطمئن قلبي بقوة حجتي وبرهاني ، وإن عُذولي منها إلى غيرها - أي من حجة الإحياء والإماتة إلى حجة شروق الشمس - ما كان بسبب ضعف تلك الحجة، بل كان بسبب جهل المستمع (1). وقيل: "سألتك ليطمئن قلبي بحصول الفرق بين المعلوم برهانا والمعلوم عيانا. والطمأنينة اعتدال وسكون" (2) فيسكن القلب إذا رأى الشيء عيانا أكثر من سكونه إذا علمه برهانا . وقيل : " كان ينشد اطمئنان الأُس إلى رؤية يد الله تعمل ، واطمئنان التذوق للسر المحجب وهو يُجلى ويتكشف" (3).

المطلب الثاني : آراء التربويين في القول بحاجة النفس البشرية إلى الطمأنينة:

يحتاج المرء إلى الطمأنينة والأمن جسم انبأ ونفساً رايًا ، وتظهر هذه الحاجة جلية عند الولد في ميله الشديد إلى الاستعاذة بوالديه من الخطر والألم والبرد والجوع ، كما تظهر في حبه إلى الانضمام إلى جماعة من أبناء صفه أو من أفراد فرقته الرياضية ، كذلك فإن هذه الحاجة تبدو عند الكبير في حرصه على الانتماء إلى نقابة تحمي مصالحه وتدافع عن حقوقه ، أو من شركة تؤمّن حياته وتضمن عقاره ، أو حزب يدعم آراءه وبقيه شر الاندحار (4)

(1) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، (42/7) .

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (300/3).

(3) قطب، في ظلال القرآن، (442/1) .

(4) انظر: شهلا، وزميلي، الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية، (ص 239) .

وقد تتحقق هذه الحاجة عن طريق التدبير ، فبالثدين يحس الإنسان بالسند ، وهذا يعني الإحساس بالاطمئنان بحماية الخالق للإنسان في كافة مراحل نموه ، وفي جميع مواقف حياته ، وفي كافة أوقاته ، ويؤدي ذلك الإحساس إلى ثقة في الصدر ، ونور في القلب ، ويقين في الروح بأن الله معه⁽¹⁾.

وحاجة إبراهيم ٥ إلى الطمأنينة شابة بها البشر ، لكن البشر يكون ميلهم إلى الأقرباء ، كوالدين عند الطفل ، أو الجماعة إلى من هم أكبر سناً ، أو النقابة أو الشركة التي تحمي المصالح وتضمن الدعم للكبير منهم ، أما ميل إبراهيم ٥ فقد كان إلى ربه المتعال ، ربه الذي يرفع شؤونه ويحمي مصالحه ، ويجد عنده الدعم اللازم لكل المواقف ، فقد اعتاد على هذا الأمر ، فهو لا يلجأ إلا إليه ، فتلبي حاجته من الطمأنينة عنده ويسكن قلبه بين يديه ، ويحس بالسند والحماية وهو في رحابه ، في جميع أوقاته ، وكل مواقف حياته .

(1) انظر: داغستاني، التربية الدينية والاجتماعية للأطفال، (ص 25) .

الفصلُ الخامسُ

تحطيمُ الأصنامِ وما تَبِعَهُ مِنْ مَحَاكِمَةِ إِبْرَاهِيمَ ۝ وَنَجَاتِهِ مِنَ النَّيْرَانِ

وفيه مباحث خمسة :

المبحث الأول : العزيمة على تعذيب المنكر باليد

المبحث الثاني : قرار محاكمة إبراهيم ۝ على رؤوس الأشهاد

المبحث الثالث : انتصار إبراهيم ۝ بالحجة

المبحث الرابع : نجات إبراهيم ۝ من النار

المبحث الخامس : العزم على الهجرة

الفصل الخامس

تحطيم الأصنام وما تبعه من محاكمة ونجاة من النيران

الكلام في هذا الفصل عن المرحلة الأخيرة من حياة إبراهيم U في العراق - مسقط رأسه ، ليعلن بعدها عزمه على الهجرة إلى ربه ومولاه ، فلم يعد هناك حاجة لوجوده في الوطن ؛ فأهله قد تنكروا له ، وأعرضوا عن دعوته ، وقرروا تحريقه في النار - خاصة بعد أن حطم أصنامهم ، لولا أن تداركه الله Y برحمته ، وجعلها بردا وسلاما عليه .

مشاهد عديدة في هذا الفصل نجدها في الآيات الكريمة الآتية :

قوله تعالى : ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكْبِدَنَّ أَعْيُنَنَا عَنْ تَبَاعُدِهِمْ ... بِأَرْحُنَا بِهِمَا لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء : 57-71] .

وقوله : ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ ... إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [العنكبوت : 24-26] .

وقوله : ﴿فَدَاعَىٰ إِلَى الْمَيْمَةِ فَقَالَ أَلَا تَأْتَلُونَ ... وَقَالَ إِنِّي خَائِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَمِيعٌ﴾ [الصافات : 91-99] .

هذا وقد تم العمل في هذا الفصل ضمن مباحث خمسة :

المبحث الأول : العزيمة على تغيير المنكر باليد

المبحث الثاني : محاكمة إبراهيم U على رؤوس الأشهاد

المبحث الثالث : انتصار إبراهيم U بالحجة

المبحث الرابع : النجاة من النار

المبحث الخامس : العزم على الهجرة

المبحث الأول

العزيمة على تغيير المنكر باليد

نفذ صبر إبراهيم U فلم يُعذ هناك مجال للتحمل لديه ؛ فالكفر والضلال قد تعدى كل الحدود ، وأسلوب التغيير بالقول واللسان لم يُجد نفعاً ، فكان لا بدّ من طريقة أخرى - وهي التغيير بالفعل واليد ، وكانت العزيمة على تكسير الأصنام ؛ ليثبت لقومه أن الأصنام التي لا تملك لنفسها نفعاً ولا تدفع عن نفسها ضراً ، لا يمكن أن تنفع عابديها ولا أن تضرهم ، وبالتالي فهي لا تصلح للعبادة ، فقرّر إبراهيم U تكسير الأصنام ، وأكد قراره بالقسم ، ثم أتبع القول بالفعل ، قال الله Y مخبراً عن قوله وفعله : ﴿وَتَاللّٰهِ لَأَحْسِنَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾ ﴿57﴾ ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ جُنَاحًا إِلَىٰ حَبِيرًا لَّمْ يَلْعَلْنَاهُمْ إِلٰهًا يُزَيِّجُونَ﴾ [الأنبياء : 57-58] ، وقال في موضع آخر : ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ الْعَمَلِ مَنَاجِلَ فَجَالَ لَا تَأْكُلُونَ﴾ ﴿91﴾ ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ﴾ ﴿92﴾ ﴿فَرَاغَ عَلَيْنُهُمْ حَذَرًا بِالْيَمِينِ﴾ [الصافات : 91-93] .

هذا وقد تمّ تقسيم هذا المبحث إلى مطلبين : الأول : الإشارات التربوية المستخلصة من الآيات من كلام المفسرين ، والثاني : آراء التربويين في خلاصة أقوال المفسرين .

المطلب الأول : الإشارات التربوية المستخلصة من الآيات من كلام المفسرين :

* أما آيات سورة الأنبياء : فقد ذكر الرازي أن قوم إبراهيم U لما وهموا أنه يمازح بما خاطبهم به في أصنامهم ، أظهر U ما يعلمون به أنه مُجدّ في إظهار الحق الذي هو التوحيد ، وذلك بالقول أولاً وبالفعل ثانياً ، أما الطريقة القولية فهي قوله : ﴿يَلِ رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ...﴾ ، وأما الطريقة الفعلية فهي قوله : ﴿وَتَاللّٰهِ لَأَحْسِنَنَّ أَصْنَامَكُمْ...﴾⁽¹⁾ . ويؤخذ من هذا الكلام أن تغيير السلوك السيئ يكون بالقول أولاً ، ثم بالفعل ثانياً كما في دعوة إبراهيم U وتربيته لقومه .

وذكر الشوكاني أن المراد بقوله : ﴿لَأَحْسِنَنَّ﴾ الاجتهاد في كسر الأصنام⁽²⁾ . فالذي يريد إنجاز عمل ما ، لا بدّ له من الاجتهاد فيه ونبذ الكسل .

وفي قوله I : ﴿لَعَلَّكُمْ إِلٰهًا﴾ أي إلى إبراهيم ﴿يُزَيِّجُونَ﴾ فيحاجهم بما سيأتي فيحجهم ، وقيل : لعلمهم إلى الصنم الكبير يرجعون فيسألونه عن الكاسر ، لأن من شأن المعبود أن يرجع إليه في المهمات ، فإذا رجعوا إليه لم يجدوا

(1) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، (182/22) .

(2) انظر: الشوكاني، فتح القدير، (413 /3) .

عنده خبراً ، فيعلمون حينئذٍ أنها لا تجلب نفعاً ولا تدفع ضرراً ، ولا تعلم بخير ولا شر ، ولا تخبر عن الذي ينوبها من الأمر (1).

والذي يبدو - والله أعلم - أن إبراهيم U كان يريد الإفادة مما يُسمى بالتغذية الراجعة فيما قاله وخطط له .

وقال ابن عاشور تعقيماً على الآية : وهذا من عزمه U ؛ لأن المبادرة في تغيير المنكر مع كونه باليد مقام عزم ، وهو لا يتمكن من ذلك مع حضور عبدة الأصنام ، فلو حاول كسرهما بحضرتهم لكان عمله باطلاً ، والمقصود من تغيير المنكر : إزالته بقدر الإمكان ؛ ولذلك فإنزالته باليد لا تكون إلا مع المُكَنَّة (2). فالعزيمة القوية ، ثم اغتنام الوقت المناسب من أجل إتمام المهمات هما مما يستفاد من الآيات من الناحية التربوية .

* وأما آيات سورة الصافات : فقد فسر البقاعي كلمة ﴿وَالْعَمَلُ﴾ ، فقال : " ذهب في خفية برشاقة وخفة ، ونشاط وهمة " (3). وهذا يدل على أهمية النشاط في تنفيذ الأعمال .

خلاصة الإشارات التربوية المستنبطة من الآيات :

- * قد يكون تغيير السلوك السيئ بالقول أولاً ثم بالفعل ثانياً .
- * العزيمة القوية دليل الإيجابية .
- * اغتنام الوقت والحدث المناسبين من أجل إتمام المهمات .
- * أهمية النشاط والاجتهاد في تنفيذ الأعمال .
- * ضرورة الإفادة من التغذية الراجعة وتوظيفها في العملية التربوية المُخطط لها .

المطلب الثاني : آراء التربويين في خلاصة أقوال المفسرين :

* أولاً : تغيير السلوك السيئ يكون بالقول أولاً ثم بالفعل ثانياً (4) :

استعمل إبراهيم U أسلوب الكلام في دعوته أولاً، فبدأ باللين والرحمة مرارا وتكرارا ، وظهرت سمات الهدوء في شخصيته وكلامه ، ثم قام بإنكار السلوك السيئ باللسان ، وكرر الأمر مرة بعد مرة ، وبعدها لم يكن بد من استعمال أسلوب آخر مغاير ، وهو الاعتماد على الفعل الذي قد يحطم تصورات القوم واعتقادهم في أصنامهم ، فعزم على تكسير الأصنام ، وكان يرى أن هذا الأمر لا بد منه ؛ فهالة القداسة التي يظنها المشرك فيما أشرك به

(1) الشوكاني، فتح القدير، (3/ 413) .
(2) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (97/8) .
(3) البقاعي، نظم الدرر، (323/6).
(4) راجع: (ص127) .

قد تتحطم لو رأى هذا المُقَدَّسَ قد خَرَّ على وجهه ، ولم يستطع الدفع عن نفسه ، فضلاً عن سواه ، عندها قد يفكر هذا التابع للصنم في الفائدة المرجوة من مثل هذه التبعية، وقد يثوب إلى رشده إن أخذ الأمر على الجد ، دونما استجابة لشهوات النفس .

ويضاف إلى ذلك :

1. أن تغيير السلوك السيئ يحتاج إلى جهد ، والقول أقل مؤنة ، وأيسر منالاً من الفعل ، ولا يوجد عاقل ينتقل من السهل الميسور إلى الصعب المتعسر ، إلا إذا لم يُجِدِ القول نفعاً بعد استعماله مراراً ، فحينئذ ينتقل إلى الفعل .
2. أن البدء بالفعل قبل القول يحدث آثاراً سيئة تضر بالعملية التربوية ، فالمُرَبِّي إنسان ذو عقل ووجدان ، وهذان يخاطبان قبل اللجوء إلى الفعل مع الأعضاء والأبدان .
3. من البدهيات في هذا المقام أن المُرَبِّي إن بدأ بالفعل قبل القول فقد لا يفهم المُرَبِّي مراد المُرَبِّي وقصده ؛ فالأفعال كثيراً ما تكون صمّاء غير معبرة ، وأما الأقوال فهي مفصحة ناطقة .

* ثانياً : العزيمة القوية دليل الإيجابية :

تُعد صفة العزم تربوياً من أهم صفات الشخصية الناضجة المتوازنة المطمئنة القوية ، وتُعرّف بأنها صفة نفسانية تتجلى فيها قدرة الإنسان على مقاومة هواه إن أمره هذا الهوى بما يضره ⁽¹⁾. فالنضوج والتوازن والاطمئنان والقوة والقدرة على مقاومة الهوى ، كلها صفات تؤدي إلى أن يكون صاحبها ذا عزيمة قوية ، ومتصفاً بالإيجابية ، فهو يسير في طريقه بثبات دونما توقف أو تردد ، فلا تعيقه المعوقات ، ولا تصده الصعوبات .

والعزيمة من ناحية ثانية هي ثالث خطوة من خطوات الفعل الإرادي ، وأي فعل إرادي له أربع خطوات ، هي :

- 1) الشعور بالغرض من العمل شعوراً تاماً .
- 2) التروي : فلا يبدأ الإنسان في الحال بمجرد الشعور بالغرض من العمل في القيام به مباشرة ، بل ينتظر فترة بين الإقدام والإحجام ، أو في اختيار أي السبل لتنفيذ السلوك الإرادي .
- 3) العزم : فلا يستمر في التفكير أمداً بعيداً ، بل لا بدّ من الانتهاء إلى رأي معين يصمم على القيام به ولا يتراجع عنه ، ويعتبر العزم تنمة الفعل الإرادي من الناحية النفسانية .

(1) انظر: سلامة، فن تربية الأطفال، (ص 25) .

(4) التنفيذ : ويكون بقيام الأعضاء بتنفيذ ما استقر عليه العزم ، وسواء تم التنفيذ من الناحية العملية أو لم يتم فقد كمل العمل الإرادي بالنية⁽¹⁾.

فأياً فعل لا تتحقق فيه عزيمة لصاحبه فسيكون مجرد كلام - وربما لا قيمة له - فهو قد يشعر بأهمية عمل ما، ولكن لا يستطيع تنفيذ أية خطوة فيه ، فيبقى متردداً بين الإقدام والإحجام ، ويقطع عمره بالأمني ، فلا عزيمة ولا تصميم ، ولا شروع في التنفيذ .

وفي المجتمعات البشرية ليس هناك أمضى عزيمة من المؤمن بقدر الله ؛ فهو إذا ناقش الأمور ورجح بينها واستشار غيره ، واستخار ربه ، يمضي قدماً فيما عزم عليه ، دون توقف أو تردد أو خوف ؛ ليقينه بأن جميع الظروف والاحتمالات التي يمكن أن تكون غير واقعة في طاقتهم وحسابه ، هي مما وقع في علم الله وقدره ، وأن الله مؤيده ، فإذا يسر له ما عزم عليه فهو الخير المقدر له ، أو ليصرف الله عنه شراً كان محتملاً⁽²⁾.

وعوداً إلى قصة إبراهيم ؑ فعزمته القوية كانت دليل الإيجابية ، فقد سار في طريقه لتكسير الأصنام بعدما شعر بالعرض من وراء عمله ، ولا بد أن هذا الشعور أخذ وقتاً مناسباً للتفكير فيه ، ثم انتهى التفكير بالعزم على هذا الفعل ، وبهذا تكون نفسيته قد تهيأت تماماً للتنفيذ ، فلا تردد ولا خوف ولا نكوص بعد العزيمة ، ولا مجال للتراجع ؛ ليقينه بأن جميع الاحتمالات التي يمكن أن تكون غير واقعة في طاقته وحسابه هي مما وقع في علم الله وقدره ، وأن الله مؤيده وناصره وميسر له أمره ، فبدأ بتنفيذ خطته كما رسمها وخطط لها ، فكان التوفيق من الله في إتمام عمله على نحو ما أراد .

* ثالثاً : اغتنام الوقت والحدث المناسبين من أجل إتمام المهمات :

لكل زمن ظروفه ومقتضياته التي يجب أن تؤخذ في الحسبان ، وتوضع موضع التقييم ؛ لنرى الحالة والموقف الذي نحن فيه ، ولنفهم كيف ينبغي لنا أن نعيش ، وكيف يجب أن نربي⁽³⁾. ويستحسن أن يستغل المرابي الوقت المناسب لتوجيه الطفل ، ومراعاة ميوله واستعداداته للاستجابة ، ولا شك أن اختيار الموقف المناسب المؤثر في الطفل - وفي الوقت المناسب - يسهل ويقلل من جهد المعلم ، ويعمل على تحقيق الهدف التربوي بسرعة⁽⁴⁾.

(1) انظر: عبد الرحيم، عبد المجيد، علم النفس التربوي والتوافق الاجتماعي، (ص 159-160)، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، ط (2)، 1981م

(2) انظر: النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، (ص 101) .

(3) انظر: القانمي، الأسرة والطفل المشاكس ، (ص34) .

(4) انظر: الخطيب، وعيد، تربية الطفل في الإسلام، (ص123) .

ثم إن مما لا شك فيه أن من طرق التربية الفعالة هي التربية بالأحداث ، أي استغلال حدث معين لإعطاء توجيه أو تغيير أو سلوك معين ، وميزة هذا التوجيه وهذا التغيير في السلوك أنه يجيء في أعقاب حدث يهز النفس هزاً فتكون أكثر قابلية للتأثير ، ويكون التوجيه والتغيير في السلوك أفضل ، والعمق أطول أمداً من تلك التوجيهات والتغيرات العابرة التي تأتي بغير انفعال ولا حدث يهز المشاعر ، والمربي البارع لا يترك الأحداث - تلقائية كانت أم مخططة- تذهب سدى بغير عبرة توجّه في الاتجاه المرغوب⁽¹⁾.

ولقد كان إبراهيم ٧ بارعاً في استغلاله الأمثل للأوقات ، ومعرفته كيفية الاستفادة من الأحداث الجارية المخطط لها ، فعملية تحطيم الأصنام التي تمثل تغيير السلوك السيئ باليد كانت بعد ذهابهم إلى الاحتفال بالعيد ويُعدهم عن المكان ؛ فهو لا يتمكن من ذلك مع حضورهم ، ولو حاول ذلك بحضرتهم لكان عمله باطلاً ، وكونه في غيبتهم يهزم هزاً عنيفاً لرؤيتهم الحطام ، ولا يتحقق ذلك مع رؤية عملية التحطيم نفسها ، فربما قاوموه أو منعه من إتمام المهمة لو فعلها أمام أعينهم ، أما وقد حطمها بعيداً عنهم فالتأثير أقوى ، والتوجيه أفضل ، وعمق الأثر يكون أكبر ، مما يُسهل ويُقل كثيراً من جهده .

* رابعاً : أهمية النشاط والاجتهاد في تنفيذ الأعمال :

الاجتهاد : بذل المجهود أو الوسع في طلب المقصود ، وهو مطلب مهم ؛ والواجب أن يقضي المرء حياته كلها مجتهداً ، أي باذلاً لما يستطيع من مجهود وطاقه في سبيل الغاية ، متحملاً في ذلك أية مشقة وأية تضحية⁽²⁾.

وفي التربية الإسلامية المسلم مطالب بأن يُعدّ نفسه لأداء واجباته بجد واجتهاد ، متقرباً بذلك إلى الله تعالى ، ومتحيباً به إلى الناس ، ومسهماً به في بناء الحياة الإنسانية اللاتئة بتكريم الله تعالى للإنسان ، ولا يُعفى مسلم من هذا الواجب إلا أن يكون من أهل الأعذار⁽³⁾.

وبعيداً عن الكسل ، سار إبراهيم ٧ ، فلقد قضى حياته كلها مجتهداً في سبيل غايته ، وهي هداية الناس إلى الله ٧ ، ثم لما كانت العزيمة على تحطيم الأصنام ما غير منهجه ، بل مشى على الطريق نفسها ، بهمة عالية واجتهاد ، فلم يمش متكاسلاً مترهلاً ، لكنه سار بخفة ونشاط ، ولم يكتفِ بضربة واحدة ، ولا بتحطيم الرؤوس مثلاً ، أو بتحطيم جزء منها ، أو بضرب بعضها دون بعض ، لكنه أجهز عليها إجهازاً كاملاً تاماً ، وجعلها قطعاً صغيرة مُفْتَتَّةً مبعثرةً ، كما يُفهم من كلمة جذاذ⁽⁴⁾.

(1) انظر: مذكور، منهج التربية في التصور الإسلامي، (ص ص446-447).

(2) انظر: محمود، سلسلة مفردات التربية الإسلامية- التربية الخلقية، (ص 80).

(3) نفسه، (ص 80).

(4) الجذاذ في اللغة هو: من الجذّ وهو كسر الشيء الصُّلب، يقال: جَذَذْتُ الشيءَ كسرتهُ، وقَطَعْتُهُ، والجُذاذُ والجُذاذُ ما كسر منه، والجذُّ

* خامسا : ضرورة الإفادة من التغذية الراجعة وتوظيفها في العملية التربوية المُخطط لها:

لمفهوم التغذية الراجعة (Feed Back) تاريخ طويل في علم النفس التربوي ، إلا أن معظم البحوث أجريت ابتداءً من عام 1930م ، وأظهرت النتائج أن هذه المعرفة تؤثر في التعلم ، فبدونها يحدث قليل من التحسن ، وتقديمها يؤدي إلى مزيد من التحسن ، والتوقف عنها يؤدي إلى تدهور الأوضاع⁽¹⁾.

ولإتمام أية عملية اتصال هناك خمسة عناصر أساسية⁽²⁾، هي :

1. المرسل (Sender) : قد يكون شخصا كالمعلم أو عدداً من الأشخاص يوجهون رسالة، كما قد يكون نصاً مطبوعاً أو مؤسسة إعلامية أو إعلانية لمحطة بث ،(صوتية ، مرئية).
2. الرسالة (Message) : قد تكون فكرة أو مضموناً أو محتوى معيناً يتكون من معلومات ومعارف ومهارات واتجاهات.
3. قنوات الاتصال (Communication-channels) : إن الرسالة تنتقل عبر وسط معين ينقلها وقد يكون ذلك بوساطة الصوت العادي عبر الألفاظ والكلمات والجمل ، أو قد تكون بالكتب والمطبوعات والخرائط والرسوم والصور الثابتة والمتحركة.
4. المستقبل (Receiver) أو المرسل إليه: وهو الشخص الذي يستمع ويستقبل الرسالة وقد يكون فرداً يسمع أو يشاهد أو يقرأ ، أو يكون المبتلي جماعة أو جمهوراً من أفراد المجتمع يلتقطون الرسالة بطريق الحواس المختلفة ، ثم تنتقل بواسطة أجهزة خاصة إلى الدماغ لتحليل محتوى الرسالة وفهم محتوياتها وأهدافها ، ثم تحديد موقف الاستجابة.
5. التغذية الراجعة (Feed Back) : رد فعل المستقبل أو المرسل إليه من منطلق تأثره بمحتوى الرسالة ، ومن أمثلتها: الرضا والاستحسان ، أو الرفض والاستهجان ، أو إجابة صحيحة ، أو خاطئة على الأسئلة .

وقد تتأثر ردة فعل المستقبل أو المرسل إليه بمكانته الاجتماعية وخلفيته الفكرية وثقافته العامة وتوازن شخصيته وطبيعة مرحلة النمو التي يمر فيها، وحالته الصحية والنفوسانية والجسمانية.

وهذه العناصر الخمسة قد تحقق وجودها في كلام إبراهيم U ، فقد كان هو المرسل ، وجّه رسالة إلى قومه ، وهذه الرسالة حملت فكرة أو مضموناً معيناً ، وهو القَسَم على الكيد للأصنام ، أما قنوات الاتصال : فقد نُقلت كلماته

القَطْع المُستأصِلُ ، والجُذادُ المُقَطَّعُ ، والجُذادُ القطع المكسرة، ومنه فجعلهم جُذاداً: أي حُطاماً . (انظر: ابن منظور، لسان العرب، (217/2)، مادة: (جذذ) .

(1) انظر: أبو حطب، فؤاد، وصادق، آمال، علم النفس التربوي، (ص387)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط(2)، 1980م .

(2) انظر: الفتلاوي، المدخل إلى التدريس، (ص22) .

عبر الألفاظ بواسطة الصوت العادي ، والمستقبل للرسالة هم مجموعة ممن سمع كلامه ، التقطوا الرسالة بأذانهم ، ثم انتقلت إلى أدمغتهم فحللوا محتوى الرسالة ، وفهموا أهدافها ، ثم كانت التغذية الراجعة المرتدة ، وهي رد فعلهم ، وهذه ظهرت بعدما حطّم أصنامهم ، فتنكروا كلامه ووشوا به إلى كبرائهم ، وهذا دليل استهجانهم الأمر .

كان إبراهيم ٥ مدركا لهذه العناصر منذ زمن بعيد - وإن لم تُجرّ التجارب إلا في القرن الماضي ، وهو يرجو أن ينفذ خطته ويحقق هدفه من خلال هذه العملية .

المبحث الثاني

قرار محاكمة إبراهيم U على رؤوس الأشهاد

لما رأى قوم إبراهيم U ما حلّ بألتهيم من دمار بدأوا يبحثون عن الفاعل ، ويصفونه بالظلم على هذا العمل ، فوجدوا من سمع كلام إبراهيم U وهو يتوعدهم بهذا الفعل ، عندها قرروا إحضاره للمحاكمة على مرأى من الناس ؛ لينزجروا عن الإيمان به والسير على خطواته ، قال I : ﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِالْهَيْبَةِ إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿59﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يذُكُرُهُمْ يُعَالِلُهُمْ إِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿60﴾ قَالُوا مَا أَتَانَا بِهِ عَلَى الْحَيْثِ النَّاسِ أَعْلَمُهُمْ بِفَعْدُونِ ﴿[الأنبياء : 59-62] .

ويأتي الكلام في هذا المبحث ضمن مطلبين : الأول : استنباطات المفسرين للإشارات التربوية من الآيات ، والثاني، آراء التريبيين في خلاصة ما ذكره المفسرون .

المطلب الأول : استنباطات المفسرين للإشارات التربوية من الآيات :

ذكر القرطبي أن من معاني كلمة ﴿يَفْعَدُونَ﴾ : أي يشهدون عقابه ، فلا يُقدّم أحد على مثل ما أقدم عليه (1). وقال الشوكاني : "علمهم يحضرون عقابه حتى ينزجر غيره عن الاقتداء به في مثل هذا" (2). وهذا الكلام فيه إشارة أن بعض الناس يتخذون من العقاب أداة لزجر المعاقب ومن يشهد عقوبته .

وفي إشارة إلى وصف إبراهيم U بصفة الفتوة ، وأنها يمكن أن تكون للمدح ، قال ابن عاشور : "الفتى صفة مدح ، دالة على استكمال خصال الرجل المحمودة" (3).

خلاصة استنباطات المفسرين للإشارات التربوية :

* من صفات العقوبة المؤثرة أن تكون زاجرة .

* صفة الفتوة من الصفات المحمودة .

المطلب الثاني : آراء التريبيين في خلاصة ما ذكره المفسرون :

* أولاً : من صفات العقوبة المؤثرة أن تكون زاجرة :

(1) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (299/11) .

(2) الشوكاني، فتح القدير، (414/3).

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (99/17).

تتعدد أشكال العقاب وأنواعه ، فمنه : العقاب اللفظي ، والجسماني ، والاجتماعي ، والمادي ، والعزل ، والحرمان ، والغرامات المادية ، والمعنوية.. الخ ، وتعد هذه الأحداث المؤلمة أساليب ومظاهر للعقاب ، تعمل على تعديل السلوك وبناءه بطريقة إيجابية ، ولا ينكر أحد أهميته في الحياة اليومية ، وفي العديد من المواقف⁽¹⁾، لكن - وبصفة عامة يجب الامتناع تماما عن العقوبات القاسية المؤذية كالتحقير والضرب الجسدي العنيف ؛ لأنها تخلق ردود فعل سلبية⁽²⁾.

وقد يظن بعض الناس أن اللجوء إلى العقوبة القاسية تزجر صاحب السلوك السيئ فتمنعه منه ، وتزجر غيره عن الإقدام على مثل فعله ، وهذا قد يكون صحيحا في حالات كثيرة ، لكنه لا يمكن أن ينجح إذا كان صاحب السلوك على قناعة تامة أن سلوكه ليس سيئا ، ويعتبر أن ما يقوم به واجب مقدس ، وهذا ما يحصل في الكثير من المواقف في القديم والحديث ، فأصحاب المبادئ لا يتنازلون عنها مهما نزل بهم ، حتى لو قُطعوا إربا أو ألقوا في النيران ، بل قد ينضم إليهم الكثير ممن يُعجب بسلوكهم وثباتهم وإقدامهم ، دون خوف أو تردد ، وهذا ما حصل مع إبراهيم U ، فما كان له أن ينقلب على عَقْبِيهِ بعدما عرف الحق ، هددوه وتوعده فلم يُبال ، قرروا تحريقه فما استسلم ولا خضع ، ألقى في النار فزادته الفتنة إصراراً وثباتاً ، فما نجحت أساليبهم مع أنهم اختاروا أشد العقوبات التي يمكن أن تخطر على بال ، وقد حشدوا لها الجموع ، وشارك الجمع الكبير في إنجاحها ، لكنها أخفقت .

* ثانيا : صفة الفتوة من الصفات المحمودة :

الفتوة مرحلة من مراحل العمر، ولها ماهية الانتقال والتغيير ، ويسعى الفتى دوماً للانسجام معها ، فهي مرحلة خروج من عالم الطفولة والدخول إلى عالم الكبار وتقبل مسؤولية الزوجية والأبوة والأمومة . وقد وُصفت ماهية الفتوة بأنها ماهية بيولوجية صرفة ، بينما اعتبرها آخرون ماهية اجتماعية صرفة ، ولكن ظاهرة بهذه الأهمية لا يمكن تلخيصها في نظام بيولوجي أو سوسولوجي (اجتماعي) صرف ؛ لأن تصرفات الناشئ وسلوكه وإدراكه

(1) انظر: الروسان، فاروق، تعديل وبناء السلوك الإنساني، (ص 144)، دار الفكر، عمان، ط(1)، 2000م .

(2) انظر: كامل ، الأباء ومشاكل الأبناء في الميزان السيكولوجي بين الفهم والمواجهة، (ص 12) .

ومن الناحية التربوية فلعقوبة تترك آثارا جانبية عدة، منها:

- 1- العدوانية (Agression) نحو مصدر العقاب.
- 2- السلوك الهروبي والتجنبي (Escaping & Avoiding Behavior) وهذا ما يحدث في حالة المشاجرات الجماعية، أو الصفيّة، أو الأسرية إذ لا يعترف الفرد، أو الطفل بالسلوك غير المرغوب فيه، بل قد يهرب من كل الموقف أو يتجنبه.
- 3- الاضطرابات الانفعالية (Emotional Disturbance): وتتمثل في خفض الثقة بالذات أو احترام الذات أو تقديرها، أو الاضطرابات اللغوية: كالسرعة الزائدة في الكلام، أو التأتأة، أو تأخر ظهور اللغة واضطراباتهما.
- 4- الميل إلى تكرار ظهور العقاب: يعمل الآباء والمدرسون على تبني أسلوب العقاب كأسلوب فعال في تقليل السلوك غير المرغوب فيه ، وبالتالي إلى قلة استعمال أساليب أخرى من أساليب تعديل السلوك . (انظر: الروسان، تعديل وبناء السلوك الإنساني، (ص ص 148-149).

واستدلّاه وأمنيّاته ونشده الكمال وطلبه النمو ، وأهم منها طلبه الجانب المعنوي يعبر عن وجود ماهيات أخرى غير ما تُذكر (1).

وتتمثّل الفتوة في معناها المعنوي في مجموعة الخصال الحميدة ، التي تُكوّن في مجموعها شجرة الأخلاق بفروعها وثمارها ، مثل : الكرم ، والوفاء ، والعفة ، والأمانة ، والرحمة ، والزهد... ، هذا وقد وجدت الفتوة قبل الإسلام في صور فردية ، وجاء الإسلام مهذباً لهذه الفتوة الجاهلية ، فدعا إلى الخصال الحميدة والصفات الرشيدة ، والتي تُكوّن في مجموعها مكارم الأخلاق (2).

وفي قصة إبراهيم ٧ نجد أن الحق تبارك وتعالى أطلق على السنة عبدة الأصنام فتوة إبراهيم ٧ ، وتتجلى هذه الفتوة في أن إبراهيم ٧ قام في الله حق القيام ، وأنه باع نفسه في حق أحديّة خالق هـ ، وإذا عُلم أن إيواء الضيف وإكرامه من سمات الفتوة ، فقد كان خليل الله كريماً مضيافاً ، وقد شهد له الحق تعالى بهذه الصفة ، وفوق هذا فقد كان إبراهيم ٧ معلماً للخير ، وأنّه يجمع خير أمة بأكملها في العبادة ، والفضائل ، والآداب ، ثم إذا عُلم أن امتلاك النفس عند الغضب ، والسيطرة عليها وكبح جماحها تُعد من صفات الفتى ، فقد تحلى إبراهيم ٧ بذلك ، هذا بالإضافة إلى خصال أخرى حميدة كانت هي الأساس الذي استقى منه الفتيان فتوتهم ، منها : البكاء وكثرة التّأوه عند ذكر الذنوب ، والإقبال على الله بقلبه وكل جوارحه حتى يكون دوماً في طاعته سبحانه ،

وتتجلى فتوة إبراهيم ٧ أيضاً في امتثاله لأوامر الله عز وجل وتبليغ رسالته ، وتحمل الأهوال والصعاب في سبيل إعلاء كلمته ، إلى الحد الذي دفع أعداء الله أن يقذفوه في النار ، ولم يحاول إبراهيم أن يهرب من أعداء الله ، وانقأ أن الحق تبارك وتعالى الذي بعثه برسالته لن يخذله (3) .

(1) انظر: القائي ، علي ، عالم الفتوة - جولة في حياة الناشئين وأحوالهم ، ص(18)، دار النبلاء، بيروت، ط(1)، 2002.
(2) انظر: محمد، عبد العزيز، الفتوة في المفهوم الإسلامي - دراسة في الأخلاق الإسلامية، (ص ص 64 و 151)، دار الوفاء، الإسكندرية، ط(1)، 1999م
(3) انظر: نفسه ، (ص ص 55 - 57) .

المبحث الثالث

انتصار إبراهيم U بالحجة

بدأت محاكمة إبراهيم U على رؤوس الأشهاد ، فكان السؤال : ﴿الآنبياء فعلمت ههنا بالهتينا يا إبراهيم؟﴾ فأجاب بعزة وشموخ دونما خوف أو وجل : ﴿بل فعلة كبريتهم ههنا﴾، ورزى بقوله ، واستعمل المعارض ؛ أراد بذلك أن يتفكروا ، فيقيم عليهم الحجة ، وفي لحظة من الزمن حقق ما أراد ، ولكن سرعان ما انقلبوا على أعقابهم ، فما كان منه إلا أن وبخهم بعنف على سُخف ما هم فيه ، قال Y وهو يقص علينا هذا الحدث : ﴿قالوا الآنبياء فعلمت ههنا بالهتينا يا إبراهيم﴾ (62) ﴿قال بل فعلة كبريتهم ههنا فاسألوه إن كانوا ينطقون﴾ (63) ﴿فارجعوا إلى أنفسهم فقالتوا إنكم أنتم الطالمون﴾ (64) ﴿ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون﴾ (65) ﴿قال أتتخذون من دون الله ما لا ينفعهم ههنا ولا يضرهم﴾ (66) ﴿أهدأ لكم ولما تتخذون من دون الله آفلا تغفلون﴾ [الأنبياء : 62-67] ، وقال : ﴿فأقبلوا إليه يرفؤون﴾ (94) ﴿قال أتتخذون ما تنحتون﴾ (95) ﴿والله كاذب وما تغفلون﴾ [الصافات : 94-96].

وقد تم تقسيم هذا المبحث إلى مطلبين : الأول : استنباطات علماء التفسير للأمر التربوية من الآيات ، والثاني : آراء التربويين في هذه الاستنباطات .

المطلب الأول : استنباطات علماء التفسير للأمر التربوية من الآيات :

* أما آيات سورة الأنبياء فقد ذكر البغوي بعض الاحتمالات التي من أجلها قال إبراهيم U : ﴿بل فعلة كبريتهم ههنا﴾ ، فقال : " يجوز أن يكون الله Y أذن له في ذلك ؛ لقصد الصلاح ، وتوبيخهم ، والاحتجاج عليهم " (1).

ويؤخذ من قوله " لقصد الصلاح " أن لا ضير أن يُعبّر المرّي بألفاظ المرّي إن كان هذا يحقق مصلحة راجحة ، علماً بأن إبراهيم U في الحقيقة لا يعترف بالأصنام ، وليس لها عنده أدنى اعتبار .

وبيّن الزمخشري أن إبراهيم U لم يقصد كذباً ، ولا أراد أن ينسب الفعل الصادر عنه إلى الصنم ، وإنما قصد تقريره لنفسه وإثباته لها على أسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه من إلزامهم الحجة وتبكيتهم (2).

وقال القرطبي: " وكان قوله من المعارض ، وفي المعارض مندوحة عن الكذب " (1).

(1) البغوي، معالم التنزيل، (33/4).
(2) انظر: الزمخشري، الكشاف، (121/3).

وبيّن البيضاوي أن في قول إبراهيم U : ﴿أَأَمَّ أَكْفُؤًا وَلَمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ تضجراً على الإصرار على الباطل البين ؛ لأن ﴿أَأَمَّ﴾ صوت المتضجر ومعناه : قبحاً ونتاجاً⁽²⁾. وعبر سيد قطب عن هذا المعنى فقال : " يجبههم بعنف وضيق على غير عادته وهو الصبور الحليم ؛ لأن السخف هنا يجاوز صبر الحليم "⁽³⁾ . وهذا يدل على جواز استعمال أسلوب التوبيخ والتأنيب في التربية ، عند الإصرار على السوء الظاهر .

وبيّن البقاعي أنه U أنكر عليهم ووبخهم على ترك الفكر ، مُنبهاً إياهم على أن فساد ما هم عليه يدرك بللعقل فقال : ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ، أي وأنتم قد مرت بكم الدهور وحنكنكم التجارب⁽⁴⁾ .

ومن هنا يمكن القول : إنه بقدر ما تكون الحجة دامغة وواضحة يكون تأثيرها في المرئى أقوى ، ولا يستطيع أن يقاومها ، وهذا يستفاد من الآيات : ﴿فَرِحُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ مَقَالُوا إِنَّمَا إِنَّمَا تَعْبُدُونَ﴾ 64 ﴿ثُمَّ نَحْسُوا عَلَى رُبُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمَهُ مَا هَؤُلَاءِ يَنطِقُونَ﴾ 65 .

* أما آيات سورة الصافات فقد استتبط منها البغوي جواز المحاجة للإقناع ، فقال : ﴿قَالَ﴾ لهم إبراهيم U على وجه الحجاج : ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَدْعُونَ﴾ ، يعني : ما تتحنون بأيديكم⁽⁵⁾ ، فأبي حماقة أعظم من هذا الفعل ، أن يعبد الإنسان الحي ما ينحته بيده من الجماد الميت .

وذكر البقاعي أن إبراهيم U خاطبهم غير هائب لهم ولا مكترث بهم ؛ لرؤيته إياهم فانين⁽⁶⁾ ، فلا خوف - حقيقة - من الفاني ، إنما الخوف يكون من الباقي - سبحانه . وبين ابن عاشور أن في قول إبراهيم U : ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَدْعُونَ﴾ ما غيىء عن رباطة جأشه ؛ إذ لم يتلق القوم بالاعتذار ولا بالاختفاء ، ولكنه لقيهم بالتهكم بهم إذ قال : ﴿بَلْ مَعَلَهُمْ حَبِيبٌ مِّمَّنْ﴾ ، ثم إنه أنحى عليهم باللائمة والتوبيخ وتسفيه أخلامهم⁽⁷⁾ .

ويؤخذ منه جواز استعمال أسلوب التهكم في العملية التربوية إذا لزم الأمر .

خلاصة الإشارات التربوية من كلام المفسرين من مجموع الآيات :

-
-
- (1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (300/11) .
 - (2) انظر: البيضاوي، أنوار التنزيل، (74/2) .
 - (3) قطب، في ظلال القرآن، (547 /5) .
 - (4) البقاعي، نظم الدرر، (95-94/5) .
 - (5) البغوي، معالم التنزيل، (335/4) .
 - (6) انظر: البقاعي، نظم الدرر، (324/6) .
 - (7) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (145/23) .

- * استعمال أسلوب التوبيخ والتأنيب في التربية .
- * ترك اللفظي يعود بالضرر على الإنسان .
- * الكذب مذموم ومنهي عنه ، ويرخص فيه للضرورة .
- * لا ضير أن يُعبّر المرءي بألفاظ المرءي إن كان هذا يحقق مصلحة راجحة .
- * عدم الخوف والاكتراث من المخالف .
- * توظيف أسلوب التهكم في العملية التربوية إذا لزم الأمر .
- * جواز الحاجة للإقناع .

المطلب الثاني : آراء التربويين في خلاصة استنباطات المفسرين :

- * أولاً : استعمال أسلوب التوبيخ والتأنيب في التربية :

استعمال أسلوب التوبيخ والتأنيب في التربية يُصنّف ضمن العقاب اللفظي ، وهو يتضمن كل أشكال التهديدات اللفظية والتوبيخ ، واستعمال العبارات الجارحة ، واستعمال عبارة (لا تفعل ، أو (لا) للتعبير عن الرفض الاجتماعي ، وخاصة حين ترتبط مثل هذه العبارات بأشكال أخرى من العقاب كالعقاب الجسدي أو الاجتماعي أو تعبيرات الوجه الغاضبة ، ويكثر استعمال مثل هذا النوع من العقاب في العديد من المواقف التربوية الحياتية اليومية ، وتهدف : إلى تقليل ظهور أشكال السلوك غير المرغوب فيها ، وإضعاف العلاقة بين المثيرات والاستجابات غير المرغوب فيها ، ونظراً لسهولة استعمال مثل هذا النوع من العقاب ، فإِنَّه يجب الالتزام بالضوابط الآتية :

1. الحذر عند استعماله - وخاصة عند اختيار العبارات غير المناسبة ، ومناسبة تلك العبارات للسلوك غير المرغوب فيه .
2. مراعاة توقيت ذلك العقاب ومكانه .
3. الثبات في استخدامه في المناسبات المتكررة أو المواقف المكررة لأشكال السلوك غير المرغوب فيه .
4. يطلب من المربين عند استعمال مثل هذا النوع من العقاب مراعاة الأثر النفساني الناتج عن مثل هذا النوع من العقاب⁽¹⁾.
5. يجب أن نتوجه في تقويمنا إلى العمل لا إلى صاحبه ، فقد نبه الأخصائيون إلى خطورة قول المرءي: أخطأت أو أخطأت ؛ لأن هذه العبارة متوجهة إلى الشخصية لا إلى سلوكها ، وإذا أرفق هذا التقويم

(1) انظر: الروسان، فاروق، تعديل وبناء السلوك الإنساني، (ص 144) .

السلبى ببيان السلوك الايجابي المطلوب ، كان أوقع في النفس ؛ لأن بيان الصواب والسلوك السليم تبرير للتقويم السابق ، وتوجيه للحل الصحيح المطلوب⁽¹⁾.

أما قاعدة العقاب اللفظي الرئيسية فهي الحوار والجدل والمناقشة ، وهذا يختلف من شخص إلى آخر ومن حالة إلى غيرها ، والمربي الحصيف يختار من هذه الألوان والأشكال ما يتناسب من نوع المخالفة المراد كفها ، والقيمة التربوية المراد تعزيزها ، حسب البيئة والعوامل المسببة للمخالفة ، والشخصية التي تستجيب لمؤثراتها أو لا تستجيب ، وفي حال يكون ردها على مثل هذا التأديب رداً سلبياً ، يؤدي إلى عكس المقصود ، عندها تنتفي الوسائل بانسقله المقاصد⁽²⁾.

وإبراهيم U في محاجته قومه استعمل أسلوب التوبيخ والتأنيب اللفظي الكلامي ، لكنه كان أبعد ما يكون عن التهديدات واستعمال العبارات الجارحة ، ولم يصاحب هذا الأسلوب أشكال أخرى من العقاب - كالعقاب الجسدي ، ولقد كان استعماله لهذا الأسلوب بعد استفاد الأساليب الأخرى ، فلم تكن تلك هي البداية بل كانت النهاية .

* ثانيا : ترك التفكير يعود بالضرر على الإنسان :

يلعب التفكير الدور الرئيس في تحديد طبيعة الحياة ومحتواها التي نعيشها والحضارة التي نتمتع بها ، وقد أصبح الآن وسيلة للسيطرة على البيئة ، ولم يعد وسيلة جمالية . هذا وتعد أحسن طرق التفكير هي طريقة التفكير التأملية ، وهي الطريقة التي تتضمن إدارة الأمر على وجوهه المختلفة في العقل ، وإعطائه قدراً جاداً من التقدير والاعتبار⁽³⁾.

فمثلاً : إذا أراد المعلم أن يدرّب طلابه على التفكير ، فينبغي له - أولاً - أن يخلق لهم جوّاً من البحث والتفكير ، وأن يشعرهم بأنّ في بيئتهم حاجات لا يمكن سدها ومشكلات لا يمكن حلها إلا بإعمال الفكر ؛ فمفناً التفكير ليس وجود المشكلات ، أو الشعور بوجودها فحسب ، بل الرغبة الشديدة في معالجتها وحلها ، وإثارة هذه الرغبة في نفس التلميذ شروط أساسية لا بدّ من مراعاتها ، من هذه الشروط :

1. أن تكون المشكلة التي توضع بين يدي التلميذ مشكلة حقيقية تنتزع من صميم حياته وتقوم على خبرته الشخصية.

2. أن تتلاءم المشكلة مع مقدرة الطالب على التفكير .

(1) انظر: كاظم، محمد نبيل، كيف نؤدب أبناءنا بغير ضرب ؟ وحكم الضرب المدرسي من جهة النظر الفقهية والتربوية، (ص 97)، دار السلام، القاهرة، ط(1)، 2006م .

(2) انظر: نفسه، (ص 95).

(3) انظر: النجبي، مقدمة في فلسفة التربية، (صص 183 - 184).

3. أن يفسح للتلميذ في إثارة ما يروقه من المسائل والمشكلات⁽¹⁾.

ولقد عُنيَت التربية الإسلامية بالتربية العقلية وشحذ ملكات الإدراك وكسب العلوم والمعارف ، وقد حث القرآن الكريم في أكثر من موضع على التفكير والتأمل والإحاطة بحقائق الكون ، ومسائل العلوم⁽²⁾. والعقل الذي كفل الإسلام له حرية التفكير ، لا يقلد أحداً ولا رأياً ، وإنما يعمل هو ويفكر ويتدبر ويهتدي إلى ما يراه من رأي ، مع المحافظة على الأمانة العلمية ، والتجرد عن الهوى ، والبعد عن الأحكام الجزافية⁽³⁾.

حاول إبراهيم ٥ شحذ ملكات الإدراك عند قومه ، فوضح لهم طريقة التفكير التأملية ، وهو يسألهم مستكراً ما هم فيه : ﴿ أَتَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ هَيْبًا وَلَا يُضُرُّهُمْ ﴾ [66] ﴿ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [الأنبياء : 62-67] ، وقال : ﴿ أَتَعْبُدُونَ مَا تَدْعُونَ ﴾ [95] ﴿ وَاللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾ [الصافات : 94-96] ، فبالتأمل والاعتبار وتقليب الأمر يظهر فساد ما هم فيه ، عبادة أصنام لا تتفجع ولا تضر ، منحوتة بأيدي عابديها ، فأى عقل لا يدرك هذا الفساد في الرأي والنقص في العقل ؟

وشيء آخر مهم ؛ هو أن المشكلة كانت حقيقية ومنتزعة من صميم حياتهم ، وتتلاءم مع مقدرتهم على التفكير ، كما أن الرغبة كانت شديدة لدى إبراهيم ٥ لمعالجة المشكلة من أساسها ؛ لذلك فقد طلب منهم التفكير المجرد عن الهوى ، والبعد عن الأحكام الجزافية ، فهو لا يريد لأحد أن يقلد أحداً ولا رأياً ، وإنما يريد من كل إنسان أن يفكر ويتدبر ويهتدي إلى ما يراه من رأي .

* ثالثاً : الكذب مذموم ومنهي عنه ويرخص فيه للضرورة :

مر الكلام عن الكذب من قبل⁽⁴⁾ ، ويمكن إضافة شيء آخر ، وهو أن الكذب ما هو إلا عَرَضٌ ظاهري ، والأعراض لا تهم كثيراً في ذاتها ، وإنما الذي يهم هو العوامل والدوافع النفسانية والقوى التي تؤدي إلى ظهور هذا العَرَض⁽⁵⁾.

وكذب إبراهيم ٥ يُعتبر عَرَضاً ظاهرياً ، فهو لم يقصد الإخبار عن خلاف الواقع من أجل مصلحة شخصية يريد تحقيقها ، ولا هروباً من عقاب خطر بباله ، ولا لأي سبب من الأسباب التي تؤدي إلى الكذب ، لكنه أراد أن يُقنع القوم بالعقل أن الأصنام لا تملك من أمرها شيئاً ، فكيف تملك أمر غيرها ؟ قال : ﴿ قُلْ فَحَلَّ حَبِيرُهُمْ مَعَهُ ﴾ ، وهذا

(1) انظر: شهلا، وزميلي، الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية، (ص164).

(2) انظر: محفوظ، التربية الإسلامية للطفل والمراهق، (ص164).

(3) انظر: محمود، سلسلة مفردات التربية الإسلامية - التربية العقلية، (ص57)، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، 1996م.

(4) راجع(ص141) من هذه الرسالة .

(5) انظر: القوصي، أسس الصحة النفسية، (ص340).

كذب ، لكنه أتبع هذا الكلام بقوله : ﴿وَمَا سَأَلُوهُمْ إِنِ كَانَوا يُنطِقُونَ﴾ ، فدل على أنه ما أراد الكذب ، وإنما أراد الإقناع بطريقة عقلانية .

* رابعا : لا ضير أن يُعبر المرئي بألفاظ المرئي إن كان هذا يحقق مصلحة راجحة :

مر في هذه الرسالة أن من المهم جداً صياغة الألفاظ من وجهة نظر من يستمعون أثناء الحوار ⁽¹⁾، وقد يكون هذا باستعمال تعبيراتهم وكلماتهم ، والنزول إلى مستوياتهم .

وفي مجال تربية الأطفال من واجبات الوالدين النزول إلى مستوى الأبناء في كثير من الأحيان بحيوية ونشاط وحسن تعامل ⁽²⁾.

أما في المجال التعليمي فعلى المدرسة إيجاد حالة من التوازن بين عناصر البيئة الاجتماعية ، مع إتاحة الفرصة لكل فرد ليتحرر من قيود طبقته الاجتماعية التي ولد فيها ويتفاعل مع البيئة الاجتماعية الأكبر ⁽³⁾.

ولقد أصبحت الفروق الفردية حقيقة ثابتة لا تقبل الجدل ، تظهر في أشكال الناس وألوانهم وسماتهم وقدراتهم وخصائصهم النفسانية والعقلانية والاجتماعية ، وعلى قدر ما خلق الله منذ بدأت المسيرة على الأرض ، فعلى المدرس أن يلحظ الاختلاف في كل مستوى تعليمي يكون فيه ، ويحتاج أن يتعرف على تلاميذه والفروق الفردية بينهم ، وتأثيرها على سلوكهم ؛ فهو مطالب أن يُفسح المجال لكل منهم للنمو إلى أقصى مجال ⁽⁴⁾.

وإبراهيم ٥ استعمل أسلوب القوم في الكلام ، فلما سألوه عن الذي حطم الأصنام ، أجابهم : ﴿وَمَا كُنَّا بِمُؤْمِنِيكُمْ بِمَا كُنَّا﴾ ، فوصفُ الصنم بالكبير لا يكون من إبراهيم ٥ إلا بقصد استعمال ألفاظهم ، والنزول إلى مستواهم ، ومراعاة للفروق بينه وبينهم ؛ وذلك لإيجاد حالة من التوازن يستطيع من خلالها الاستمرار بالأداء ، وإلا فإنه سيلقي الرفض والإعراض ممن ينظر إليهم من علٍ .

* خامسا : عدم الخوف والاكتراث من المخالف :

(1) انظر: (ص106) .
(2) انظر: ربيع، البيت المسلم القدوة(ص168) .
(3) انظر: الميلادي، أصول التربية، (ص 114)
(4) انظر: عمار ، محمود إسماعيل، العلاقة بين الطالب والمعلم (رؤية إسلامية)، (ص ص 103 –106)، دار مسلم للنشر والتوزيع، الرياض، ط(1)، 1994م.

لم يشعر إبراهيم U بالخوف ، مع أن الخوف حالة انفعالية طبيعية تشعر بها كل الكائنات الحية في بعض المواقف⁽¹⁾، وهو استعداد فطري ، زوّد الله تعالى به الإنسان ؛ ليحمي نفسه ضد الأخطار التي تواجهه وتهدد كيانه الجسماني أو النفساني ، وهو مهم وضروري بالنسبة للأطفال والكبار أيضا ، فهو يدفع الطفل - مثلا- للتخلص من الأخطار التي تواجهه ، فإن لم يخفِ الطفل من هذه المخاطر تعرض للأذى⁽²⁾.

ويمكن تقسيم الخوف إلى نوعين:

- 1- خوف موضوعي : وهو الذي ينشأ عن مواقف تهدد الإنسان بأخطار حقيقية ، كالخوف من النار مثلا ، أو الخوف من حيوان مفترس .
- 2- خوف غير موضوعي وهو الخوف من أشياء لا تهدد الإنسان بأخطار حقيقية ، كالخوف من الظلام أو الخوف من الحيوانات الأليفة ، وتسمى هذه المخاوف مخاوف طفلية ، وفي بعض الحالات تكون هذه المخاوف رموزا لمخاوف موضوعية شعر بها الفرد في فترة سابقة من حياته وخاصة في أثناء الطفولة ، وقد يبلغ الخوف حدا يحول دون التكيف الشخصي أو الاجتماعي الناجح للفرد ، ويطلق على هذا النوع من الخوف اسم الخوف المرضي phobia⁽³⁾.

ثم إن أي طفل يمكن أن يُربى على تجنب الاستجابة للمخاوف ، بمراعاة بعض الأمور ، منها :

1. عدم جرح مشاعر الطفل باستعمال تعليقات ، مثل: "توقف عن التصرف كطفل رضيع".
2. عدم إرغام الطفل على التخلص من مخاوفه.
3. عدم اللجوء إلى التهديدات ، مثل: "إذا لم تحسن التصرف ، فإنك ستندم على ذلك".
4. عدم استعمال التخويف لتحفيز الطفل على التعاون: "يجدر بك أن تأتي الآن ؛ لأني سأرحل".
5. مراعاة شعور الطفل ، وعدم استعمال عبارات مثل: "تغلب على هذا الأمر"⁽⁴⁾.

ويمكن القول : إن الشجاعة تكتسب فقط حينما يكون لديك هدف ، فإنك - عندها - تفتح بنفسك أبواب حياتك الخاصة ، أما حينما ترتد مرتعدا أمام أي خطر ، فحين ذلك سوف تضعف ثقافتك بنفسك ، وسوف تفقد حين ذلك

(1) انظر: باشا، كيف تربي أبناءك في هذا الزمان، (ص 102) .

(2) انظر: زين العابدين، رواء، فن التعامل مع الأبناء، ص(11)، مكتبة ابن سينا، القاهرة، 2003م . .

(3) انظر: مطاوع، التنمية البشرية بالتعليم والتعلم في الوطن العربي، (ص 225) .

(4) انظر: توبين، حلول عملية لمشكلات الآباء في تربية الأبناء، (ص 143).

من قوتك ، وستعاني من مشاعر قلة القدر والهيبة ، أما حينما تواجه الخطر وجها لوجه متحديا بذلك المصاعب ، فستخرج من موقفك بقوة أكثر من ذي قبل ؛ فللشجاعة إذن تولد قوة في داخلك⁽¹⁾.

نعم حينما وُجد الهدف كانت الشجاعة ، وإبراهيم U صاحب هدف يسعى لتحقيقه ؛ لذا لم يقف مرتعداً أمام الأخطار ، ولا ضعفت ثقته بنفسه ، ولا فقد شيئاً من قوته ، ولا عانى من مشاعر قلة الهيبة ، كان يتحدى الصعاب فيخرج من كل موقف أشد قوة من ذي قبل ، فشجاعته ولدت لديه قوة في داخله . فعلى الرغم من الأخطار المحدقة بإبراهيم U إلا أنه تغلب عليها ، فما شعر بخوف موضوعي - وهو الذي ينشأ عن مواقف تهدد بأخطار حقيقية - مع أن أسبابه قائمة ، ولا بغيره .

ولقد كانت التهديدات التي هُدد بها متنوعة ؛ فمن تهديد الأب ، إلى تهديد القوم ، إلى التهديد بغضب الآلهة ، ثم انتهى به المقام إلى مجابهة رأس الكفر والتجبر والقوة في عصره ، والتهديد بالتحريق بالنار ، وعلى الرغم من ذلك فلم تلت له قناة ، ولا اهتزت فيه شعرة خوفاً من أي شيء مما ذُكر .

ويضاف إلى ذلك أن هذه السمة قد صاحبت إبراهيم U منذ بداية مشواره في الدعوة إلى الله Y ، إلى آخر تلك الحياة العامرة بالخوف من الله وحده ، وعدم الخوف من أي شيء سواه⁽²⁾ .

* سادسا : توظيف أسلوب التهكم في العملية التربوية إذا لزم الأمر :

مر في مبحث سابق ضرورة أن يتجنب المربي سلوك التهكم والسخرية والاستهزاء والتصغير والتحقير ، وعليه أن يكون هادئاً وغير منفعل ، ويوجّه الاستياء إلى السلوك المنافي وليس إلى الشخصية ، فالشخصية بحد ذاتها لا زالت محترمة مقبولة⁽³⁾. ولكن الأمور أحياناً تصل إلى درجة لا يمكن أن تحتل ، فيضطر المربي إلى مثل هذا الأسلوب.

وإبراهيم U كان بعيداً كل البعد عن التهكم والاستهزاء في مراحل دعوته المختلفة ، لكنه اضطر هنا إلى التهكم بهم وبما يعبدون ، فقال : **﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَدْعُونَ﴾** ، فهو سؤال للتهكم ممن يعبد ويتقرب إلى ما يصنعه بيده ، فهو الذي أوجده ثم إنه يتقرب إليه ، ومثله قوله : **﴿وَلَوْلَا إِعْلَانُ تَكْبِيرِهِ لَعَسَا يُدْعَىٰ إِلَيْهِ فَيَكْفُرُوا بِمَا كَفَرُوا﴾** في إشارة إلى سخفهم وحماقتهم - استهزاءً

(1) انظر: رايبورتس، التدريب نحو النجاح - طريقك للوصول إلى أهدافك الشخصية والمهنية، (ص160) .

Training Zum Erfolg

(2) ورد في قصة إبراهيم U وفي قول الله Y: **﴿وَأَوْجَمَ مِنْهُ حَيْثُ قَالَ لَا تَخَفْ وَأَخْرَجَهُ بِعَلَمٍ عَلَيْهِ﴾** [الذاريات: 28]، وهذا غير داخل في نطاق هذه الدراسة.

(3) انظر: (ص106) .

بهم ، وقال : **إِنَّمَا لَكُمْ وَلَمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ** ، تضجر منهم ومما يعبدون من دون الله Y لما رأهم يعكفون على الحجارة .

* سابعا : جواز المحاجة للإقناع :

مر الكلام على مثل هذه الإشارة من قبل⁽¹⁾ ، ويمكن الإضافة هنا بأن فلسفة اللجوء إلى عملية الإقناع تقوم على أساس حاجة الإنسان إلى شيء معين ، يأمل في الحصول عليه ، ولكنه يدخل تحت استحواذ الآخرين وسيطرتهم⁽²⁾ .

وإبراهيم U يبذل قصارى جهده في إقناع الناس بـ(لا إله إلا الله) ، ويأمل في الوصول إليها ، وحصول الناس عليها ، ولكن الأمر ليس بيده ، فهو لا يملك إلا البلاغ ، والقلوب بيد الله – ذي العزة والجلال ، والناس قد أغلقوا أبصارهم عن الاعتبار ، وقلوبهم عن التدبر ، وعقولهم عن التأمل ، فكان لا بدّ من المحاجة والمناقشة والمناظرة مرة تلو المرة ؛ عله يصل إلى الهدف ، وهو الإقناع .

(1) انظر(ص156) من الرسالة.
(2) انظر: الدروبي، فن التفاوض والإقناع، (ص8) .

المبحث الرابع

نجاه إبراهيم U من النار

صدر القرار من المحكمة بتحريق إبراهيم U بالنار بعدما تشاوروا في القتل أو التحريق ، ويبدو أنهم رأوا أن التحريق فيه أكبر الزجر (1) ، فأشعلوا النار وألقوا إبراهيم U فيها ، ففوض أمره إلى ربه ومولاه ، وقال : " حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ" (2) ، فأنجاه الله Y من النار ، فما أحرقت النار منه شعرة ، وردهم بغيظهم لم ينالوا منه شيئاً ، ثم خرج إليهم يدعوهم إلى الله الذي نجاه وحماه ، قال I وهو يقص علينا هذه الأحداث : ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ [68] ﴿فَلَمَّا يَأْتِ النَّارَ يُبْغِي وَيُنَادِي رَبَّهُ حَرْبًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [69] ﴿وَأَنزَلْنَا بِهِ حَبْرًا وَمَجْلِبًا﴾ [الأنبيا : 68-70] ، وقال - جل من قائل : ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [24] ﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ [العنكبوت : 24-25] ، وقال : ﴿قَالُوا إِنَّمَا كُنَّا نَعْبُدُ آبَاءَنَا مَا آتَانَا اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ [97] ﴿وَأَنزَلْنَا بِهِ حَبْرًا وَمَجْلِبًا﴾ [الصافات : 97-98].

ويأتي الكلام في هذا المبحث ضمن مطلبين : المطلب الأول : ما استنبطه المفسرون من الآيات الكريمة ، والثاني : آراء التروبيين في خلاصة استنباطات المفسرين .

المطلب الأول : ما استنبطه المفسرون من الآيات الكريمة :

ذكر البقاعي أن قوم إبراهيم U عدلوا إلى استعمال القوة الحسية فقالوا : ﴿حَرِّقُوهُ﴾ ، أي بالنار ؛ لتكونوا قد فعلتم فيه فعلاً هو أعظم مما فعل بالهتكم (3) . فهم قد عدلوا عن أسلوب الكلام والمحاجة لما عجزوا عن الرد ، وأبدلوه بأسلوب القوة والبطش ، وهذا دأب مَنْ يعجز عن مقارعة الحجة بالحجة من أصحاب القوة ، فيلجأ إلى الحديد والنار يلتمس فيهما النصر ، دونما مراعاة لضوابط العقوبة وحجمها وما تؤدي إليه من أضرار ، وفيها أن المرئي قد ينقلب على المرئي ويكون عنيفاً ضده ، ولكن لا ينبغي أن يؤثر هذا على المرئي بأي حال من الأحوال .

(1) قال الزمخشري: " اختاروا المعاقبة بالنار لأنها أهول المعاقبات ". انظر: الزمخشري، الكشاف، (123/3) .
(2) عن ابن عباس: " حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ" ، قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ U حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ P حِينَ قَالُوا : ﴿إِنَّ النَّارَ كَذَّابَةٌ كَذَّابَةٌ﴾ .
(3) [آل عمران: 173]. انظر: صحيح البخاري، كتاب التفسير، ج (4563).

(3) انظر: البقاعي، نظم الدرر، (95/5).

وبيّن الرازي أن تقليد صاحب والقريب ليس بدليل يصح ، فذكر أن إبراهيم U لما خرج من النار عاد إلى عدل الكفار وبيان فساد ما هم عليه ، وقال : إذا بينت لكم فساد مذهبكم ، وما كان لكم جواب ولا ترجعون عنه فليس هذا إلا تقليداً ؛ فإن بيّن بعضكم وبعض مودة ، فلا يريد أحدكم أن يفارقه صاحبه في السيرة والطريقة ، أو بينكم وبين آبائكم مودة ، فورثتموهم وأخذتم مقالتهم ، ولزمتهم ضلالتهم وجهالتهم فليس هذا بدليل أصلاً⁽¹⁾.

وعلق البقاعي على آية سورة العنكبوت ، فذكر سوء الصحبة وما تؤدي إليه من فساد ، فقال : "ويدخل في هذا كل من وافق أصحابه من أهل المعاصي أو البطالة على الرذائل ليعدوه حسن العشرة مهذب الأخلاق لطيف الذات ، أو خوفاً من أن يصفوه بكثافة الطبع وسوء الصحبة ، ولقد عمّ هذا العمري أهل الزمان ليوصفوا بموافاة الإخوان ومصافاة الخلان ، معرضين عن رضی الملك الديان"⁽²⁾.

خلاصة الإشارات التربوية من كلام المفسرين :

* المرئي قد ينقلب على المرئي ويكون عنيفاً ضده ، ولكن لا ينبغي أن يؤثر هذا على المرئي بأي حال من الأحوال .

* استعمال القوة الحسية في العقوبة له أضرار كثيرة ؛ فينبغي ألا يستعمل إلا نادراً .

* القريب والصاحب السنيان يقودان إلى الفساد .

المطلب الثاني : آراء التربويين في خلاصة استنباطات المفسرين :

* أولاً : المرئي قد ينقلب على المرئي ويكون عنيفاً ضده ، ولكن لا ينبغي أن يؤثر هذا على المرئي بأي حال من الأحوال :

وهذا الأمر قد يكون من باب رد الفعل ، وقد يظهر بمظهر الاندفاع ، والاندفاعية - كما هي عند التربويين - تظهر من خلال ردود فعل متسعة دون تفكير أو تخطيط ، وهي نابعة من رغبات داخلية دون حساب للآخرين أو للنظام ، ودون حساب لعواقب هذا السلوك ، فيجدون صعوبة في الانضباط وتأجيل تحقيق الرغبات ، يعرفون أن العقاب ينتظرهم إلا أنهم غير قادرين على الامتناع عن السلوك الاندفاعي وتحاشي العقاب⁽³⁾.

(1) الرازي، مفاتيح الغيب، (54/25-55) .

(2) البقاعي، نظم الدرر، (552/5).

(3) انظر، دويري، المزيد عن التعامل مع مشاكل أولادنا، (ص 194).

وقوم إبراهيم U كانوا مندفعين ، وجدوا صعوبة في الانضباط والطاعة لأمره ، فقاموا بردود فعل متسارعة وغير مخطط لها ، قرروا تحريقه ، وفعلاً أعدوا للأمر عدته ، وظهر العنف في أفعالهم ، لكن مظاهر العنف كلها لم تؤثر في نفس إبراهيم U ، ولا تثنته عن هدفه ، ظل سائراً في طريقه ، وما أعلن الخضوع ولا الاستسلام لرغباتهم .

* ثانياً : استعمال القوة الحسية في العقوبة له أضرار كثيرة ؛ فينبغي ألا يستعمل إلا نادراً :

من العقاب ما هو مادي حسي ، ومنه ما هو معنوي ، والحسي له أشكال : منها العقوبة الجسدية التي كانت وما زالت تستعمل للتقليل من أشكال السلوك غير المرغوب فيها ، ولا تكاد تخلو مؤسسة تربية كالأسرة أو المدرسة من استعمال هذا النوع من العقاب لتعديل سلوك الأطفال أو الكبار على الرغم من التحذيرات التربوية منه ، وتبدو مظاهر العقاب الجسدي في:

1. الضرب على اليدين أو الأصابع أو القدمين (أو على الوجه أو الرأس أو الجسم بشكل عام).
2. الكدمات والصفع والضرب على أجزاء مختلفة من الجسم.
3. الصدمات الكهربائية (Electric Shock).
4. أشكال أخرى من العقاب الجسدي ، كقص الشعر ، أو الوخز⁽¹⁾ .

وتعتقد بعض الأسر أن هذا هو الأسلوب الصحيح في تربية الطفل حتى يعتدل سلوكه ، وهذا بلا شك أسلوب فيه خطأ في التعامل مع الطفل ؛ إذ يترتب على ذلك وجود شخصية متمردة للتنفيس عن تلك القسوة ، وينتج عن ذلك سلوك عدواني يتجه نحو غيره ، فينفس هذا الطفل عما في داخله بيد فعل معاكس لتلك القسوة بتخريب ممتلكات الآخرين وكثرة المخاصمات مع أصدقائه وتعذيب الحيوانات والطيور ، فيكون قاسياً لا مكان للرحمة لديه ، وغالباً ما يشعر بالسعادة عندما يرى الناس غير سعداء⁽²⁾ .

ولقد استعمل قوم إبراهيم U شكلاً آخر من أشكال العقاب الجسدي وهو الإلقاء بالنار للتحريق ، بعدما رأوا أن القتل أو التحريق هو جزء من يقوم بتفسير الحجارة التي لا تضر ولا تنفع ، وهذه العقوبة لا تتناسب ببشاعتها وشناعتها مع الفعل الذي قام به ، فهم يستعملون هذه العقوبة دون مراعاة لمبدأ أو قاعدة أو ضابط ، يحاولون بذلك محوه ومحو سلوكه ، لا مجرد تعديل السلوك ، وقد أخفق هذا الأسلوب الخاطيء ، فهو لم يثن إبراهيم U عن دعوته ، ولا تنازل عنها ، وإنما زاده إصراراً ، فقام يدعوهم مرة أخرى ، فلما لم يجد فيهم رجاء قرر هجرانهم .

* ثالثاً : القريب والصاحب السنيان يقودان إلى الفساد :

(1) انظر: الروسان، تعديل وبناء السلوك الإنساني، (ص 147).
(2) انظر: كامل، الآباء ومشاكل الأبناء في الميزان السيكولوجي بين الفهم والمواجهة، (ص 45).

مر الكلام عن تقليد القريب (1)، وسيقتصر الكلام في هذه الإشارة على صاحب السيئ ، فللصحة أبلغ الأثر في سلوك المرء ؛ فالصاحب ساحب ، ومن جالس الأشرار وعاشرهم فلا بد أن يتأثر بهم ، ويقبس من أخلاقهم ؛ فمجالستهم تنساق بصاحبها إلى الحضيض ، فكلما همّ بالنهوض والتخلي بمكارم الأخلاق ، والتخلي عن مساوئها- عوقه ، وثنوه ، فعاد إلى غيّه ، واستمر على جهله وسفهه(2).

ويجب على المربين التحذير من صاحب السوء ، واختيار مجالس الصالحين ، والرفقة المؤمنة ، والأتراب والأنداد الذين ربوا تربية سالحة ، مع إشغال مجالسهم ومجتمعاتهم بما يرضي الله Y ، ويزكي النفوس ، والتحذير مما يندس النفوس أو يضيع الأوقات في غير ما طاعة ، أو فائدة علمية ، أو كسب دنيوي حلال(3).

وبالجملة فالرفيق والصاحب يؤثران على عقيدة الإنسان وقناعاته الفكرية ، وهذا من أعمق المؤثرات التي يهملها كثير من المربين كالأباء والأمهات(4).

نعم ، فالصاحب قد يؤثر على عقيدة صاحبه وقناعاته الفكرية ، وإبراهيم U عاب على قومه أنهم أشركوا بالله I ، وعبدوا الأصنام محافظة على المودة التي بينهم ، فلا يريد الصاحب أن يترك صاحبه ، فهما يسيران على نفس الطريق ، ولو اقتنع أحد منهم بأمر ولم يقتنع الآخر ، فإنهما أيضا سيسيران على نفس الطريق حتى يقنعا جميعا ، فالصاحب قد يكون معوقا عن الخير في طريق صاحبه ؛ لذا يجب التحذير من صاحب السيئ .

(1) انظر: (ص123) وما بعدها.

(2) انظر: الحمد، سوء الخلق مظاهره- أسبابه- علاجه، (ص 71) .

(3) انظر: النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، (ص 184) .

(4) انظر: سلامة، فن تربية الأطفال، (ص 74).

المبحث الخامس

العزم على الهجرة

كانت نتيجة دعوة إبراهيم ٧ في الفترة التي قضاها في العراق أن آمنت معه زوجته سارة - عليها السلام ، وابن أخيه لوط ٧⁽¹⁾ ، ولم تؤثر معجزة النجاة من النار في قلوب قد طُمتت وعقول قد عطلت ، عندها عزم إبراهيم ٧ على الهجرة التي لا بد منها ، قرر ترك الأهل والعشيرة في الله وفي سبيل دعوته ، فلم يُعَدُّ يربطه بالأهل والعشيرة أية رابطة ، فالعداوة والبغضاء قد ملأت القلوب من كلا الطرفين ، وقد يجد عند الغرباء ما لم يجده عند الأقرباء ، قال الله I : ﴿قَالَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُصَاحِبٌ إِلَيْكَ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [العنكبوت : 26] ، وفي موضع آخر : ﴿وَقَالَ إِنِّي حَاسِبٌ إِلَيْكَ رَبِّي سَمِيعٌ﴾ [الصافات : 99] .

وقد تم تقسيم هذا المبحث إلى مطلبين ، الأول : استنباطات المفسرين للإشارات التربوية ، والثاني : آراء التربويين في خلاصة استنباطات المفسرين التربوية .

المطلب الأول : استنباطات المفسرين للإشارات التربوية :

استنبط الرازي أن الموضوع الذي تكثر فيه الأعداء تجب مهاجرته ؛ وذلك لأن إبراهيم صلوات الله عليه وسلامه، مع أن الله سبحانه خصه بأعظم أنواع النصر ، فإنه لما أحس من قومه العداوة الشديدة هاجر من تلك الديار ، فلأن يجب ذلك على غيرها أولى⁽²⁾.

ووصف سيد قطب هجرة إبراهيم ٧ فقال : " هجرة يترك وراءه فيها كل شيء من ماضي حياته ، يترك أباه وقومه وأهله وبيته ووطنه وكل ما يربطه بهذه الأرض ، ويهؤلاء الناس ، ويدع وراءه كذلك كل عائق وكل شاغل ، ويهاجر إلى ربه متخفياً من كل شيء ، طارحاً وراءه كل شيء ، مسلماً نفسه لربه لا يستبقي منها شيئاً . موقناً أن ربه سيهديه ، وسيرعى خطاه ، وينقلها في الطريق المستقيم"⁽³⁾ . وإبراهيم ٧ سار في طريق الهجرة لإيمانه بالله أولاً ثم ليقينه بما سيلقاه عنده ، والإيمان واليقين من أهم العوامل التي تقود الخُطى إلى تحقيق الهدف .

خلاصة الإشارات التربوية من كلام المفسرين :

(1) ذكر الماوردي أن لوط ٧ هو ابن أخ إبراهيم ٧، انظر: النكت والعيون، (281/4)، وانظر: البغوي، معالم التنزيل، (217/4)، وذكر الزمخشري أنه كان ابن أخته، انظر: الكشاف، (436/3) وانظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (13/339).

(2) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، (151/26) .

(3) قطب، في ظلال القرآن، (62/7).

- * أهمية مصاحبة الأخيار ، وترك الموضوع الذي يكثر فيه الأشرار ؛ فللبيئة أثر كبير في العملية التربوية .
- * الإيمان بالله واليقين بما عنده من أهم أسباب النجاح .

المطلب الثاني : آراء التربويين في خلاصة استنباطات المفسرين التربوية :

1- مصاحبة الأخيار ، وترك الموضوع الذي يكثر فيه الأشرار ؛ فللبيئة أثر كبير في العملية التربوية:

يميل الناشئون بفطرتهم ، وخاصة منهم الفتيان والمراهقون ، إلى محبة الأصدقاء والانخراط في جوهم ، فيجب إعطاؤهم مناعةً وحذراً حتى لا يصاحبوا الأشرار ، أو يلازموا شباباً ضائعين ، لا هم لهم إلا العبث وضياح الوقت دونما هدف صالح من الحياة⁽¹⁾.

وتُعد مصاحبة الأخيار من أعظم ما يُربي على مكارم الأخلاق ، وعلى رسوخها في النفس ؛ فالمرء مولع بمحاكاة من حوله ، شديد التأثر بهم ، والصدقة الشريفة تشبه سائر الفضائل من حيث رسوخها في النفس ، وإبتاؤها ثمراً طيباً في كل حين ؛ فهي توجد من الجبان شجاعة ، ومن البخيل سخاءً ، فالجبان قد تدفعه قوة الصداقة إلى أن يخوض في خطر ليحمي صديقه من نكبه ، والبخيل قد تدفعه قوة الصداقة إلى أن يبذل جانباً من ماله لإتقاذ صديق من شدة⁽²⁾.

هذا ويجب ترك الموضوع الذي يكثر فيه الأشرار ، فإن من أذح العيوب والمحاذير التي يقع فيها العقل أن يستسلم لأصحاب السلطة الدنيوية المستبدة ؛ لأن معناه سيطرة الظالم على عقل المظلوم ، وهذا العقل يجب أن يظل حراً طليقاً لا يقر الظلم ولا يرضى به ، فإن عجز عن مقاومته ورفضه ، رحل عن المكان الذي يستبد به الظالم إلى مكان آخر في أرض الله الواسعة⁽³⁾.

وللبيئة - وهي جميع العوامل الخارجية التي تؤثر في الشخص من بدء نموه⁽⁴⁾، أثر كبير في العملية التربوية ، فالأسرة والرفاق والمدرسة ، تعمل مجتمعة على إكساب الطفل مجموعة من القيم وأنماط السلوك⁽⁵⁾.

رحل إبراهيم U إلى مكان آخر في أرض الله الواسعة ، فلم يعد هناك مجال للبقاء بعد الشعور باستبداد أهله وعشيرته ، أراد لعقله أن يبقى حراً طليقاً ، عزم على الرحيل ، والهجرة إلى رب العالمين ، ولقد صحبه في هذه الرحلة رفيقة دربه - زوجته سارة ، ولوط U الذي آمن به وبدعوته ، كانوا صحبةً أحياناً ، ساروا على الطريق نفسه

(1) انظر: النحلوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، (ص183- 184) .

(2) انظر: الحمد، سوء الخلق مظاهره- أسبابه- علاجه، (ص 132) .

(3) انظر: محمود، سلسلة مفردات التربية الإسلامية - التربية العقلية، (ص42) .

(4) القرصي، أسس الصحة النفسية، (ص 15).

(5) انظر: داغستاني، التربية الدينية والاجتماعية للأطفال، (ص162) .

، ورضوا بالمنهج نفسه ، وخلقوا وراءهم الأشرار ، فلا حاجة لهم بالبقاء معهم ، وقد رضوا بمعية الله - جل في علاه .

2- الإيمان بالله واليقين بما عندهم من أسباب النجاح :

الإيمان لازم في حياة الإنسان ، ومصدر من مصادر القوة والاطمئنان ، وهذا ما تؤكدته الدراسات النفسانية والفلسفية والأنتروبولوجية⁽¹⁾، فليس هناك قوة أقوى من الإيمان لتوجيه الإنسان ، وفي الأصل فإن التاريخ البشري هو تاريخ الإيمان عند الإنسان ، وأولئك الذين غيروا مجرى التاريخ هم أنفسهم الذين غيروا من معتقداتنا وسلوكنا ، والإيمان ليس حالة نفسانية فحسب ، ولا تمثيل داخلي يحكم السلوك ، بل يمكن أن يكون الإيمان باعثاً على القوة بشأن ما هو ممكن ، أو الإيمان بأننا سوف ننجح في شيء ما ، أو نحقق شيئاً آخر ، ويمكن أن يكون كذلك إيماناً باعثاً على العجز أو الفشل وعدم تحقيق النجاح⁽²⁾. كما أن الشعور باليقين الباطني يصبح فيه الإنسان قويا ، فيبلغ درجة لا يعترض شيء طريقه⁽³⁾.

فالذين غيروا مجرى التاريخ هم أنفسهم الذين غيروا معتقداتنا وسلوكنا ، هم - أولاً - الأنبياء والمرسلين ، أمثال : إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد - عليهم جميعاً أفضل الصلاة وأتم التسليم ، إذن فإبراهيم U أحد هؤلاء ، وقوة إيمانه هي أقوى دافع له ، فلم يقف مكتوف اليدين أمام التكذيب والكيد ، بل ظل يدعو ويحاجج قومه ، لم ييأس على الرغم من كل الأسباب المؤدية لليأس ، فقد كان الإيمان باعثاً له على المضي قدماً ، كما كان الشعور باليقين باعثاً آخر ، زاده قوة وثباتاً وإصراراً ، فلم يعترض شيء طريقه .

(1) داغستاني، التربية الدينية والاجتماعية للأطفال، (ص 17) .

(2) انظر: العريمي، زيادة قدراتك الذهنية وتفعيل طاقاتك الكامنة، (ص ص 84- 85).

(3) انظر: رابورتس، التدريب نحو النجاح - طريقك للوصول إلى أهدافك الشخصية والمهنية، (ص83).

الخاتمة

وأخيراً فإن لدينا نحن المسلمين مبادئ علوم مختلفة وأصولها ، فتراثنا الفكري العظيم - وأول مصادره القرآن الكريم - اشتمل على مفاتيح أكثر العلوم ، ولا يحتاج إلا التقنين ووضع المبادئ ضمن قوالب وقواعد ، بل إن بعض ما هو موجود من أصول للعلوم الحديثة غير موجود في أحدث ما صُنّف في هذا المجال ، وبدلاً من الاستدلال بقول العلماء فيمكن الاستدلال بقول الله Y على أصول علوم كثيرة ، وبدلاً من ضرب الأمثلة على أمور تحدث من حياة البشر فيمكن ضرب أروع الأمثلة من القصص القرآني ، ففيها نماذج لكل ما هو مطلوب ، نماذج للخير والهداية والرشاد ونماذج للشر والفسوق والعصيان ، وآيات الله I - آية آية - تحتاج إلى مختصين مشمرين عن ساعد الجد في شتى المجالات : التربوية والنفسانية والاجتماعية والاقتصادية ... لاستخلاص واستنباط قواعد كل علم منها ، ثم نشر ما تم الوصول إليه - فهو باب من أبواب الدعوة إلى الله I ودينه .

وهذه الرسالة هي خطوة على الطريق ، فلا بد أن تلتحقها خطوات ؛ حتى نرتفع في هذه الدنيا كما ارتفع أسلافنا من قبل ، فإنهم سبقوا الأمم في شتى المجالات بهذا الدين ، ونحن تخلفنا عن ركبهم لما تركنا ديننا ، وألقينا كتاب ربنا سبحانه - وراء ظهورنا .

وهذه الخاتمة اشتملت على مبحثين اثنين :

المبحث الأول : أهم النتائج التي توصلت إليها الرسالة

المبحث الثاني : أهم التوصيات

المبحث الأول

أهم النتائج التي توصلت إليها الرسالة

تُعد الإجابة على أسئلة الرسالة الأساسية هي النتائج الحقيقية لهذه الرسالة ، فقد وضحت الدراسة ما يأتي :

- 1- شخصية إبراهيم U وواقع قصته من خلال النصوص المعتمدة .
 - 2- استنباطات المفسرين للأمور التربوية من قصة إبراهيم U .
 - 3- آراء التربويين فيما استنبطه علماء التفسير .
 - 4 - وخلال عملية البحث وما فيها من استنباط لأهم الإشارات التربوية التي تجسدت في قصة إبراهيم U تم التوصل إلى العشرات من الإشارات التي اتفقت مع أحدث ما توصل إليه علم التربية ، وهذه الإشارات تعد - أيضا - بمثابة نتائج لهذا البحث ، ويمكن عرض بعضاً منها :
1. استعمال المربي أساليب ووسائل متعددة دليل الوعي والعلم لأسس العملية التربوية ؛ فللنفوس مسالك ينبغي أن تُراعى .
 2. سلامة قلب المربي تقوده إلى كل عمل صالح حسن ؛ فسلامة الظاهر دليل على سلامة الباطن .
 3. حوار المبطلين ومناظرتهم لإقامة الحجة عليهم يتم ضمن ضوابط وآداب كثيرة ، ظهرت في محاورات إبراهيم U المختلفة .
 4. المربي الناجح يسعى إلى تحقيق الكمال في نفسه ، ثم فيمن يقوم على تربيتهم .
 5. أهمية النمذجة في حياة البشر ، وأنها تكون في الأشخاص والأفعال .
 6. ضرورة المزج بين الدليل العقلازي والدليل السمعي للإقناع ؛ فالإقناع فن ينجح فيه من يتحلى بأدابه .
 7. ضرورة اغتنام الأوقات والأحداث المناسبة من أجل إتمام المهمات التربوية .
 8. قد يستقضي المربي وسائل التربية وأساليبها ثم لا يكون لعمله أثر كبير في نفس المربي ، بل ربما ينقلب عليه .

9. للبيئة أثر كبير في العملية التربوية .

10. الإيمان بالله واليقين بما عنده والدعاء من أهم أسباب نجاح العملية التربوية .

المبحث الثاني

أهم التوصيات

مما قدره الله Y أن يقف كل باحث عند حدود معينة - خاصة أن الباحث المفرد لا يستطيع أن يحيط في بحثه بكل المجالات ، فإن هذه الدراسة كانت عن الإشارات التربوية في قصة إبراهيم U في مرحلة من مراحل حياته ، وهي تشير الكثير من الموضوعات التي تصلح أن تكون أبحاثاً للمستقبل ، من أهمها :

1. إتمام باقي قصة إبراهيم U على النسق الذي سارت عليه هذه الرسالة .
2. دراسة الإشارات التربوية في القصص القرآني- كل قصة على حده .
3. دراسة الإشارات التربوية في بعض سور القرآن مثل : سورة النور ، سورة الحجرات ، سورة الأحزاب... .
4. دراسة القصص من نواحي أخرى : دعوية ، جهادية ، فكرية ، اجتماعية... .
5. دراسات تربوية تعتمد القرآن الكريم والسنة المطهرة بشكل عام .
6. دراسات مستمدة من المصادر الصحيحة يقوم الباحثون فيها بتوجيه المواقف وحل الإشكالات ، أو تحليل النفسيات .
7. صياغة قواعد تربوية مصدرها القرآن ، ومقارنتها مع ما تُوصل إليه للإفادة مما يتفق مع مقتضيات النص القرآني وتجنب ما عداه .

تم بحمد الله I وتوفيقه ، فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

فهرس الآيات

مرتبة حسب ورودها في المصحف

السورة	الآيات	أرقامها	الصفحات في الرسالة
الفاحة	﴿ رَبِّهِ الْعَالَمِينَ ﴾	2	صفحة ر ، هامش صفحة ش
البقرة	﴿ أَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾	40	صفحة ف
	﴿ وَإِذْ أَنْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رُؤُوسَهُ... ﴾	124	26 ، 27
	﴿ إِنِّي جَاعِلٌكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾	124	18
	﴿ وَمَنْ يَرْتَبِ مَن مَّاءَ إِبْرَاهِيمَ ﴾	130	22
	﴿ وَأَسْلَمَ قَالَ أَخْلَفْتَهُ لِرَبِّهِ الْعَالَمِينَ ﴾	131	27
	﴿ وَقَالُوا كُونُوا شُرَكَاءَ أَوْ تَكْفُرُوا ﴾	135	22 ، 37
	﴿ وَالَّذِي تَرَىٰ إِلَىٰ الْخَيْبِ طَافَ إِبْرَاهِيمَ فِي رُؤُوسِهِ ﴾	258	153
	﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ ﴾	260	160
	﴿ كَعَمَلِ حَبْثَةٍ أَتَتْكَ مَرْجَ سَمَابِلٍ ﴾	261	صفحة ف
	﴿ وَيُرِيهِ الصِّدْقَ أَهْلًا ﴾	276	صفحة ق
آل عمران	﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ﴾	41	صفحة س
	﴿ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاتَّبِعُونَهُ ﴾	51	صفحة ذ
	﴿ وَاسْمِعْ يَا ذَا الْمُنْعَمِ ﴾	52	صفحة ذ
	﴿ وَإِنَّ هَذَا لَمَوْءِقِعُ الْحَقِّ ﴾	62	صفحة ث
	﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَقَابُلُونَ فِي إِبْرَاهِيمَ ﴾	65 - 68	35
	﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا ﴾	67	34 ، 38
	﴿ وَإِنَّ أَوْلَىٰ النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ الْخَلِيفَةُ اتَّبِعُوا ﴾	68	18
	﴿ فَاتَّبِعُوا مِثْلَ إِبْرَاهِيمَ ﴾	95	21
	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾	122	صفحة ح
	﴿ وَإِنَّ النَّاسَ لَمَّا جَمَعُوا لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾	173	هامش 187
النساء	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ ﴾	1	صفحة ح
	﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ حِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ ﴾	125	23
المائدة	﴿ وَإِذْ نُنزلُ عَلَيْكَ نَبَأَ الْبَنِي آدَمَ وَالْحَقِّ ﴾	27	صفحة ض
الأعام	﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلَهُ الْحَقُّ ﴾	73	صفحة ف
	﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزر... ﴾	74	4 ، 44 ، 61
	﴿ ... أَتَّبِعُ أَهْبَاتًا كَلِمَةً ﴾	74	67
	﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ.. ﴾	75 - 83	93

103	81-80	﴿وَحَاجَّةٌ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَادِثُونَ فِي اللَّهِ..﴾	
103	83	﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾	
34	87 - 84	﴿... وَمِنْ حُرِّيَّتِهِ حَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ...﴾	
صفحة ف	160	﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ مِثْرُ أُنْفَالِكُمْ﴾	
24 ، 23	161	﴿قَالَ إِنِّي مَكَارِي رُبِّي إِلَيَّ حِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾	
صفحة ذ	-73 -65 -59	﴿يَا قَوْمِ اتَّخِذُوا اللَّهَ مَأْتَبًا مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾	الأعراف
22	88	﴿لَا تُفْرِجَنَّكَ يَا هُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ﴾	
22	89	﴿قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾	
99	99	﴿فَمَا يَأْمُرُ مَعْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَاسِرُونَ﴾	
صفحة ث	176	﴿فَأَقْصَى الْقَعْرِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾	
26	112	﴿الْمُتَابِعُونَ الْعَابِدُونَ الْعَامِسُونَ﴾	التوبة
69	114-113	﴿وَمَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا...﴾	
75 ، 70 ، 44 ، 30	114	﴿وَمَا كَانَ امْتِيعًا لِإِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ﴾	
صفحة ذ	90	﴿... وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾	يونس
صفحة ذ	103	﴿إِنَّهُ نَذَّبَنِي وَمَلَأَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾	
صفحة ظ	43-42	﴿وَوَدَّاعَى نُوْحٍ آيَةً..﴾	هود
30	75-74	﴿فَلَمَّا كَتَبَ مِنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعَ﴾	
32 ، 28	75	﴿... إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾	
صفحة خ	120	﴿وَكَلَّا تَقُمْ تَأْتِيكَ مِنْ أَتْبَاطِ الرُّسُلِ﴾	
صفحة ث	3	﴿فَنَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَى﴾	يوسف
22	37	﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾	
21	38	﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي﴾	
صفحة ظ	92	﴿لَا تُدْرِي بِمَلِكِهِ يُبْهَتُونَ﴾	
صفحة ث	111	﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ﴾	
69 ، 64	41	﴿رَبَّنَا انزِلْ لِي وَلِوَالِدِيٍّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾	إبراهيم
95 ، 10	120	﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾	النحل
15	122-120	﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً..﴾	
62	23	﴿وَوَقَّصَى رَبُّكَ آلَا تَتُوبُوا إِلَّا آيَاتُهُ﴾	الإسراء
48	23	﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾	
صفحة ظ	66	﴿هَلْ أَتَىكَ مَلَكٌ أَنْ تَعْلَمَ مِمَّا تُلْمِهُمُ رَبُّكَ﴾	الكهف
صفحة ظ	82	﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ﴾	
صفحة ذ	83	﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَنْ حَبِي الْقُرْآنِ﴾	
صفحة ع	11	﴿فَقَرَّحْ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمَخْرَاجِ﴾	مريم

صفحة ظ	18	﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ﴾	
صفحة ظ	23	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ كُنْزَ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾	
صفحة س	29	﴿وَأَخَارِضْ إِلَيْهِ﴾	
46 ، 44	48-41	﴿وَأَخَارِضْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ..﴾	
76	46	﴿لَا زِيغَتَكَ وَأَخْبِرِي مَلِيًّا﴾	
69	47	﴿سَلَامَةٌ عَلَيْكَ سَامِعَةٌ لَكَ رَبِّي﴾	
62	44	﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْتًا﴾	طه
62	22	﴿أَلَمْ يَكُنْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِمَا أَلَمَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَعَنَتَا﴾	الأنبياء
114 ، 110	56 -51	﴿وَأَلَعَدَّ آتِنَا إِبْرَاهِيمَ زُجْدَةً..﴾	
44	70-51	﴿وَأَلَعَدَّ آتِنَا إِبْرَاهِيمَ زُجْدَةً...﴾	
168	58-57	﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا خَيْرَ لَكُمْ فِي إِخْتِيَابِكُمْ...﴾	
167	71-57	﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا خَيْرَ لَكُمْ فِي إِخْتِيَابِكُمْ...﴾	
175	62-59	﴿قَالُوا مَنْ مَعَلَّكَ هَذَا وَاللَّيْتَنَا...﴾	
178	67-62	﴿قَالُوا لَأَنبِيءَ مَعَلَّكَ هَذَا وَاللَّيْتَنَا...﴾	
182	67-62	﴿أَفَتَتَّبِعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ...﴾	
139	63	﴿بَلْ مَعَلَّكَ حَبِيبٌ مِمَّنْ مَعَلَّكَ﴾	
187	70-68	﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِمَتَهُ﴾	
صفحة ذ	87	﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْبِيءُ سُبْحَانَكَ﴾	
صفحة ذ	88	﴿وَوَعَدْنَاكَ نَجِييَ الْمُؤْمِنِينَ﴾	
صفحة ذ	46-45	﴿وَمَكَاتِبُنَّ مِنَ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾	الحج
23	78 - 77	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْزُقُوا وَأَحْسِنُوا﴾	
22	78	﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ..﴾	
21 ، 18	78	﴿... مَلَأَ أَبْيُحْزَمَ إِبْرَاهِيمَ﴾	
26	9	﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾	المؤمنون
117 ، 114 ، 44	89 -69	﴿وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾	الشعراء
130	74	﴿وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَفَرًا لَكَ يَفْعَلُونَ﴾	
130	77-75	﴿وَأَقْرَابَهُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾	
132	81-78	﴿الْحَيُّ عَلَىٰ قَلْبِي فَصَوِّ بِصِدْقٍ﴾	
132	83- 82	﴿وَالْحَيُّ أَلْفَحُ أَنْ يَغْوِيَ لِي...﴾	
34	84	﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ حَقٍّ فِي الْأَحْرِبِ﴾	
84 ، 69	87-86	﴿وَأَخْبِرِي لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾	
132 ، 84	87	﴿وَلَا تُخْزِي بِنَوْمٍ يُنْعَمُونَ﴾	
صفحة ظ	29	﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ﴾	القصص
صفحة خ	44	﴿وَمَا كُنْزَ بِجَانِبِ الْعَرْشِ﴾	

119	17-16	﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اغْبُثُوا اللَّهَ﴾	العنكبوت
114	23 -16	﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اغْبُثُوا اللَّهَ﴾	
187	25-24	﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ...﴾	
167	26 -24	﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ..﴾	
191	26	﴿فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ﴾	
10	45	﴿وَلَا تَحْزَنْ لِلَّذِينَ يَخْتَفُونَ﴾	
صفحة ذ	48	[وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ﴾	
26	17	﴿فَمُسْتَبْحَاتٍ لِلَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾	الروم
32	30	﴿مُؤْمِنِينَ إِلَيْهِ﴾	
38	31-30	﴿فَأُولَئِكَ وَجَعَلَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا...﴾	
24	6	﴿وَأَرْوَاجُهُ أَمْهَاتُهُ﴾	الأحزاب
70	21	﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾	
صفحة ف	25	﴿وَوَجَّهِيَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْبَيْتِ﴾	
26	35	﴿إِنَّ الْمُظْلِمِينَ وَالْمُظْلَمَاتِ﴾	
صفحة ح	71-70	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ..﴾	
57	84 -83	﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ...﴾	الصفافات
120 ، 114	87 -83	﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ...﴾	
44	99-83	﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ...﴾	
139	90 -88	﴿فَتَنْظَرُ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾	
139	89	﴿إِنِّي سَعِيدٌ﴾	
168	93-91	﴿فَرَاغَ إِلَى الْمَيْمَةِ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾	
167	99-91	﴿فَرَاغَ إِلَى الْمَيْمَةِ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾	
178	96-94	﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَرِيضُونَ..﴾	
182	96-95	﴿فَاتَّخَذُوا مَا تَزَيَّنُّونَ﴾	
187	98-97	﴿فَقَالُوا إِنَّمَا لَهْ نُبِيَاتًا مَأْلُومَةٌ فِي الْحَيَاةِ﴾	
191	99	﴿وَقَالَ إِنِّي حَاسِبَةٌ إِلَى رَبِّي سَعِيدِينَ﴾	
27	105	﴿فَكَذَّبَتْهُمُ الرَّؤُوسُ﴾	
27	106	﴿إِنَّ هَذَا لَمَوْءَأَةٌ مِنَ الْمَرِيضِينَ﴾	
46	33	﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾	فصلت
44	27-26	﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ﴾	الزخرف
147	27-26	﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ﴾	
28	17	﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّخَذُوا لِحَافَهُمْ حُكًى﴾	محمد p
هامش 185	28	﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُ خِيفَةً﴾	الذاريات
29	32	﴿وَأَن تَأْمُرَهُمْ فَبِمَا كَفَرُوا﴾	الطور

27	34	﴿وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْثَى﴾	النجم
26 ، 25	37	﴿وَأَنْبِئْهُمْ بِالنَّارِ الَّتِي وَقُتِيَ﴾	
صفحة ع	55	﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِكٍ مُتَّقِرٍ﴾	القمر
،147 ، 70 ، 69 ، 45 148	4	﴿فَمَنْ كَانَتْ لَهُ أُسْرَةٌ حَسَنَةٌ﴾	المتحنة
150	4	﴿إِذَا بَرَأَهُ مِنْكُمُ وَمِمَّا تَخْتَفُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾	
صفحة ض	14	﴿إِلَّا يَخْلُقُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَخْتَارُ﴾	الملك
26	34	﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهِمْ يَتَخَفَتُونَ﴾	المعارج
25	23	﴿فَلَا تَمَّا يَفْعَلُ مَا أَمَرَهُ﴾	عبس
39	5	﴿وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ﴾	البينة

فهرس الأحاديث

مرتبة حسب أطراف الحديث

الصفحة	تخرجه	طرف الحديث
هامش 69	البخاري	آية المنافق ثلاث
صفحة ر	الحاكم في المستدرك	ابني ارتحلني ، فكرهت أن أعجله
6	البخاري	أتاني الليلة آتيان فابتعثاني
11	مسلم	إذا كان يوم القيامة ما ج الناس
69	البخاري	إذا وعد أخلف
26	أحمد	ألا أخبركم لم سمى الله إبراهيم خليله الذي وفي ؟
6	البخاري ومسلم	أما إبراهيم فأنظروا إلى صاحبكم
28	مسلم والترمذي	إن فيك حصلتين يجبهما الله : الحلم والأناة
صفحة ظ	أحمد	إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق
31	أحمد	إنه أواه وذلك أنه كان كثير الذكر لله عز وجل
12	مسلم	إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل
31	الطبري	الأواه: الخاشع المتضرع
33	الترمذي وأبو داود	رب أعني ولا تعن علي
هامش 139	أحمد	رخص النبي من الكذب في ثلاث
صفحة ر	البخاري	عقلت من النبي من مجة مجة في وجهي
10	البخاري	فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي
12	الترمذي	قد سمعت كلامكم وعجبكم
11	البخاري ومسلم	قيل : يا رسول الله : من أكرم الناس ؟ قال : (أنقاهم)
7	مسلم	كان النبي من مزبوعا
7	البخاري	كان ربعة من القوم
7	البخاري ومسلم	كان رسول الله من أحسن الناس وجهها
8	أحمد	كان رسول الله من ضخم الرأس
صفحة س	أبو داود	كان يشير في الصلاة
3	البخاري	الكريم ابن الكريم
95	البخاري	كل مولود يولد على الفطرة
135	البخاري ومسلم	كمل من الرجال كثير
21	الترمذي والحاكم في المستدرك	لا يتوارث أهل ملتين
صفحة ص	مسلم	لك نعمة تزيها

139	البخاري ومسلم والترمذي وأحمد	لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ إِلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ
160	البخاري ومسلم	نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ
40	مسلم	وَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ
6	مسلم	وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ
8	البخاري	وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا سُرَّ اسْتَنَّارَ وَجْهَهُ
7	أحمد	وَنَظَرْتُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ
صفحة ر	البخاري	يَا أَبَا عُمَيْرٍ: مَا فَعَلَ النُّعَيْرُ ؟
15	البخاري	يَا سَارَةَ لَيْسَ عَلَيَّ وَجْهَ الْأَرْضِ
صفحة ر	البخاري	يَا غُلَامُ : سَمَّ اللَّهُ ، وَكُلُّ بِيَمِينِكَ ، وَكُلُّ مِمَّا يَلِيكَ
صفحة ر	الترمذي	يَا غُلَامُ إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ أَحْفَظُ اللَّهُ يَحْفَظُكَ
16	الحاكم في المستدرک	يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُمَّةٌ وَحِدَهُ
هامش 136	الحاكم في المستدرک	يَجَاءُ بِكُمْ حِفَاةَ عِرَاءَ
83 ، 4	البخاري	يَلْقَى إِبْرَاهِيمَ أَبَاهُ أَرْزَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
هامش 84	الحاكم في المستدرک	يَلْقَى رَجُلَ أَبِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

فهرس الأعلام المترجم لها في الرسالة

مرتبة حسب حروف المعجم

حرف الألف

- الألوسي ، انظر : محمود بن عبد الله
إبراهيم بن السري (الزجاج) (30) .
إبراهيم بن عمر (البقاعي) (76) ، 96 ، 121 ، 169 ، 179² ، 187 ، 188 .
أحمد بن حنبل (7) ، 31 .
أحمد بن علي (الجصاص) (13) ، 40 .
أحمد بن علي (ابن حجر العسقلاني) (26) ، 83 .
إسماعيل بن كثير (ابن كثير) (5) ، 13 ، 95 ، 140 .
أشج عبد القيس (28) .
أنس بن مالك (7) ، 11 .

حرف الباء

- البخاري ، انظر : محمد بن اسماعيل
البراء بن عازب (7) .
البغوي ، انظر : الحسين بن مسعود
البقاعي ، انظر : إبراهيم بن عمر
أبو بكر الصديق (12) ، (14) .
أبو بكر الوراق (27) .
أبو بكر جابر (الجزائري) (161) .
بلقيس داغستاني (112) .
البيضاوي ، انظر : عبد الله بن عمر

حرف التاء

- الترمذي ، انظر : محمد بن عيسى
أبو تمام ، انظر : حبيب بن أوس

حرف الجيم

الجزائري ، انظر : أبو بكر جابر

الجصاص ، انظر : أحمد بن علي

جندب البجلي (12) .

ابن الجوزي ، انظر : عبد الرحمن بن علي

حرف الحاء

ابن أبي حاتم ، انظر : عبد الرحمن بن محمد

الحاكم ، انظر : محمد بن عبد الله

حبيب بن أوس (أبو تمام) (62) .

ابن حجر العسقلاني ، انظر : أحمد بن علي

الحسن البصري (24) ، 28 ، 29 ، 32 ، 139 .

الحسن بن محمد (النيسابوري) (96) ، 115 .

الحسين بن محمد (الراغب الأصفهاني) (19) ، 21 ، 29 .

الحسين بن مسعود (البغوي) (94) ، 178 ، 179 .

أبو الحمد ربيع (56) .

حرف الذال

ذو البجادتين ، انظر : عبد الله بن نهم

حرف الراء

الرازي ، انظر : محمد بن عمر

الراغب الأصفهاني ، انظر : الحسين بن محمد

حرف الزاي

الزجاج ، انظر : إبراهيم بن السري

الزمخشري ، انظر : محمود بن عمر

زياد بن حدير (40) .

زيد بن عمرو بن نفيل (16) ، 17 ، 238 .

حرف السين

السعدي ، انظر : عبد الرحمن بن ناصر

أبو السعود ، انظر : محمد بن محمد

سيد قطب

(27) ، 76 ، 98² ، 115 ، 116 ، 118 ، 120 ،

121 ، 140 ، 161 ، 179 ، 191 .

حرف الشين

الشوكاني انظر محمد بن علي

حرف الطاء

الطبري ، انظر : محمد بن جرير

حرف العين

ابن عاشور ، انظر : محمد الطاهر

(100)² ، 124 .

عبد الرحمن النحلاوي

(160) .

عبد الرحمن بن صخر (أبو هريرة)

(4) ، 13 ، 40 ، 161 .

عبد الرحمن بن علي (ابن الجوزي)

(29) ، 32 ، 139 .

عبد الرحمن بن محمد (ابن أبي حاتم)

(75) ، 116 .

عبد الرحمن بن ناصر (السعدي)

(19) ، 40 ، 47 ، 94 ، 114 ، 120² .

عبد الكريم بن هوزان (القشيري)

(95) .

عبد الله بن أحمد (النسفي)

(31) .

عبد الله بن شداد

(12) ، 16 ، 26 ، 29 ، 32 ، 33 .

عبد الله بن عباس

(38) .

عبد الله بن عمر

(16) ، 20 ، 95 ، 115 ، 179 .

عبد الله بن عمر (البيضاوي)

(17)³ .

عبد الله بن مسعود

(31) .

عبد الله بن نهم (ذو البجادتين)

(124) .

عبد الله ناصح (علوان)

عقبة بن عامر (31) .

علوان ، انظر : عبد الله ناصح

علي أحمد مذكور (102) ، 2109 .

علي الحمادي (107) ، 108 .

علي بن أبي طالب (8) ، 40 .

علي بن حبيب (الماوردي) (61) .

عمر بن الخطاب (40) ، 241 .

حرف الفاء

فولتير (86) .

حرف القاف

القرطبي ، انظر : محمد بن أحمد

القشيري ، انظر : عبد الكريم بن هوزان

حرف الكاف

كاثرين توبين (127) .

كانت (87) .

ابن كثير ، انظر : إسماعيل بن كثير

كريستيانا آيزلر - ميرتس (2144) .

كعب بن مالك (8) .

حرف الميم

مالك بن أنس (118) .

الماوردي ، انظر : علي بن حبيب

محمد الطاهر (ابن عاشور)

(32) ، 36 ، 49 ، 62 ، 70 ، 77 ، 84 ، 98 ،

116 ، 118 ، 121 ، 129 ، 147 ، 148 ، 169 ،

175 ، 179 .

(16) ، 20 ، 27 ، 29 ، 32 ، 140 ، 154 ، 175

محمد بن أحمد (القرطبي)

.179 ،	
. (6) ، 11 ، 15 ، 20 ، 38 .	محمد بن اسماعيل (البخاري)
. (13) ، 19 ، 26 ، 31 ² ، 36 ، 40 ، 94 ² ، 161 .	محمد بن جرير (الطبري)
. (84) .	محمد بن عبد الله (الحاكم)
. (21) ، 29 .	محمد بن عبيد الله (ابن منظور)
. (23) ، 76 ، 154 ، 161 ، 168 ، 175 .	محمد بن علي (الشوكاني)
. (8) .	محمد بن علي بن أبي طالب
. (19) ، 27 ، 29 ، 32 ، 37 ، 48 ² ، 61 ² ، 62 ² ،	محمد بن عمر (الرازي)
، 76 ، 95 ، 115 ، 117 ، 121 ، 140 ، 147 ،	
. 153 ، 161 ، 168 ، 188 ، 191 .	
. (12) ، 33 .	محمد بن عيسى (الترمذي)
. (22) ، 97 .	محمد بن محمد (أبو السعود)
. (216) ، 20 ، 34 ، 36 ، 48 ، 62 ، 75 ، 84 ،	محمود بن عبد الله (الآلوسي)
. 97 ، 117 ، 148 .	
. (35) ، 47 ³ ، 70 ، 115 ، 117 ² ، 121 ، 139 ،	محمود بن عمر (الزمخشري)
. 178 .	
. (17) .	مسروق
. (26) ، 11 ، 12 .	مسلم
. (217) .	معاذ بن جبل
	ابن منظور ، انظر : محمد بن عبيد الله

حرف النون

. 13 ، (153) ، 154 ² ، 160 ، 163 .	النسفي ، انظر : عبد الله بن أحمد
	نمرود
	النيسابوري ، انظر : الحسن بن محمد

حرف الهاء

	أبو هريرة ، انظر : عبد الرحمن بن صخر
--	--------------------------------------

فهرس المصطلحات التربوية

		<u>الصفحة</u>	<u>المصطلح</u>
64	غريزة التدين	50	الأساليب
63	غريزة النوع	صفحة ط	الإشارات التربوية
163	غريزة حب الاستطلاع	88	التحفيز
176	الفتوة	89	التخيل
142	الكذب الإدعائي	172	التربية بالأحداث
142	الكذب الإلتماسي	173	التغذية الراجعة
142	الكذب الدفاعي	108	التفكير الإبداعي
176	نظام بيولوجي	181	التفكير التأملي
176	نظام سوسيلولوجي	101	التفكير المنطقي
74	النمذجة	123	التقليد
150	النمذجة الجماعية	155	الحوار الجدلي
149	النمذجة الحية	84	الحوار الوصفي
150	النمذجة الفردية	162	الخبرة المباشرة
149	النمذجة المصورة	184	الخوف غير الموضوعي
150	النمذجة المقصودة	184	الخوف الموضوعي
150	النمذجة غير المقصودة	88	الدافعية
50	الوسائل	85	الشخص السوي
104	الوسائل التعليمية	85	الصحة النفسية
		111	الغرائز
		87	غريزة إقرار الذات

المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم وعلومه :

* القرآن الكريم ، برواية حفص عن عاصم .

1. الألوسي ، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي (ت 1270هـ) ، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني ، دار الفكر ، بيروت ، 1987 م .
2. البغوي ، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء (ت 510هـ) ، معالم التنزيل في التفسير والتأويل ، دار الفكر ، بيروت ، ط(1) ، 2002م .
3. البقاعي ، أبو الحسن إبراهيم بن عمر ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه : عبد الرزاق غالب المهدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط(1) ، 1995م .
4. البيضاوي ، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي (ت 791هـ) : تفسير البيضاوي المسمى : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، دار البيان العربي ، ط(1) ، 2002م .
5. الجزائري ، أبو بكر جابر ، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ، دار السلام ، مصر ، ط(4) ، 1992م .
6. الجصاص ، أبو بكر بن علي الرازي (ت370هـ) ، أحكام القرآن ، ضبط نصه وخرج آياته : عبد السلام محمد علي شاهين ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (ب-ت).
7. ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت 597هـ) ، زاد المسير في علم التفسير ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط(1) ، 2001م .
8. ابن أبي حاتم ، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي (ت 327هـ) ، تفسير القرآن العظيم مسندا عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين ، تحقيق : أسعد محمد الطيب ، المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت ، ط(3) ، 2003 م .
9. الخالدي ، صلاح ، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث ، دار القلم ، دمشق ، ط(1) ، 1998م .
10. الرازي ، محمد فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر (ت 604 هـ) ، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، قدم له : خليل محيي الدين الميس ، دار الفكر ، بيروت ، 1995 م .
11. الراغب الأصفهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت502 هـ) ، المفردات في غريب القرآن ، تحقيق وضبط : محمد سيد كيلاني ، (ب-ت) .
12. الزجاج ، أبو إسحق إبراهيم بن السري (ت 311هـ) ، معاني القرآن وإعرابه ، شرح وتحقيق : عبد الجليل عبده شلبي ، دار الحديث ، القاهرة ، ط(1) ، 1994م .
13. الزمخشري ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر (ت 538 هـ) ، تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، رتبته وضبطه وصححه : محمد عبد السلام شاهين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط(1) ، 1995م .

14. السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن ، خرج أحاديثه وعلق عليه : السيد بن أحمد أبو سيف ، مكتبة الإيمان ، المنصورة ، (ب- ت) .
15. أبو السعود ، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي (ت 982هـ) ، تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، وضع حواشيه : عبد اللطيف عبد الرحمن ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط(1) ، 1999م .
16. السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (ت 911هـ) ، الدر المنثور في التفسير المأثور ، دار الفكر ، بيروت ، ط(1) ، 1983م .
17. الشنقيطي ، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي الموريتاني (ت 1393هـ) ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط(1) ، 1996م .
18. الشوكاني ، محمد بن علي (ت 1250هـ) ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، دار الفكر ، بيروت ، 1983م .
19. الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت 310هـ) ، تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن ، منشورات محمد علي بيضون - دار الكتب العلمية ، ط(3) ، 1999م .
20. ابن عاشور ، محمد الطاهر (ت 1393 هـ) ، التحرير والتنوير ، دار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس ، 1997م .
21. عبد الباقي ، محمد فؤاد ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ، دار الفكر ، بيروت ، ط(1) ، 1981م .
22. القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت 671 هـ) ، الجامع لأحكام القرآن ، ط(2) ، 1952م .
23. القشيري ، أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان بن عبد الملك القشيري النيسابوري (ت 465 هـ) ، تفسير القشيري المسمى لطائف الإشارات ، وضع حواشيه وعلق عليه : عبد اللطيف حسن عبد الرحمن ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط(1) ، 2000م .
24. القطان ، مناع ، مباحث في علوم القرآن ، مؤسسة الرسالة ، ط(9) ، 1980م .
25. قطب ، سيد :
- * التصوير الفني في القرآن ، دار الشروق ، (ط4) ، 1978م .
- * في ظلال القرآن ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط(5) ، 1967م .
26. ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن كثير (ت 774هـ) ، تفسير القرآن العظيم ، دار التراث العربي ، ميدان المشهد الحسيني ، (ب - ت) .
27. الماوردي ، أبو الحسن علي بن حبيب البصري (ت 450هـ) ، النكت والعيون ، راجعه وعلق عليه : السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية ، ومؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، ط(1) ، 1992م .

28. المحلي ، جلال الدين محمد بن أحمد ، والسيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر ، تفسير الجلالين ، مكتبة الملاح ، دمشق ، ط (1) ، 1978م .
29. النسفي ، عبد الله بن أحمد النسفي (ت 710 هـ) : تفسير النسفي مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، تحقيق : الشيخ مروان محمد الشعار ، دار النفائس ، بيروت ، ط(1) ، 1996م .
30. النويري ، أبو القاسم محمد بن محمد بن محمد بن علي (ت 857هـ) ، شرح طيبة النشر في القراءات العشر ، تقديم وتحقيق : مجدي محمد سرور سعد باسلوم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط(1) ، 2003م .
31. النيسابوري ، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت 728هـ) ، غرائب القرآن و رغائب الفرقان ، ضبطه وخرج آياته وأحاديثه : زكريا عميرات ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط(1) ، 1996م .

ثانياً : الحديث الشريف وعلومه :

32. ابن الأثير ، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت 606هـ) ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، خرج أحاديثه وعلق عليه : أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط(1) ، 1997م .
33. الألباني ، محمد ناصر الدين :
- * الإسراء والمعراج وذكر أحاديثهما وتخريجها وبيان صحيحها من سقيمها ، المكتبة الإسلامية ، عمان ، ط (2) ، 2000م .
- * سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط(2) ، 1995م .
- * سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة - وأثرها السيئ في الأمة ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط (2) ، 1988م .
- * صحيح الجامع الصغير وزياداته ، أشرف على طبعه : زهير الشاويش ، المكتبة الإسلامي ، بيروت ودمشق ، ط(3) ، 1988م .
- * صحيح وضعيف سنن أبي داود ، غراس للنشر والتوزيع ، الكويت ، ط(1) ، 2002م .
34. البخاري ، محمد بن إسماعيل (ت 256 هـ) ، صحيح البخاري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط(1) ، 2001م .
35. التبريزي ، محمد بن عبد الله الخطيب ، مشكاة المصابيح ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني ، المكتبة الإسلامي ، بيروت ، ط(3) ، 1985م .
36. الترمذي ، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت 279 هـ) ، سنن الترمذي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (ب-ت) .

37. الحاكم ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ، المستدرک علی الصحیحین ، مع تضمینات الإمام الذہبی فی التخلیص والمیزان ، والعراقی فی أمالیہ ، والمناوی فی فیض القدر وغيرهم من العلماء الأجلاء ، تحقیق : حمدي الدمرداش محمد ، مكتبة نزار مصطفى الباز ، مكة المكرمة ، ط(1) ، 2000م.
38. ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن علي (ت 852هـ) ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، دار المعرفة ، بيروت ، ط(1) ، (ب-ت) .
39. ابن حنبل ، أحمد بن محمد (ت 241هـ) ، مسند الإمام أحمد بن حنبل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط(1) ، 1993م .
40. أبو داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت 275هـ) ، سنن أبي داود ، المكتبة العصرية ، بيروت .
41. العظيم آبادي ، أبو الطيب محمد شمس الحق ، عون المعبود شرح سنن أبي داود ، دار الفكر ، بيروت ، ط(3) ، 1979م .
42. المباركفوري ، أبو العلا محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم (ت 1353هـ) ، تحفة الأحوذی بشرح جامع الترمذی ، اعتنى بها : علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجد ، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، ط(1) ، 1998م .
43. المتقي الهندي ، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، ضبطه وفسر غريبه : بكرى حيانى ، صححه ووضع فهرسه ومفتاحه : صفوة السقا ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1989م .
44. مسلم ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري(ت 261هـ) ، صحيح مسلم ، حقق نصوصه وصححه ورقمه وعد كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلق عليه ملخص شرح النووي : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، (ب-ت) .
45. المناوي ، محمد عبد الرؤوف (ت 1031هـ) ، فيض القدير شرح الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير ، ضبطه وصححه : أحمد عبد السلام ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2001م .
46. النسائي ، أحمد بن شعيب (ت 303 هـ) ، سنن النسائي ، دار البشائر الإسلامية ، 1986م .
47. الهيثمي ، نور الدين علي بن أبي بكر (ت 807هـ) ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1988م .

ثالثاً : مصادر التاريخ والبلدان :

48. ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني(ت 630هـ) ، الكامل في التاريخ ، حققه واعتنى به : عمر بن عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط(3) ، 2001م .

49. ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت 597هـ) ، المنتظم في تواريخ الملوك والأمم ، حققه وقدم له : سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت ، ط(1) ، 1995م .
50. الحموي ، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي (ت 626هـ) ، معجم البلدان ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط(1) ، 1997م .
51. الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري(ت 310هـ) ، تاريخ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار سويدان ، بيروت ، ط(2) ، 1967م .
52. ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير(ت 774هـ) ، البداية والنهاية ، تحقيق : عبد الله التركي ، دار هجر ، مصر ، ط(1) ، 1997م .

رابعاً : كتب الرجال والتراجم والسير :

53. ابن الأثير ، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري (ت 630هـ) ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، دار الفكر ، بيروت ، ط(1) ، 1998م .
54. الأصبهاني ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن مهران (ت 430هـ) ، معرفة الصحابة ، تحقيق : محمد حسن محمد حسن إسماعيل ومسعد عبد الحميد السعدي ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط(1) ، 2002م .
55. الترمذي ، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت 279هـ) ، الشمائل المحمدية والخصائص المصطفوية ، دار الفكر ، بيروت ، 1994م .
56. ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت 597هـ) ، الوفا بأحوال المصطفى ، دراسة وتحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط(1) ، 1988م .
57. ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت 597هـ) ، صفة الصفوة ، حققه وعلق عليه : محمود فاخوري ، خرج أحاديثه : محمد رواس قلعه جي ، دار المعرفة ، بيروت ، ط(4) ، 1986م .
58. ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن علي بن محمد (ت 852هـ) :
- * الإصابة في تمييز الصحابة ، دراسة وتحقيق وتعليق : عادل أحمد عبد الموجود - علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط(1) ، 1995م .
- * تهذيب التهذيب ، دار الفكر ، بيروت ، ط(1) ، 1984م .
- * لسان الميزان ، إعداد محمد عبد الرحمن المرعشلي ورياض عبد الله الهادي ، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، ط(1) ، 2001م .
59. ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت 681هـ) ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، حققه : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ط(1) ، 2005م .

60. الداوودي ، محمد بن علي بن أحمد (ت 945هـ) ، طبقات المفسرين ، راجع النسخة وضبط أعلامها لجنة من العلماء بإشراف الناشر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط(1) ، 1983م .
61. الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ) :
- * الكاشف - في معرفة من له رواية في الكتب الستة ، تحقيق وتعليق : عزت علي عيد عطية - موسى محمد علي الموشى ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، ط(1) ، 1972م .
- * سير أعلام النبلاء ، تحقيق : محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري ، دار الفكر ، بيروت ، ط(1) ، 1997م .
62. الذهبي ، محمد حسين ، التفسير والمفسرون ، المكتبة السلفية ، المدينة المنورة ، ط(2) ، 1976م .
63. الزركلي ، خير الدين ، الأعلام - قاموس تراجم ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط(7) ، 1986م .
64. شريل ، موريس ، موسوعة علماء التربية وعلم النفس ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط(1) ، 1991م .
65. الشعراي ، أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن علي الأنصاري الشافعي المصري (ت 973هـ) ، الطبقات الكبرى المسماة بلوائح الأنوار في طبقات الأخيار، ضبطه وصححه: خليل المنصور ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط(1) ، 1997م .
66. الشنواني ، أحمد ، الخالدون من أعلام الفكر - الجزء الغربي ، دار الكتاب العربي ، دمشق - القاهرة ، ط(1) ، 2007م .
67. ابن العاقولي ، أبو المكارم غياث الدين محمد بن محمد بن عبد الله الواسطي البغدادي (ت 797هـ) ، الرصف لما روي عن النبي p من الفعل والوصف ، تحقيق : أبو عبد الله محمد حسن الشافعي ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط(1) ، 1997م .
68. ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبد الله (ت 463هـ) ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار الجيل ، بيروت ، ط(1) ، 1992م .
69. كحالة ، عمر رضا ، معجم المؤلفين ، اعتنى به وجمعه وأخرجه : مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت ، ط(1) ، 1993م .
70. نويهض ، عادل ، معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية ، لبنان ، ط(1) ، 1983م .
71. هارت ، مايكل ، (Hart , Michael) ، المائة الأوائل ، ترجمة: خالد أسعد عيسى وأحمد غسان سبانو ، دار قتيبة ، ط(6) ، 1987م .

خامساً : علوم اللغة العربية :

72. الطائي ، أبو تمام حبيب بن أوس (ت321هـ) ، ديوان أبي تمام ، قدم له : عبد الحميد يونس - عبد الفتاح مصطفى ، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده ، القاهرة ، 1942م .
73. الغلاييني ، مصطفى ، جامع الدروس العربية ، المكتبة العصرية ، بيروت - صيدا ، ط(16) ، 1983م.
74. ابن منظور ، محمد بن عبيد الله بن محمد (ت711هـ) ، لسان العرب ، دار إحياء التراث ، ومؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، ط(1) - طبعة جديدة مرتبة حسب الحروف الأولى للجذور اللغوية ، 1999م .

سادساً : تربية وعلم نفس :

75. آيزلر - ميرتس ، كريستيانا ، براعة التخلص من كل إحراج ، نقله إلى العربية : محمد جديد ، مكتبة العبيكان (بالتعاقد مع mvg فارلغ-ألمانيا) ، الرياض ، ط(1) ، 2005م .

Eisler-Mertz , Christiane , Perfekte Ausreden fur jede Gelegenheit

76. أحمد ، سهير كامل ، أساليب تربية الطفل بين النظرية والتطبيق ، مركز الإسكندرية للكتاب ، الإسكندرية ، ط(1) ، 2003م .

77. إيفانز ، سيبل ، وكوهين ، شيري سوب ، مفاتيح الغضب ، مكتبة جرير ، الرياض ، ط(1) ، 2003م .
Evans, Sybil & Cohen ,Sherry Suib , HOT BUTTONS

78. باشا ، حسان شمسي ، كيف تربي أبناءك في هذا الزمان ، دار القلم ، دمشق ، ط(2) ، 2002م .
79. بدري ، محمد محمد ، اللمسة الإنسانية - لمحات في فن التعامل مع الأبناء ، دار الصفوة ، ط(1) ، 2005م .

80. بليتس ، جيمس إم. ، وموتشler ، ديفيد جي. ، دليل الخبراء الرسمي - أعطني نتائج لا أعارها ، مكتبة جرير ، ط(1) ، 2006م .

Bleech , James M.& Mutchler. David G. Official Know-it-all Guide- Let's get results Not excuses

81. بيرك ، راي ، وهيرون ، رون ، تربية الأطفال بالفطرة السليمة - دليل مجرب ومفصل خطوة بخطوة لتتشنة أطفال مسؤولين وبناء أسر سعيدة ، مكتبة جرير ، الرياض ، ط(1) ، 2006م .

BURKE , RAY & HERRON, RON , Common Sense PARENTING, A proven , step- by- step guide for raising responsible kids and building happy families

82. بيلي ، بيكي إيه. ، الأطفال سهل حبه صعب تهذيبهم - 7 مهارات أساسية لتحويل الصراع إلى تعاون ، مكتبة جرير ، الرياض ، ط(1) ، 2005م .

Bailey, Becky A. , Easy to love Difficult To Discipline - The Seven Basic Skills for Turning Conflict into Cooperation

83. توبين ، كاثرين ، حلول عملية لمشكلات الآباء في تربية الأبناء ، مكتبة جرير ، الرياض ، ط(1) ، 2006م .

Tobin ,Cathryn , THE PARENT'S PROBLEM SOLVER

84. توما ، فيلكس ، التربية في العائلة - زلات الوالدين ، مؤسسة عز الدين ، بيروت ، ط(1) ، 1986 م .
85. جرادات ، عزت ، أبو غزالة ، هيفاء ، وعبد اللطيف ، خيرى ، مدخل إلى التربية ، عمان ، ط (1) ، 1983 م .
86. الحاشدي ، أبو عبد الله فيصل بن عبده قائد :
- * طريقنا للقلوب- 35 وسيلة لكسب قلوب الناس ، دار القمة ودار الإيمان ، الإسكندرية ، ط(3) ، 2006 م .
- * فن الحوار ، أصوله- آدابه- صفات المحاور ، دار القمة ، دار الإيمان ، الإسكندرية ، 2003 م .
87. الحداد ، محمد محمد ، كيف نربي أولادنا ؟ نصائح وتوجيهات إسلامية ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط (1) ، 2002 م .
88. الحسني ، أحمد معاذ الخطيب ، وزملاؤه ، ما لا نعلمه لأولادنا ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، مصر ، ط(2) ، 2006 م .
89. أبو حطب ، فؤاد ، وصادق ، آمال ، علم النفس التربوي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط(2) ، 1980 م .
90. الحمد ، محمد بن إبراهيم ، سوء الخلق مظاهره- أسبابه- علاجه ، وكالة المطبوعات والبحث العلمي ، الرياض ، ط(1) ، 2004 م .
91. أبو حميدان ، يوسف ، تعديل السلوك النظرية والتطبيق ، مركز يزيد ، الكرك دار المدى عمان ، ط (1) ، 2003 م .
92. حوامدة ، باسم علي ، والقادري ، أحمد رشيد ، وأبو شريح ، شاهر ذيب ، تربية الأطفال في الإسلام ، دار جرير للنشر والتوزيع ، عمان ، ط(1) ، 2005 م .
93. أني حويج ، مروان ، المناهج التربوية المعاصرة ، دار الثقافة ، عمان ، ط (1) ، 2006 م .
94. الخداس ، جاد الله حسن ، المذهب المستفاد لتربية الأولاد في ضوء الكتاب والسنة ، المكتبة الإسلامية ، عمان ، ط(2) ، 2000 م .
95. خطاب ، عمر محمد ، الإبداع في تربية الطفل ، مكتبة المجتمع العربي ، عمان ، ط(1) ، 2006 م .
96. الخطيب ، إبراهيم ، وعيد ، زهدي محمد ، تربية الطفل في الإسلام ، الدار العلمية الدولية ، عمان ، ط (1) ، 2002 م .
97. داغستاني ، بلقيس إسماعيل ، التربية الدينية والاجتماعية للأطفال ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ط (1) ، 2001 م .
98. الدروي ، طه كاسب ، فن التفاوض والإقناع ، دار عالم ، عمان ، ط(1) ، 2006 م .
99. دويري ، مروان ، المزيد عن التعامل مع مشاكل أولادنا ، مطبعة البطوف ، عرابية ، 1998 م .
100. الديب ، محمد بن مصطفى :

* التربية على التنافس المذموم ، دار الرضا للنشر والتوزيع ، مصر ، ط(1) ، 2006م .

* التربية على الحماس غير الممتزن ، دار الرضا للنشر والتوزيع ، مصر ، ط(1) ، 2006م .

101. ديفيناي ، جويس ، كيف تؤدب طفلك - في 5 خطوات بسيطة ، نقله إلى العربية : محمد سعيد الدباس ، مكتبة العبيكان ، السعودية ، ط(1) ، 2005م .

Divinyi , Joyce , Original Title Discipline That Works 5 Simple Steps

102. ديماس ، محمد ، كيف تغير سلوك طفلك ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط(1) ، 1999م .

103. رايورتنس ، هاينز ، التدريب نحو النجاح - طريقك للوصول إلى أهدافك الشخصية والمهنية ، تعريب : سامر نصري ، مكتبة العبيكان ، ط(1) ، 2004م .

Training Zum Erfolg

104. ربيع ، أبو الحمد ، البيت المسلم القدوة - أمل يحتاج إلى عمل ، الكتاب الأول ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، القاهرة ، ط(1) ، 2005م .

105. رضا ، أكرم ، شباب بلا مشاكل - رحلة من الداخل ، ط(1) ، 2002م .

106. روزموند ، جون ، 6 خطوات لتثنية أطفال سعداء وأصحاء ، مكتبة جرير ، الرياض ، ط(21) ، 2005م

م

Rosemond, K, John , SIX-Point Plan For Raising Happy Healthy Children

107. الروسان ، فاروق ، تعديل وبناء السلوك الإنساني ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، عمان ، ط(1) ، 2000م

108. الزغول ، عماد عبد الرحيم ، الاضطرابات الانفعالية والسلوكية لدى الأطفال ، دار الشروق ، عمان ، 2006م .

109. زين العابدين ، رواء ، فن التعامل مع الأبناء ، مكتبة ابن سينا ، القاهرة ، 2003م .

110. ساليقان ، كارين ، كيف تقول "لا" وأنت تعنيها - مهارات لا غنى عنها للأباء ، مكتبة جرير ، الرياض ، ط(1) ، 2006م .

Sullivan , Karen, How to Say ' No' and MEAN It – Survival Skills For Parents

111. السباتين ، نجاح ، أساسيات تربية الأطفال ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، عمان ، 2005م.

112. السباعي ، زهير أحمد ، وعبد الرحيم ، شيخ إدريس ، القلق وكيف تتخلص منه ، دار القلم ، دمشق ، والدار الشامية ، بيروت ، ط(3) ، 1999م.

113. سلامة ، صبحي سليمان ، فن تربية الأطفال ، دار الفاروق للنشر ، القاهرة ، ط(1) ، 2006م .

114. السيد ، محمد علي ، الوسائل التعليمية وتكنولوجيا التعليم ، عمان ، ط(5) ، 1983م .

115. سيفير ، سال ، كيف تكون قدوة حسنة لأطفالك في مرحلة ما قبل الدراسة ، مكتبة جرير ، ط(1) ، 2003م .

SEVERE, SAL, How to Behave So Your Preschooler Will Too

116. الشاش ، هداية الله أحمد ، موسوعة التربية العملية للطفل ، قدم للموسوعة عبد الرحمن عبد الرحمن النقيب ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، ط(2) ، 2007م .
117. أبو شعيرة ، خالد ، التربية المهنية بين الفكر التربوي الإسلامي والفكر التربوي الحديث ، دار جرير للنشر والتوزيع ، عمان ، ط(1) ، 2006م .
118. شهلا ، جورج ، حرلي ، عبد السميع ، حنانيا ، ألماس شهلا ، الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط(4) ، 1978م .
119. طاهر ، علوي عبد الله ، الأتموزج القيادي التربوي الإسلامي ، دار المسيرة ، عمان ، ط(1) ، 2007م .
120. عامر ، منير وشريف ، تربية الأبناء في الزمن الصعب ، مستقى من مؤلفات : بنجامين سيوك ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط(1) ، 1989م .
121. عبد الرحيم ، عبد المجيد ، علم النفس التربوي والتوافق الاجتماعي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط(2) ، 1981م .
122. عبد العظيم ، سعيد ، الإشكالية المعاصرة في تربية الطفل المسلم ، دار الإيمان ، الإسكندرية ، ط(1) ، 2001م .
123. عبد الله ، عادل فتحي :
- * افهم طفلك تتجح في تربيته ، دار الإيمان للنشر والطبع والتوزيع ، ط(1) ، 2002م .
- * كيف تصبح أباً ناجحاً ، دار الإيمان ، الإسكندرية ، 2001م
124. عبد المعطي ، عبد الله محمد ، كيف نعالج أخطاء أبنائنا ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، القاهرة ، ط(1) ، 2005م .
125. عبد المنان ، عكاشة ، دع الفلق وعش سعيدا ، دار الإسراء ، عمان (ط1) ، 1996م .
126. عبد الهادي ، جمال ، وزميلاه ، المهام التربوية للأباء بين الهدى النبوي وتجارب علم النفس ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، القاهرة ، ط(1) ، 2004م .
127. عبد الهادي ، جودت عزت ، والعزة ، سعيد حسني ، تعديل السلوك الإنساني ، الدار العلمية الدولية ودار الثقافة للنشر والتوزيع ، عمان ، ط(1) ، 2001م .
128. العريمي ، أيمن ، سلسلة البرمجة النفسية الذهنية - كيف تسيطر على انفعالات الآخرين وتطفئ لهيب غضبهم ، دار الأسرة ، عمان ، ط(1) ، 2006م .
129. علوان ، عبد الله ناصح ، تربية الأولاد في الإسلام ، دار السلام ، حلب ، ط(3) ، 1981م .
130. عمار ، محمود إسماعيل ، العلاقة بين الطالب والمعلم - رؤية إسلامية ، دار المسلم ، الرياض ، ط(1) ، 1994م .

131. الفتاوي ، سهيلة محسن كاظم ، المدخل إلى التدريس ، دار الشروق ، الأردن ، ط(1) ، 2003 م .
132. فلييت ، جيمس ك. فان ، قوة المحادثة - مفتاح النجاح مع الناس ، مكتبة جرير ، ط(1) ، 2007 م .
Fleet , James K.Van, CONVERSATIONAL POWER - The Key to Success With People
133. القائي ، علي :
- * الأسرة والطفل المشاكس, دار النبلاء ، ط(3) ، 2001م .
- * الأسرة والمشاكل الأخلاقية للأطفال ، دار النبلاء ، بيروت ، ط(3) ، 2004 م .
- * تربية الشباب بين المعرفة والتوجيه ، دار النبلاء ، البحرين ، ط(1)، 1996م .
- * تربية الطفل دينيا وأخلاقيا ، مكتبة فخرآوي ، البحرين ، ط(1) ، 1995م .
- * عالم الفتوة - جولة في حياة الناشئين وأحوالهم ، دار النبلاء ، بيروت ، ط(1) ، 2002 م .
134. القادري ، أحمد رشيد ، وأبو شريح ، شاهر ذيب ، الفكر التربوي الإسلامي ، دار جرير للنشر والتوزيع ، عمان ، ط(1) ، 2005 م .
135. قمير ، محمود ، وزميلاه ، دراسات في أصول التربية ، دار الثقافة ، الدوحة ، ط(4) ، 1995 م .
136. القوصي ، عبد العزيز ، أسس الصحة النفسية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1982 م .
137. كاظم ، محمد نبيل ، كيف نؤدب أبناءنا بغير ضرب ؟ وحكم الضرب المدرسي من جهة النظر الفقهية والتربوية ، دار السلام ، القاهرة ، ط(1) ، 2006 م .
138. كامل ، محمد علي ، الآباء ومشاكل الأبناء في الميزان السيكولوجي بين الفهم والمواجهة ، مكتبة ابن سينا ، القاهرة ، ط(1) ، 2006 م .
139. كلارك ، رون ، 55 مبدأ ضروريا ، مكتبة جرير ، الرياض ، ط(1) ، 2004 م .
Clark, Ron, The Essential 55
140. لاوندس ، ليل ، كيف تجذب الناس كالمغناطيس ، مكتبة جرير ، الرياض ، ط(1) ، 2005 م .
LOWNDES, LEIL, How to Be a People Magnet
141. محسن ، خليل ، تربية الأولاد من الولادة حتى البلوغ ، رشاد برس ، بيروت ، ط(1) ، 2000 م .
142. محفوظ ، محمد جمال الدين علي ، التربية الإسلامية للطفل والمراهق ، دار الاعتصام ، شبرا ، 1986 م .
143. محمد ، عبد العزيز ، الفتوة في المفهوم الإسلامي - دراسة في الأخلاق الإسلامية ، دار الوفاء ، الإسكندرية ، ط(1) ، 1999 م .
144. محمود ، علي عبد الحليم :
- * سلسلة مفردات التربية الإسلامية - التربية الخلقية ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، القاهرة ، 1997 م .
- * سلسلة مفردات التربية الإسلامية - التربية العقلية ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، القاهرة ، 1996 م .
145. مذكور ، علي أحمد ، منهج التربية في التصور الإسلامي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1990 م .

146. مرسي ، سيد عبد الحميد ، الشخصية السوية ، مكتبة وهبة ، مصر ، ط(1) ، 1985م.
147. مرسي ، محمد سعيد ، فن تربية الأولاد في الإسلام ، دار التوزيع الإسلامية ، القاهرة ، ط(1) ، 1998م.
148. مطاوع ، إبراهيم عصمت ، التنمية البشرية بالتعليم والتعلم في الوطن العربي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط(1) ، 2002م .
149. مكنسي ، عثمان قدرى ، من أساليب التربية في القرآن الكريم ، دار ابن حزم ، ط(1) ، 2001م .
150. الميلادي ، عبد المنعم ، أصول التربية ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 2004م.
151. ناصر ، إبراهيم ، مقدمة في التربية ، عمان ، 1978م .
152. الناصر ، محمد حامد ، ودرويش ، خولة ، تربية المراهق في رحاب الإسلام ، دار المعالي ، عمان ، ط(2) ، 2002م .
153. النجيجي ، محمد لبيب ، مقدمة في فلسفة التربية ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ط (1) ، 1992م.
154. النحلاوي ، عبد الرحمن ، أصول التربية الإسلامية وأساليبها ، دار الفكر ، دمشق ، ط(3) ، 1996م .
155. النشمي ، عجيل جاسم ، طريق البناء التربوي الإسلامي ، دار الدعوة ، الكويت ، ط(1) ، 1989م .
156. هيرولد ، شيلي ، الأسرار السبعة للتربية المثالية ، مكتبة جرير ، الرياض ، ط(1) ، 2006م .
- Herold, Shelly, Seven Secrets of Perfect Parenting
157. ير ، ليندا ، وريتشارد ، بناء شخصية الأطفال - تسع قواعد طبيعية تنثري حياة أسرتك ، تعريب : إبتسام محمد الخضراء ، الحوار الثقافي ، بيروت ، ط(1) ، 2006م .

Eyre, Linda & Richard, The Book of Nurturing- Nine Natural laws for Enriching Your family Life

سابعاً : فهارس الكتب :

158. حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، طبعة جديدة منقحة ، دار الفكر ، بيروت ، 1999م .

ثامناً : مواقع الشبكة العالمية للمعلومات :

159. <http://abdullahelwan.net/serah.php>
160. <http://www.alhawali.com/index.cfm?method=home.showFahras&id=1001277&ftp=Alam>
161. [http:// www.alhashemih.com/index.ph](http://www.alhashemih.com/index.ph)
162. <http://www.alkawthar.com/manteq/lesson1.htm>
163. <http://www.almsaibeh.com/coverage.php?articleid=537>
164. <http://www.alriyadh.com/2006/03/08/article136267.html>

165. http://www.arabdecision.org/show_cv_5_14_22_1_3_577731498
166. http://www.bab.com/articles/full_article.cfm?id=3540
167. http://www.furat.com/index.php?page=authorinfo&a_id=1382&PHPSESD=6...526d8f9dac38ea2492ba1dafa
168. <http://www.ikhwanonline.com/Article.asp?ArtID=9101&SecID=391>
169. <http://www.ishraf.gotevot.edu.sa/reading/ep.doc>
170. http://www.islamway.com/?iw_s=Scholar&iw_a=info&scholar_id=37
171. <http://www.maganin.com/articles/articlesview.asp%3Fkey%3D667+%D8%A7%D9%84%D8%AA>
172. <http://meshkat.net/new/contents.php?catid=5&artid=5146>
173. <http://www.nour-atfal.org/news/wmview.php?ArtID=26>
174. <http://www.obeikanbookshops.com/more.php?product=6001108>

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
إقرار	أ
شكر وعرقان	ب
الرموز والمختصرات	ج
ملخص الرسالة	د
ملخص اللغة الإنجليزية	و
مقدمة	ح
تمهيد	ن
المبحثُ الأولُ : مفهومُ كلمةِ إشارات	س
المبحثُ الثاني : تعريفُ التربيةِ لغةً واصطلاحاً	ص
المبحثُ الثالثُ : القصصُ القرآني	ت
المبحثُ الرابعُ : علاقةُ القصصِ بالتربيةِ	غ
البابُ الأولُ : إبراهيمُ ۞ خلقه وخلقُه	1
الفصلُ الأولُ : التعريفُ بإبراهيمَ ۞ وبيانُ صفاتِهِ الخَلْقِيَّةِ	2
المبحثُ الأولُ : نَسَبُ إبراهيمَ ۞ و مَوْلَدُهُ	4
المبحثُ الثاني : بيانُ صفاتِ إبراهيمَ ۞ الخَلْقِيَّةِ	6
الفصلُ الثاني : ثناءُ الله Y على إبراهيمَ ۞ في القرآنِ الكريم	9
المبحثُ الأولُ : وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا	11
المبحثُ الثاني : إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً	15
المبحثُ الثالثُ : إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا	18
المبحثُ الرابعُ : مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ	21
المبحثُ الخامسُ : وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى	25
المبحثُ السادسُ : إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ	28
المبحثُ السابعُ : مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا	34
المبحثُ الثامنُ : أَنْ اتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا	38

42	الباب الثاني : إبراهيم U في أرض العراق والإشارات التربوية في هذه المرحلة.....
43	الفصل الأول : دعوة إبراهيم U أباه آزر
46	المبحث الأول : أسلوبُ الدَّعوةِ
61	المبحث الثاني : إنكارُ إبراهيمِ U على أبيه
96	المبحث الثالث : استغفارُ إبراهيمِ U لأبيه
75	المبحث الرابع : إعلانُ إبراهيمِ U البراءةَ من أبيه
83	المبحث الخامس : لقاءٌ يجمعُ بينَ الأبِ وابنه يومَ القيامةِ.....
91	الفصل الثاني : دعوة إبراهيم U قومه
93	المبحث الأول : التَّفَكُّرُ في مَلَكوتِ السماواتِ والأرضِ زادَ للدُّعاةِ في طَريقِ الدَّعوةِ.....
114	المبحث الثاني : دعوةُ إبراهيمِ U الصريحةُ قومه ومجادلتهم
139	المبحث الثالث : رفضُ إبراهيمِ U مشاركةَ قومه ومداهنتهم في عيدهم.....
147	المبحث الرابع : إعلانُ إبراهيمِ U البراءةَ من قومه
152	الفصل الثالث : دعوةُ إبراهيمِ U الملكِ الظالمِ.....
154	المبحث الأول : أسلوبُ المناظرةِ.....
156	المبحث الثاني : نتائجُ المناظرةِ.....
159	الفصل الرابع : نحنُ أحقُّ بالشكِّ من إبراهيمِ U.....
161	المبحث الأول : ليسَ الخبرُ كالمُعينةِ.....
164	المبحث الثاني : حاجةُ النفسِ البشريةِ إلى الطمأنينةِ
166	الفصل الخامس : تحطيمُ الأصنامِ وما تَبِعَهُ منُ محاكمةِ إبراهيمِ U ونجاته من النيرانِ
168	المبحث الأول : العزيمةُ على تغييرِ المنكرِ باليدِ.....
751	المبحث الثاني : قرارُ محاكمةِ إبراهيمِ U على رؤوسِ الأشهادِ
178	المبحث الثالث : انتصارُ إبراهيمِ U بالحجةِ
187	المبحث الرابع : نجاهُ إبراهيمِ U من النارِ
191	المبحث الخامس : العزمُ على الهجرةِ.....

194الخاتمة
195المبحثُ الأولُ : أهمُ النتائج التي توصلتُ إليها الرسالةُ
197المبحثُ الثاني : أهمُ التوصياتِ
198فهرس الآيات
203فهرس الأحاديث
205فهرس الأعلام
210فهرس المصطلحات
211فهرس المصادر والمراجع
224فهرس المحتويات

B